



العربية في العالم

اللغة العربية في نيجيريا

أ.د. تيجاني المسكين
أ.د. عبد الرزاق ديريمي أبوبكر
أ.د. محمد مغاذ انغرو
أ.د. بدماصي لنري يوسف
أ.د. مشهود محمود جمبا
د. قاسم بدماصي
د. محمد عمر انداغي
د. عيسى ألبي أبوبكر
د. الخضر عبد الباقي محمد

تحرير: د. الخضر عبد الباقي محمد





العربية في العالم ٧

اللغة العربية في نيجيريا

ملامح تاريخية ومشخصات الواقع

المؤلفون:

أ.د. تيجاني المسكين

أ.د. عبدالرزاق ديريمي أبوبكر

أ.د. محمد مغاذ انغرو

أ.د. بدماصي لنري يوسف

أ.د. مشهود محمود جمبا

د. قاسم بدماصي

د. محمد عمر انداغي

د. عيسى ألبي أبوبكر

د. الخضر عبدالباقي محمد

تحرير:

د. الخضر عبدالباقي محمد

١٤٣٨هـ -٢٠١٧م





اللغة العربية في نيجيريا
ملامح تاريخية ومشخصات الواقع

الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧م

المملكة العربية السعودية - الرياض
ص.ب ١٢٥٠٠ الرياض ١١٤٧٣
هاتف:٠٠٩٦٦١١٢٥٨٧٢٦٨ - ٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٨٢
البريد الإليكتروني: nashr@kaica.org.sa

ح/ مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي
لخدمة اللغة العربية، ١٤٣٨هـ.
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
محمد، الخضر عبدالباقي
اللغة العربية في نيجيريا./ الخضر عبدالباقي محمد.- الرياض، ١٤٣٨هـ
..ص؛ .. سم
ردمك: ٢-٨-٩٠٨٩٥-٦٠٣-٩٧٨
١ - اللغة العربية-تعليم-نيجيريا أ. العنوان
ديوي ٤١٠,٧ ١٤٣٨/٧٢٣٢
رقم الإيداع: ١٤٣٨/٧٢٣٢
ردمك: ٢-٨-٩٠٨٩٥-٦٠٣-٩٧٨

التصميم والإخراج
دار وجوه للنشر والتوزيع
Wojooh Publishing & Distribution House
www.wojoooh.com
المملكة العربية السعودية - الرياض
الهاتف:4562410 الفاكس:4561675
للتواصل والنشر:
info@wojoooh.com



كلمة المركز

يعتني مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية برصد حضور العربية في أنحاء العالم غير العربي، ويهتم بتقديم المعلومات الموثّقة لتاريخها وحاضرها، كما يهتم ببناء أدلة للمعلومات تيسّر التواصل على الباحثين والمؤسسات الثقافية داخل الوطن العربي وخارجه. كما يجتهد المركز في رصد مجالات العربية التي لم تحظَ بالدراسة الكافية، وقد وضع أُطراً علمية في خططه يتعيّن عليه أن يوسّعها بحثاً ودرساً؛ لتكون منارة يستعين بها الأفراد والمؤسسات الذين يعملون في خدمة العربية في هذا النطاق، حيث نؤمن بأن خدمة اللغة تنبع من تصور واقعها، ومعرفة مجالات انتشارها وتقاطعها مع غيرها، وتتبُّع أوجه التأثر والتأثير في محيطها، لاسيما عندما نتحدث عن اللغة في بيئة خارج نطاقها الطبيعي.

وكلما توغل المركز في صقع من أصقاع المعمورة (مثل: الصين وإندونيسيا، وتركيا، والهند، وإسبانيا، وماليزيا، والولايات المتحدة...) عجب من عمق الحضور التاريخي للعربية فيها، وسعد بذلك، وباستمرار توقُّد الرغبة في زيادة نفوذ العربية وانتشارها، وتطلّع المختصّين إلى إتقانها والتبحّر في البحث فيها. والعجب يزداد في بعض الدول غير الإسلامية، أما الدول الإسلامية – مثل نيجيريا – فلا غرو أن يكون للغة العربية حضورها العميق المؤثر فيها، كيف لا وهي لغة القرآن، كما أنها الحاضن التاريخي الثقافي

الوثيق بين العرب وإخوانهم من سائر القوميات والأعراق.

ومن ضمن مشروعات المركز التي يعمل عليها في دعم العربية دولياً (برنامج النشر)، ويتضمن هذا البرنامج مجموعة من سبل التأليف وطرائق جمع المعلومات وتقديمها، ومنها (جمع الأبحاث التخصصية)، وهو مشروع ينهض له أحد المختصين في موضوع محدد بإشراف المركز ومتابعته، فيجمع كل ما تصل إليه يده من أبحاث في هذا الموضوع، ثم ينتخلها ويرتّبها ويبوّبها، ويحرر ما يحتاج فيها إلى تحرير، ثم يضمها كتاباً نسعد بتقديمه للقارئ الكريم، مثل هذا الكتاب بين يديك، الذي عمل الدكتور الخضر عبدالباقي محمد فيه على جمع الأبحاث المكتوبة في المؤسسات العلمية النيجيرية عن اللغة العربية في نيجيريا؛ بهدف تقديم تصوّر واضح عنها تاريخاً وواقعاً، مما سيكون جاذباً للباحثين وللمؤسسات الثقافية لمواصلة السبيل البحثي والتجسير العلمي والمعرفي بين الأطراف المتباعدة.

والمؤمّل أن يكون هذا الكتاب فاتحةً لكتبٍ أخرى، ولمشروعات عمليّة تتكامل في النهوض بها المؤسسات العلمية العربية والنيجيرية، وأن يكون وسيلةً من وسائل التجسير والتواصل بين المختصين العرب والنيجيريين، وأن يكون نافذة يطّلع من خلالها المعنيون بالثقافة العربية على امتداداتها في نيجيريا، ويقدرونها بما هي أهل له.

والدعوة قائمة لكافة المؤسسات اللغوية العربية في نيجيريا والوطن العربي لبذل مزيد من الجهود في التقارب؛ لدعم حضور العربية في نيجيريا، والوفاء ببعض حق هذه اللغة الشريفة.

أحتفي كثيراً بما قام به محرر الكتاب د.الخضر عبدالباقي محمد، وأشيد بالمجهود العلمي البارز للمشاركين في بحوثه وموضوعاته، وأتطلع إلى مزيد من الأعمال العلمية التي تتناول العربية في نيجيريا، وأن تتكامل الجهود العلمية مع الجهود التنفيذية المباشرة في التعاون والتكامل بين المؤسسات ذات الأهداف المشتركة.

سدد الله الجهد والرأي .

الأمين العام للمركز

د.عبدالله بن صالح الوشمي

مقدمة: كلمة المحرّر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد؛
تحظى اللغة العربية بمكانة مرموقة بين لغات العالم لاعتبارات عديدة، في مقدمتها المكانة الدينية ذات القداسة التي تتمتع بها لدى أكثر من مليار ونصف المليار مسلم في العالم، فقد اختارها الله لينزل بها أفضل كتبه على أفضل رسله. وبالتالي فهي إحدى اللغات الحية والمتفاعلة مع باقي لغات الشعوب والأجناس والحضارات. وعلى هذه الخلفية أصبحت اللغة العربية وعاء الثقافة الإسلامية والأداة المثلى لمعرفة مبادئ الدين الحنيف، وهي اللغة الوحيدة في العالم التي ترتبط بالدين ارتباطاً لا انفصام له، ومما لا شك فيه أنّ الكثير من الشعوب والقوميات دخلوا في إطار العربية، وانصهروا في البوتقة الثقافية العربية تماماً من هذا الباب الواسع، على الرغم من وجود حواجز واعتبارات إثنية جغرافية وسياسية وغيرها.

على هذه الخلفية؛ سجّل التاريخ حضوراً واضحاً وإنجازات ملموسة للغة العربية في مجتمعات أفريقية مختلفة، وظهر ذلك جلياً من خلال مجموعة من المعالم الحضارية والثقافية التي أفرزتها الثقافة العربية في حياة الأفارقة، فقد كان لقيام عدد من الدول والإمبراطوريات الأفريقية الإسلامية آثاره الفاعلة في إحياء الثقافة العربية في بلدان أفريقيا المختلفة. وتعدّ نيجيريا واحدة من أبرز المناطق التي شهدت حضوراً ملموساً

ومكثّفاً للغة العربية، والتي تجذّرت في أرجائها وترعرعت على أراضيها، حتى أصبحت تمثّل عنصراً مهماً في حياة الشعب النيجيري المسلم، وغدت للتعليم العربي قيمة اجتماعية كبيرة ودلالة ثقافية عميقة في الساحة النيجيرية.

ويصدر هذا الكتاب بعنوان «اللغة العربية في نيجيريا: ملامح تاريخية ومشخّصات الواقع»، وتهدف فكرته في الأساس إلى إعداد كتاب مرجعي في مجال المعلومات التاريخية والتطورات المعاصرة لواقع اللغة العربية في دولة نيجيريا، نشأةً وتدريساً ومؤسسات؛ وشخصيات عملوا لنشرها وتطويرها، وهو واحد من مشروعات مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية التي انطلقت لجمع الأبحاث التخصصية وإعادة نشرها؛ لغرض تمتين جهود المركز في مجال النشر، وتحسين علاقاته بالمختصين في البلدان المختلفة. ويجمع الكتاب بين طياته مجموعة دراسات وأبحاث عن واقع اللغة العربية في دولة نيجيريا، أكبر دولة أفريقية سكاناً وكثافة مسلمة، وعلى ضوء الأهداف العامة للمشروع والضوابط المنظّمة للأبحاث المنتقاة؛ اعتمدت آلية العمل للكتاب في مرحلته الأولى على المنهجية المسحية لمعظم الكتابات والمقالات العلمية المنشورة عن اللغة العربية في دولة نيجيريا، ونظراً لكثرة الكتابات في مجال اللغة العربية في نيجيريا وتعدد مصادرها، لاسيما أن الكتاب معنيٌّ بالأبحاث العلمية الرصينة المنشورة، تمت مخاطبة الأساتذة المعنيين بالأمر في الجامعات النيجيرية، أعقبها القيام بزيارات ميدانية إلى بعض أقسام اللغة العربية في الجامعات النيجيرية، بالإضافة لمسح مختلف الأوعية المعرفية والمجلات العلمية المتخصصة، للوصول إلى عنوانات ذات صلة بالموضوع، وتم الأخذ في الاعتبار في الأبحاث المختارة: التوزيع الجغرافي للبيئات والمناطق تبعاً لاهتمامات تلك الأبحاث، وكذلك تنوّع انتماء الباحثين وتمثيلهم للمؤسسات الأكاديمية والجامعات النيجيرية المختلفة. وينتمي الباحثون إلى ثماني مؤسسات أكاديمية وبحثية نيجيرية مختلفة، وأكثر من تسع شخصيات من الأساتذة الكبار المتخصصين الرواد، وانتظم عقده في أربعة فصول: تناول الفصل الأول الملامح التاريخية لنشأة اللغة العربية ورصد مشخّصات واقعها، وعرض الفصل الثاني لواقع اللغة العربية في مؤسسات التعليم العام في نيجيريا، وناقش الفصل الثالث موضوع اللغة العربية في التعليم الجامعي في نيجيريا، وفي الفصل الرابع الأخير استعراض لمدى تغلغل اللغة العربية في العمق الثقافي النيجيري عبر الأجناس الأدبية المختلفة: الشعر والقصة والرواية،

بالإضافة لعرض جهود الأفراد في نشرها وتعليمها. وكلنا أمل في أن تكون تلك الدراسات والأبحاث التي احتواها هذا الكتاب قد قدّمت إضاءات وإضافات معرفية مهمة؛ تشفي نهم القارئ المتعطش للمعلومات عن اللغة العربية وثقافتها في نيجيريا، وفي الختام؛ كل الشكر والتقدير لمركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية ممثلاً في أمينه العام والفريق العامل معه في هذا الصرح العلمي المتميّز، على ما قدّموا من خدمات وتسهيلات حتى ظهر الكتاب بشكله الحالي، والشكر ممتدّ للأساتذة الباحثين كلٍّ باسمه، سدّد الله خطانا جميعاً لما فيه خير البلاد والعباد، والله الموفّق والمستعان.

مدينة لاغوس – نيجيريا

١٥ جمادى الأولى ١٤٣٨هـ/ ١٢ فبراير ٢٠١٧م

د. الخضر عبدالباقي محمد

مدير المركز النيجيري للبحوث العربية

أستاذ الإعلام الدولي المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

ooo

الفصل الأول:

اللغة العربية في نيجيريا:
خلفية تاريخية ومراحل التطوّر

اللغة العربية في نيجيريا:
النشأة وعوامل الانتشار ملامح تاريخية عامة

البروفيسور تيجاني المسكين وآخرون

أستاذ اللغة العربية، جامعة ميدغري - نيجيريا

يحاول هذا الجزء إعطاء فكرة موجزة عن وصول الإسلام والتعليم العربي إلى نيجيريا، ثم الإشارة إلى أهم العوامل التي ساهمت في نشرهما في هذا البلد، ليكون ذلك أساساً لمعرفة مناهج التعليم العربية وطرقه ووسائله العديدة المستعملة في المدارس والمعاهد النيجيرية. وإنّ أهمّ ما يرمي هذا الجزء إلى تحقيقه من الأهداف هو أن يتمكّن القارئ في نهايته من معرفة كيفية وصول الإسلام والتعليم العربي وانتشارهما في نيجيريا، وكذلك أهم العوامل التي ساهمت في ذلك.

الإسلام والتعليم العربي في نيجيريا:

لم تكن نيجيريا معروفة باسمها الحالي وبشكلها المتعارف عليه اليوم إلا في أواخر القرن التاسع عشر، حينما ظهر في أراضيها المستعمرون واستولوا عليها وأطلقوا عليها هذا الاسم، لكنّها قبل ذلك كانت منطقة تضمّ عدة ممالك وولايات موزّعة؛ تختلف في قوتها وحجمها، كما تختلف شعوبها من حيث العادات والتقاليد، وكانت معروفة لدى العرب ببلاد السودان أو بلاد التكرور. وفيما يخص وصول الإسلام إلى بلاد نيجيريا، وخاصة إقليمها الشمالي، فإنّ أكثر المؤرخين والدارسين يشيرون إلى أنّ المنطقة بدأت تتلقى الموجات الإسلامية فيما بين القرنين الحادي عشر والرابع عشر الميلاديين، فيقولون

إن الإسلام دخل أولاً في منطقة كانم – برنو القديمة في القرن الحادي عشر الميلادي، حين أعلن الملك حمي جلمي، وهو الملك الثاني عشر من ملوكها، إسلامه على يد الداعية الإسلامي الشيخ محمد بن ماني، ثم قام بمجهود كبير في نشره في الدولة.

وأمّا في بلاد الهوسا؛ فإنهم يقولون إنّ الإسلام دخل في كنو مثلاً في القرن الرابع عشر الميلادي، وإنّ أول ملك أسلم فيها هو علي ياجي (1349-1385) (Aliyu Yaji)، وانتشر الإسلام في عهده. فهذه الروايات تشير إلى الاعتناق الرسمي للإسلام من قبل الدولة في كل من مملكة كانم – برنو، وبلاد الهوسا التي تمثلها ولاية كنو. لكن هناك شواهد تاريخية تدل على أن الإسلام قد شقّ طريقه إلى كل من هذين البلدين بواسطة العلماء والتجّار الزّوار قبل أن يحظى بالقبول الرسمي من قبل الدول بفترات طويلة، فالمصادر المحلية لتاريخ كانم – برنو مثلاً تشير إلى أنّ الداعية الإسلامي محمد بن ماني قد عاصر أربعة من ملوك كانم قبل حمي جلمي، وأنّه قد درّس كل واحد منهم شيئاً من القرآن الكريم، قبل أن يعلن حمي جلمي إسلامه ويتخذ الإسلام ديناً رسمياً للدولة. وتشير المصادر كذلك إلى أنّ هناك علاقات تجارية قويّة بين بلاد كانم – برنو وبلاد الهوسا من طرف، وبلاد شمال أفريقيا وبعض من البلاد العربية كتونس ومراكش وليبيا ومصر وغيرها من طرف آخر. فمن المحتمل جداً أن يكون الإسلام قد وجد طريقه إلى بلاد كانم – برنو وبلاد الهوسا في وقت مبكّر بواسطة التجّار، وأخذ ينتشر على نطاق واسع في أوساط الأفراد والشعوب، قبل أن يحظى بالاعتناق الرسمي من قبل الملوك. وفيما يتصل باللغة العربية، أو الثقافة العربية بصفة عامة، فإن وصولها إلى البلاد النيجيرية لم يكن منفصلاً عن الدين الإسلامي، فيقدّر أنّ الفترة التاريخية التي بدأت فيها البلاد النيجيرية تتلقى موجات الدين الإسلامي هي بالضبط الفترة التي شهدت بداية ظهور اللغة العربية في المنطقة، إذ إن اللغة العربية وثقافتها وآدابها كانت – ولا تزال – ترافق الدين الإسلامي حيثما توجّه، فلم يضع الإسلام قدميه في بقعة إلا واللغة العربية معه. وذلك أن اللغة العربية هي الواسطة الكبرى إلى فهم رسالة الإسلام. ففهم هذا الدين والعمل بتعاليمه يتطلّب بالضرورة تعلّم شيء من العربية وحفظ شيء من السور القرآنية وغيرها من بعض النصوص الدينية العربية، وعلى هذا يقول المستشرق ج. س. تريمنغهام ملاحظاً هذه الظاهرة: «إنّ الجانب الجديد بالاهتمام في انتشار الإسلام هو العلاقة بين عوامل اللغة والعوامل الدينية، إذ إن انتشاره، في أي مكان كان، يأتي مصحوباً بتلقّي المفردات العربية».

فقد انتشرت اللغة العربية وثقافتها وازدهرت ازدهاراً واسعاً في بلاد نيجيريا، عبر العصور، بجانب دين الإسلام، حيث اتُّخذت لغة رسمية في مملكة كانم - برنو، وممالك الهوسا، والخلافة العثمانية في سكوتو، وفيها كانت تصدر المراسيم، وتُجرى المراسلات، وتُدوّن القرارات السياسية والقضائية، وتُبرم العقود التجارية، وغير ذلك. هذا كله إلى جانب استعمالها لغة للدين حيث تقام بها الشعائر الدينية، والتعليم حيث كانت - ولا تزال - تُتخذ وسيلة لنشر التعليم الديني، وتأليف الكتب، ونظم القصائد الشعرية، وظلّت اللغة العربية وثقافتها تتمتّع بنفوذ قوي في شمالي نيجيريا عبر القرون والعصور، حتى مطلع القرن العشرين حين ظهر المستعمرون الأوروبيون، وقاموا بتقليص نفوذها وعزلها عن الساحة السياسية والإدارية، واستبدال اللغة الإنجليزية بها.

عوامل انتشار الإسلام والتعليم العربي في نيجيريا:

لقد ساعد في انتشار الدين الإسلامي والتعليم العربي عوامل عدّة، ولعل أهمّها يتلخّص فيما يلي:

١ . دور التجّار والدّعاة الزُّوّار:

تفيد المصادر التاريخية أن هناك علاقات تجارية وثقافية قديمة بين البلاد النيجيرية وبين البلاد العربية، فيذكر مثلاً أنّ هناك علاقة قويّة بين ملوك مملكة كانم - برنو وسلاطين بلاد مصر وليبيا وتونس ومراكش وغيرها، كما يذكر أنّ هناك علاقات تجارية وثقافية قوية بين ممالك الهوسا والبلاد المذكورة أعلاه، إلى جانب بعض البلاد السودانية كبلاد مالي والسنغال والنيجر وغيرها من البلدان. فالتجّار الذين كانوا يقدُمون إلى بلاد نيجيريا من البلاد المذكورة ببضائعهم للتجارة، كانوا في الوقت نفسه هم حملة مشاعل الإسلام وتعاليمه، فكم كان لمعاملاتهم وتصرّفاتهم المتسمة بالتعاليم الإسلامية الحميدة أثر في الأفراد والشعوب الذين يضيّفونهم، وكم كان للاتصال المتكرّر بين الطرفين من أثر في نشر اللغة العربية وثقافتها.

ولا يقل الدعاة كذلك شأناً عن التجّار في هذا المجال، إذ سجّل التاريخ نتائج ملموسة لإسهامهم في نشر الإسلام والثقافة العربية في هذه البلاد، فالطبقة الحاكمة لمملكة كانم - برنو كانت تدين في إسلامها لأحد الدعاة الوافدين من فزّان (ليبيا)،

هو الشيخ محمد بن ماني، الذي أسلم على يديه عدد من الملوك السيفيين، وتمّ بجهوده اتّخاذ الإسلام ديناً رسمياً للدولة أيام الملك حمي جلمي، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً. كما لا يخفى علينا جهود بعض العلماء الزوّار الذين أسهموا بصورة فاعلة في هذا المجال، أمثال الشيخ محمد بن عبدالكريم المغيلي، الذي وفد من تلمسان (الجزائر) إلى ولايتي كنو وكتسنه، وساهم في نشر التعليم الإسلامي والثقافة العربية في بلاد الهوسا.

٢. فريضة الحج:

وتعدّ فريضة الحج من العوامل الرئيسية التي ساهمت في انتشار الإسلام والتعليم العربي في بلاد نيجيريا، وذلك لما لها من إتاحة الفرص للحجّاج، بمن فيهم الملوك والأمراء وحواشيهم التي تضم العلماء والفقهاء، للاتصال بأقرانهم في البقاع المشرّفة وسائر البلاد العربية الإسلامية، والنهل من مناهلها العلمية والثقافية. وتذكر المصادر التاريخية أن شخصيات عديدة قد اعتنت بفريضة الحج، ونتج عن ذلك تطوّر التعليم العربي في بلاد نيجيريا، فاشتهر في هذا المجال من ملوك كانم – برنو وأمرائها السلطان دونمه بن حمي (١٠٩٨ – ١١٥٠م)، الذي أدّى فريضة الحجّ ثلاث مرّات ووافته المنية وهو في طريقه إلى الحجّة الرابعة. كما اشتُهر عدد كبير من ملوك هذه المملكة في هذا المجال، بدليل تلقّب معظمهم بلقب «الحاج» كما يلاحظ ذلك في سجل تواريخهم «ديوان سلاطين برنو». وممن اشتُهروا في هذا المجال من العلماء: الشيخ محمد بن عبدالكريم المغيلي الذي سبق ذكره، والشيخ محمد بن محمد الفلاني الكشناوي (ت ١٧٤١م)، الذي ولد في كتسنه وتُوفّي في القاهرة في طريق عودته من الحج. وكانت له إسهامات ملموسة في نشر الإسلام والتعليم العربي، تتمثل في عدد من المؤلفات يُحتفظ بمعظمها في بعض مكتبات القاهرة. ومنهم كذلك الشيخ جبريل بن عمر الذي كان مدرّساً للشيخ عثمان بن فودي وأخيه عبدالله، فقد زار الشيخ جبريل الحجاز وحجّ مرّتين وأقام مدّة من الزمن في الحجاز ينهل من مناهلها العلمية، قبل عودته إلى وطنه وقيامه بنشر التعليم الإسلامي والعربي. ومنهم الشيخ محمد الأمين الكانمي الذي تلقّى بعض تعليمه في الحجاز لما رافق والده إلى هناك، إلى جانب تعليمه في مدينة غزرغمو.

فليس من السهل حصر عدد الملوك والأمراء والعلماء الذين قاموا بزيارة الحجاز وسائر البلاد العربية بقصد أداء فريضة الحج والنهل من مناهلها العلمية. وذلك لكثرة

من كانوا – ولا يزالون – يقومون بأداء فريضة الحج لكونها ركناً من أركان الإسلام، لكنّ الظاهر أنّ كثيراً من الحجّاج، بمن فيهم الأمراء والعلماء والأفراد، قد أسهموا في نشر الإسلام والتعليم العربي في بلاد نيجيريا، إمّا في طريقهم إلى الحجّ أو العودة منه، وذلك إمّا بإفادتهم بما تلقّوه من صنوف العلم والمعرفة، أو استفادتهم ممن صادفوه من العلماء والفقهاء والأدباء الأماجد في البلاد العربية، أو في طريقهم إليها أو العودة منها.

٣. إنشاء المدارس والمعاهد:

ومن أهمّ العوامل التي ساهمت في نشر الإسلام والتعليم العربي في بلاد نيجيريا إنشاء المدارس والمعاهد الدينية بمختلف أنواعها في مختلف مدن شمالي نيجيريا وقراها، ويعود تاريخ إنشاء هذه المدارس إلى عهد ظهور الإسلام في ربوع هذه المنطقة، أو إلى ما بعده بقليل، إذ إنّ اهتمام الملوك والزعماء والشعوب بالتعليم يبدو من أولوياتهم بعد دينونتهم بالإسلام. وتتمثّل هذه المدارس في المدارس القرآنية أو الكتاتيب، حيث يركّز الاهتمام فيها على التعليم القرآني، والمعاهد الدينية التي تنصب العناية فيها على العلوم الدينية كالفقه والحديث والتفسير والتوحيد، وعلوم اللغة كالنحو والصرف والبلاغة والأدب، وغير ذلك. وقد انتشر كل من صنفي هذه المدارس والمعاهد في بلاد كانم – برنو وبلاد الهوسا، فقد اشتُهرت في هذا المجال مدينة غزرغمو، عاصمة مملكة برنو القديمة، المؤسسة في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، ومدن: كنو، وكتسنه، وزاريا، وسكوتو، وغيرها من المدن والقرى في شمالي نيجيريا، حيث كانت – ولا تزال – تنتشر هذه المدارس والمعاهد بأعداد كبيرة. ولقد كان لهذه المدارس والمعاهد أثر ملموس في رقي التعليم العربي، إذ ظلّت إلى الوقت الراهن جزءًا لا يتجزّأ من ثقافة الشعب النيجيري المسلم وحضارته، وهي تمثّل هويته وكيانه وشخصيته التي لا ينفصل عنها.

المناهج التقليدية للتعليم العربي في نيجيريا:

إنّ الحديث عن المناهج المتّبعة في التعليم العربي، سواء التقليدية منها أو الحديثة، لا يتمّ بدون الإشارة إلى المدارس أو المعاهد أو المؤسسات التي تتولّى عملية التعليم. فمن هنا تلزمنا العودة إلى ذكر أهم الجهات التي كانت – ولا تزال – تتبع المناهج التقليدية في التعليم العربي في نيجيريا. فمن أهمّ هذه الجهات:

١. المدارس القرآنية:

وكما ذكرنا سابقاً، فإنّ لهذا الصنف من المدارس تاريخاً عريقاً وأصولاً ثابتة في المجتمع النيجيري المسلم، إذ لا تزال هذه المدارس تلعب دوراً خطيراً في تقدم الإسلام والتعليم العربي في نيجيريا، وتكاد لا تخلو منها مدينة من مدنها أو قرية من قراها، لاسيّما في ولاياتها الشمالية، فهي تنتشر بأعداد كبيرة مثلاً في ولايات: برنو، ويوبى، وبوتشي، وكنو، وجغاوا، وكتسنه وسكوتو، وكدونا، وأدماوا، وغومبي، وغيرها. وتفيد بعض الإحصاءات التي أجريت حول المدارس القرآنية في شمال نيجيريا في الستينات أن عددها يربو على ٢٧،٠٠٠ مدرسة، كما أن عدد التلاميذ فيها يبلغ ٤٢٢،٩٥٤ تلميذاً. وإنّ التعليم في هذه المدارس يتركّز أساساً على التعليم القرآني قراءة وحفظاً وكتابة. ويكاد يكون المنهج المتّبع في تعليم القرآن واحداً تقريباً في جميع المدارس المنتشرة في الولايات الشمالية، اللهم إلا بعض الفروق الجزئية التي قد تبدو في بعضها عن بعض لاختلاف البيئات والتقاليد، والتعليم في هذه المدارس عادة يقسّم إلى مراحل منها:

أ. مرحلة الكتاتيب:

وهي المرحلة الأولى، حيث يلتحق التلميذ أو التلميذة بأحد الكتاتيب عندما يبلغ أو تبلغ من العمر خمس سنين أو أقل أو أكثر. ويبدأ التلميذ تعلّمه بحفظ سورة الفاتحة والسور المكوّنة للجزء الأخير من القرآن (سورة الناس إلى الأعلى) شفاهاً بتلقين من المعلم.

ب. مرحلة اللوح:

وعند بدوّ أمارات نضوج ذاكرة التلميذ ومقدرته الحفظيّة في المرحلة السابقة، يوجّه التلميذ إلى التعرف على الحروف الهجائية، وهي مرحلة جديدة في نظام الكتاتيب، حيث يؤمر التلميذ باتّخاذ «اللوح» وتُكتب الحروف الهجائية أولاً غير مشكّلة ليتعّلمها، ثم يكتب له بعض من تلك السور القصار ابتداءً من الفاتحة فالمعوذتين فالإخلاص فالمسد، وهكذا إلى أن يصل إلى سورة الفيل أو الهُمزة، ثم يعود إلى هذه السور وهي مشكّلة ويطالب بحفظها. فهذه العملية تجعله يتعرّف على الحروف الهجائية وصورها في الكتابة، وتؤهله لتعلم القراءة، كما تسعفه في توطيد حفظه لتلك السور التي حفظها

في المرحلة الأولى. ويواصل التلميذ تعلّمه في هذه المرحلة بقراءة ما يتراوح بين الحزبين (من سورة الناس إلى النبأ) والأحزاب الخمسة الأخيرة من القرآن (من سورة الناس إلى الجمعة) وحفظها، كما يتعلّم كتابة الحروف القرآنية على اللوح في هذه المرحلة، بعد أن كان المعلم يتولّى كتابتها له في المرحلة الأولى.

ج. مرحلة التحفيظ:

وهي المرحلة المتقدّمة، حيث يباشر التلميذ حفظ القرآن بكامله بعد إتقانه للقراءة ومعرفة الرسم القرآني في المرحلتين السابقتين. فيطالب ابتداء بالقراءة والحفظ من سورة البقرة، ثم يستمر في ذلك بصورة تنازلية إلى أن يكمل القرآن برمته. وطريقة الحفظ في هذه المرحلة هي أن يكتب التلميذ ثمناً أو ربعاً أو نصفاً من أحزاب القرآن على اللوح ثم يأتي إلى المقرئ الذي يُقرؤه إياه بدقة، مشيراً في ذلك إلى جميع أماكن المّد والإدغام والوصل والوقف ومخارج الحروف وما إلى ذلك، ثم ينصرف التلميذ لحفظ هذا الثمن أو الربع أو النصف المخصّص للقراءة، حتى إذا أتقن حفظه عاد إلى المقرئ وأسمعه إيّاه، فإذا اقتنع بجودة قراءته وحفظه، أمره بالمضي إلى الثمن أو الربع أو النصف الذي يليه. وهكذا يواصل في هذه العملية حتى يحفظ القرآن بأكمله، وتختلف مدة الحفظ حسب اختلاف قوة ذاكرة التلميذ، لكنها في الغالب تتراوح بين ثلاث سنوات وخمس، وربما زادت على ذلك. ويخضع التلميذ قبل أن يتخرّج من هذه المدرسة لامتحانات من قبل معلميه وزملائه التلاميذ، في حلقات القراءة التي يحضرها، حيث يعرض لوحه ويقرأه على مسامعهم، فينتبه الجميع إلى جودة قراءته من حيث النطق الصحيح للحروف، والالتزام بالوقفات والمدود والإدغام والإظهار والإخفاء في مواقعها، والإشارة إلى أخطائه إن وجدت. ويطالب التلميذ بعد اجتياز الامتحانات في بعض المناطق، وخاصة في برنو، بكتابة القرآن عن ظهر القلب دلالة على قوة حفظه للقرآن، فيعطي النسخة الأولى لمعلمه الذي يقوم بمراجعته، والتأكد من جودة الكتابة وسلامتها من الأخطاء. وبعد المرور بكل هذه المراحل، والاقتناع من قبل معلميه بجودة حفظه لكتاب الله، يلقّب التلميذ في حفلة خاصة تعقد لتكريمه بألقاب تدل على مهارته في التعليم القرآني، فيلقب بألقاب نحو غوني Goni أو غنغران Gangaran أو ماهر أو حافظ، وما إلى ذلك من الألقاب.

ويبدو من هذا المسح السريع على المدارس القرآنية ومناهج التعليم فيها أنّ التعليم القرآني هو الأساس في نشاطها التعليمي، وذلك لإيمان المعلمين ومؤسسي هذه المدارس واعتقادهم بأنّ قراءة القرآن وحفظه غاية في ذاتها، ومجال تخصصي مستقل، وأنّ كل من حفظ كتاب الله قد سلك زمام العلوم والمعارف، وأن فهم معنى رسالته كذلك غاية أخرى في ذاتها، ومجال تخصصي مستقل أيضاً، يتطلّب الالتحاق بالمدارس الخاصة بذلك. ويلاحظ أنّ استعمال اللغة العربية كلغة للتعليم في ظل هذا النظام يكاد يكون معدوماً، إذ الاهتمام منّصب فيه على جانب القراءة والكتابة والحفظ، دون الالتفات إلى جانب المعنى الذي يدرك بواسطة معرفة اللغة العربية، فالتلميذ قد يكون حافظاً للقرآن وماهراً في قراءته، لكنه – مع ذلك – لا يجيد التحدث أو التعبير بالعربية، لعدم ممارسته ذلك بتاتاً في هذا النظام التعليمي.

٢. معاهد العلوم الدينية:

ولهذه المعاهد أيضاً تاريخ طويل في ولايات نيجيريا الشمالية، كما تنتشر بأعداد كبيرة في كل المدن والقرى تقريباً، وهي لا تعدو كونها حلقات علمية يعقدها الشيوخ في بيوتهم لتعليم الناس العلوم الدينية، التي تضم علوم أصول الدين والشريعة واللغة، فمن الشيوخ من هو متفنّن، أي من يجمع بين هذه العلوم الثلاثة، ومن هو متخصّص، أي من هو مختص بتدريس علم واحد من العلوم الثلاثة، أما منهج الدراسة في هذه المعاهد فهو كذلك ينقسم إلى مراحل منها:

أ. مرحلة الابتداء بالكتب الدينية السهلة:

حيث يشرع التلميذ في تعلّمه بقراءة كتيبات كمختصر الأخضري، ومتن العشماوي، ومنظومة القرطبي في الفقه، وكتاب أم البراهين، وكتاب أصول الدين للشيخ عثمان بن فودي في التوحيد، والأربعين حديثاً النووية في الحديث.

ب. المرحلة المتوسطة:

يواصل التلميذ تعلّمه في هذه المرحلة بقراءة كتب تتقدم في مستواها على الكتب السابقة، كالمقدّمة العزية ورسالة ابن أبي زيد القيرواني وكتاب إرشاد السالك للعسكري في الفقه المالكي، كما يباشر بعض الكتب اللغوية السهلة بالدراسة، وهي تضم كتباً كمتن الأجرومية وملحة الإعراب في النحو، والمنظومة البيقونية في مصطلح الحديث.

ج. المرحلة المتقدّمة:

يخوض التلميذ، بعد الوقوف على أساس صلب من العلوم الدينية والشرعية واللغوية في المرحلتين السابقتين، في دراسة متقدّمة في شتى العلوم والفنون، فيدرس في اللغة مثلاً: ألفية ابن مالك، وقطر الندى لابن هشام، ومقامات الحريري، والمعلّقات الست، والعشرينيات، وغيرها. كما يدرس في الحديث مثلاً: موطأ مالك، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم. ويدرس في الفقه: مختصر خليل، والمدوّنة الكبرى، وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد. وفي التفسير يدرس كتباً نحو: تفسير الجلالين، وتفسير القرطبي، وضياء التأويل لعبدالله بن فودي، وغير ذلك. ويدرس التلميذ في هذه المرحلة إضافة إلى ما تقدّم طرفاً من كتب الحساب، والبلاغة، والمنطق، والعروض وغير ذلك من فنون المعرفة. وإذا عدنا إلى منهج الدراسة تحت هذا النظام، باعتبار كتب القراءة، نجد أنّه يختلف من منطقة لأخرى في شمالي نيجيريا، لكنّه يكاد يكون موحداً باعتبار منهج التدريس، وهو أنّ كل طالب أو تلميذ يقوم بقراءة درسه في الكُتّاب ويتبع الشيخ ذلك بشرحه باللغة المحلية، فإذا كان للشيخ ثلاثون طالباً مثلاً، فهذا يعني أنّ له ثلاثين فصلاً؛ إذ كل طالب يعتبر في مرحلة خاصة، ومع أنّ عدداً من الطلبة قد يجتمعون في كتاب واحد، إلا أنّك تجدهم في أبواب مختلفة أو فصول متفرقة. لذلك يتعيّن على الشيخ أن يشرح لكل واحد منهم درسه على حدة.

فمن مشكلات هذا المنهج التدريسي أنّه يستدعي من الشيخ قضاء ساعات طويلة في التدريس، وامتداد ذلك من الصباح إلى المساء في معظم الأحايين، إذ ليس له عمل غيره ولا يتقاضى عليه مرتباً شهرياً، وإنما يقوم به ابتغاء وجه الله تعالى. ومنها كذلك عدم الامتحان عند نهاية الدراسة، فالطالب له الحرية الكاملة في أن يذاكر دروسه أو لا يذاكر. فإنّ عدداً كبيراً منهم، لذلك، لا يهتم بالمذاكرة فتمضي عليه فترة طويلة من غير أن يفهم شيئاً، ومن مشكلاته كذلك الاهتمام بجانب الترجمة الحرفية أكثر من المعنى المراد الذي هو أهّم شيء. لذلك نجد الكثيرين من الطلبة المتعلمين تحت هذا النظام يجيدون الترجمة الحرفية ولكنّهم لا يفهمون المعنى المقصود للنصّ المقروء، كما أنّ دائرة تفكيرهم محدودة جداً بسبب أنّ العرف لا يسمح لهم بمناقشة شيوخهم في أية مسألة، لاسيّما إذا كانت متصلة بأمر الدين، لذلك فإنّ روح المناقشة معدومة بالمرّة على أهميتها. وفيما يخصّ استعمال اللغة

العربية في ظلّ هذا النظام؛ نجد أنّ الطالب قد يحفظ نصوصاً أو متوناً عديدة من أمّهات الكتب، وقد يكون ملّماً بقواعد اللغة، لكنّه مع ذلك لا يجيد التحدّث أو التعبير بالعربية لعدم الممارسة، وللاعتماد على اللغة المحلية في التعليم في غالب الأحيان.

المناهج الحديثة للتعليم العربي في نيجيريا.

نحاول في هذ الجزء أن نتعرّف على بعض من المناهج الحديثة للتعليم العربي في نيجيريا، وذلك بالتركيز على أهمّ المعاهد والمؤسسات التي ينطلق منها التعليم حسب النظام الحديث، وأهم مميّزات المناهج الحديثة تجاه التعليم العربي. وبداية تختلف المناهج الحديثة عن المناهج التقليدية للتعليم العربي من حيث إن الدروس في الأولى تُتلقّى في فصول منظّمة، ومقسّمة إلى حصص معدودة، تنتهي في فترات زمنية معيّنة. في حين أنّ الدروس في الأخيرة تُتلقّى في بيوت الشيوخ والمعلمين، أو في المساجد والزوايا، بدون تقسيمها إلى حصص وبلا تحديد زمني.

يخضع التلميذ تحت النظام الحديث لامتحان في كل مادة من المواد التي يدرسها في فترات معينة؛ لتقويم مدى تقدّمه ونجاحه في الدروس التي يتلقاها. كما أنّ الطالب يُمنح في نهاية الدراسة شهادة تدلّ على التعليم الذي تلقّاه في هذه المدرسة، وكل ذلك لا يتوفّر في النظام القديم. ففي النظام التعليمي النيجيري الحديث تشكّل اللغة العربية والدراسات الإسلامية المواد الرئيسية في مراحل التعليم المختلفة، وبإمكاننا أن نمرّ مروراً سريعاً على هذه المراحل، ونرى مدى سير التعليم العربي في كل منها.

١ . المرحلة الابتدائية:

تعدّ أول خطوة في التعليم حسب النظام الحديث، حيث يلتحق التلميذ بالمدرسة عندما يبلغ من العمر ست سنوات، ويتلقّى تعليمه في مختلف المواد بما فيها اللغة العربية والدراسات الإسلامية لمدة ست سنوات. وهناك نوعان من المدارس التي يتوفّر فيها التعليم العربي في نيجيريا:

أ. المدارس الابتدائية الحكومية Government Primary Schools

وهي أقدم النوعين، إذ يعود تاريخ إنشائها إلى عهد ظهور المستعمرين في ربوع هذه البلاد في أواخر القرن التاسع عشر في جنوبي البلاد، وأوائل القرن العشرين في شمالي البلاد. والمستعمرون هم الذين أسسّوا هذا النظام التعليمي، وساعدوا على انتشاره فيما بعد. وتفيد الإحصاءات التي أجريت حول هذه المدارس في الستينات أن عددها بلغ آنذاك ٢,٤٩٠ مدرسة، وأنّ عدد التلاميذ فيها بلغ حوالي ٣٠٦,٢٦٤ تلميذاً في شمالي نيجيريا. وتشكّل اللغة العربية والدراسات الإسلامية المواد الرئيسية في نظام التعليم لهذه المدارس، فالتلميذ الذي يتخرّج من هذا الصنف من المدارس ينال قسطاً من التعليم العربي، بما في ذلك القراءة والكتابة وحفظ بعض السور القرآنية والأحاديث النبوية وبعض الأناشيد الدينية ومبادئ من الديانات كالفقه والتوحيد والتاريخ والتهذيب، غير أنّ ثقافته تكون أوسع في الإنجليزية لكونها لغة التدريس في جل المواد التي يدرسها.

ب. المدارس الابتدائية الإسلامية Islamiyya Schools

وهي المدارس الإسلامية التي أُنشئت غالباً من قبل الأهالي والأفراد والمؤسسات غير الحكومية، على أساس النظام التعليمي الحديث. لكنّ التعليم العربي بما فيه من مواد العربية والديانات يبدو أقوى وأغلب من المواد المدنية في منهجها التعليمي. ويلتحق التلميذ بها في السنة السادسة من عمره غالباً، كما يمتد التعليم فيها لمدّة ست سنوات. ويعود تاريخ إنشاء هذا الصنف من المدارس إلى العشرينات والثلاثينات؛ حينما شعرت بعض الولايات الشمالية بضرورة تأسيس هذه المدارس رغبة في تطوير التعليم العربي، فمن الولايات الأولى التي قامت بمحاولات في هذا المجال ولاية برنو التي قامت بإنشاء مدرسة إسلامية عام ١٩٢٧م وجلب مدرسين من السودان للتدريس فيها، غير أنّ المدرسة لم تدم أكثر من خمس سنوات وأُقفلت لأسباب غير معروفة، وتلتها في ذلك ولايتا سكتو وكنو بإنشاء مدرسة للشريعة عام ١٩٣٥م في كل منهما، يتم التدريس فيها بالعربية. وتوالى انتشار هذا الصنف من المدارس في جميع نواحي نيجيريا وأطرافها، لما بدا في نظامها من نجاح في نشر التعليم العربي وتطوّره في البلاد. ويتمتّع التلاميذ الذين تخرّجوا من هذه المدارس بنصيب عالٍ من التعليم العربي، وبمستوى يفوق مستوى

المتخرجين من المدارس الحكومية، إلا أنّهم يتميّزون بالتدني في اللغة الإنجليزية والمواد المدنية. ويضاف إلى الصنفين المذكورين من المدارس مدارس أخرى ظهرت في الآونة الأخيرة في ساحة التعليم النيجيري، وهي تحاول الجمع بين التعليم العربي والمدني في ظل النظام الحديث، بحيث إنّ التلميذ يتلقّى تعليماً مكثّفاً في كلا الجانبين العربي والمدني. وينتشر هذا الصنف من المدارس في بلاد نيجيريا حالياً تقريباً في كل الولايات، وإن كان عدده لا يزيد على عدد المدارس الممثلة للصنفين. وهي كذلك تقوم بمساهمة لا يستهان بها في مجال التعليم العربي إلى جانب التعليم المدني.

٢. المرحلة الثانوية:

وهي الخطوة التالية للمرحلة السابقة في النظام التعليمي الحديث، ويمتد التعليم في هذه المرحلة لمدّة خمس أو ست سنوات، وينال التعليم العربي تقدّماً ملحوظاً في هذه المرحلة، وإن كان هذا التقدّم يتفاوت باختلاف أصناف المدارس التي تقوم بتوفير التعليم العربي في مناهجها التعليمية، ولعلّ أهمّ المدارس التي تمثّل هذه المرحلة في ظل النظام التعليمي الحديث في نيجيريا هي ما يلي:

أ. المدارس الثانوية الحكومية Government Secondary Schools

وهذه المدارس هي عبارة عن مرحلة تقليدية ينتقل إليها التلميذ بعد إنهاء تعلّمه في المدارس الابتدائية الحكومية. ويكون التعليم فيها بالتركيز على المواد المدنية التي تدرّس باللغة الإنجليزية. ويكوّن التعليم العربي جزءاً من المواد المدروسة في هذه المدارس. فالتلميذ المتخرّج من هذه المدارس تكون ثقافته في المواد المدنية واللغة الإنجليزية أوسع منها في التعليم العربي، لكون اللغة العربية والدراسات الإسلامية تمثّلان جزءاً ضئيلاً من النشاط التعليمي لهذه المدارس. ويعود تاريخ تأسيس هذه المدارس كذلك إلى عهد المستعمرين، الذين قاموا بتأسيس عدد منها في بعض الولايات لتكون مآلاً للطلبة المتخرجين من المدارس الابتدائية، وهي تنتشر بأعداد لا تُحصى في جميع أطراف نيجيريا ونواحيها.

ب. كليات تعليم المعلمين/ وكليات تعليم معلمي اللغة العربية:
Teachers' College / Arabic Teachers' colleges

وهذه المدارس هي عبارة عن مدارس حكومية أنشئت خاصة لتدريب المعلمين ليتحمّلوا مسئولية التدريس في المدارس الابتدائية. وقد قامت الحكومة النيجيرية بإنشائها في الستينات تلبية لرغبة البلاد في الحصول على معلمين مواطنين بعد رحيل المستعمرين. وقد خُصّص بعض من هذه المدارس لتدريب معلّمي اللغة العربية، حيث يكون هناك تدريب مكثّف للمعلمين في التعليم العربي، وقد أنشئ هذا الصنف من المدارس كذلك في الستينات في ولايات: سكتو، وغومبي، وكنو، وكتسنه، وبرنو. وكان التعليم العربي يلقى اهتماماً بالغاً في هذه المدارس إلى جانب المواد المدنية. في حين أنّ التعليم العربي لا يحظى بهذا الاهتمام في كليات تعليم المتعلّمين.

ج. كليات الدراسات الإسلامية العالية Higher Islamic Colleges

وهي عبارة عن مرحلة طبيعية لاحقة للطلاب المتخرّجين من المدارس الابتدائية الإسلامية، وقد ظهرت هذه المدارس في الساحة التعليمية النيجيرية تلبية الرغبة الشعوب في تطوير التعليم العربي في البلاد، وأقدم مدرسة تمثل هذا الصنف من المدارس هي «مدرسة العلوم العربية» التي أنشئت عام ١٩٣٤م بكنو، وهي تنتشر حالياً في كل الولايات الشمالية النيجيرية تقريباً. وتخرّج هذه المدارس طلاباً يتميّزون بكفاءة فائقة في التعليم العربي، تؤهّلهم لتدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية في المدارس الابتدائية والمدارس الابتدائية الإسلامية. ويندرج تحت هذا الصنف من المدارس الدروس الليلية للرجال والدروس الأسبوعية للنساء، التي تعقدها بعض المعاهد والمنظّمات الإسلامية بقصد نشر التعليم العربي، إلى جانب محو الأمية في البلاد. وقد تمنح بعض من هذه المعاهد والمنظّمات شهادات بمستوى شهادة الدراسات الإسلامية العالية لخريجيها؛ بعد تلقّيهم دروساً مكثّفة في اللغة العربية والدراسات الإسلامية لمدة ثلاث أو أربع سنوات.

د. المدارس الثانوية الخصوصية ذات النظام التعليمي المزدوج Private Secondary Schools:

وهي عبارة عن مدارس ثانوية قام بإنشائها بعض الأفراد أو المنظّمات غير الحكومية، وهي ترمي في نظامها التعليمي إلى دمج التعليم العربي بالتعليم المدني؛ بإعطاء كل من الجانبين عناية كافية، بحيث يتوقع أن يتخرّج الطالب منها وهو قد نال قسطاً كبيراً من التعليم المدني والعربي. وقد ظهر هذا الصنف من المدارس في ساحة التعليم النيجيري في الآونة الأخيرة رغبة في تلبية حاجة الشعب إلى التعليم العربي إلى جانب التعليم المدني، ويعود تاريخ ظهورها إلى الثمانينات والتسعينات، وهي تنتشر حالياً بصورة ملحوظة في الولايات الشمالية النيجيرية. وينال الطالب المتخرّج من هذه المدارس قسطاً من التعليم العربي، إلا أنّ كفاءته في التعليم العربي في جلّ الأحيان لا تفوق الطالب المتخرّج من كليات الدراسات الإسلامية العالية. وذلك لاشتغاله بدراسة المواد المدنية العديدة إضافة إلى المواد العربية والإسلامية، مما يقلّص حدة تركيزه في التعليم العربي.

٣. مرحلة التعليم العالي Higher Education

وهي المرحلة التعليمية التي تلي المرحلة الثانوية، حيث ينال الطالب شهادة عالية بعد الخوض في دراسة مكثّفة في مجال من مجالات الاختصاص. وتتنوّع المعاهد والمؤسّسات التي توفّر التعليم العالي، بما فيه العربي، في هذه المرحلة، فمنها:

أ. كليات الشريعة والقانون Colleges of Legal Studies

وتوفّر هذه الكليات دراسات مكثّفة حول اللغة العربية والإسلاميات، إضافة إلى الحقوق والشريعة الإسلامية. وقد يكون لبعض منها أقسام خاصة للغة العربية والإسلاميات. ويحصل الطالب المتخرّج من هذه الكليات على شهادة دبلوم تنصّ على مجال تخصصه، فالمتخصص باللغة العربية أو الإسلاميات يتخرّج وهو قد ألمّ بقسط كبير من التعليم العربي، وقد بدأت هذه الكليات تظهر في بعض الولايات الشمالية في الثمانينات، وتكاد لا تخلو منها ولاية من الولايات الشمالية في الوقت الراهن.

ب. كليات التربية Colleges of Education

تمثّل هذه الكليات معاهد عليا لتدريب المعلمين في شتى مبادئ العلم، ليكونوا مؤهلين للتدريس في المدارس الابتدائية والثانوية. وتضمّ هذه الكليات أقساماً عدة توّفر مجالات تخصص المعلمين المتدربين. فمنها أقسام خاصة باللغة العربية والدراسات الإسلامية، حيث تتوفّر دراسات عالية لتدريب المعلمين المتخصصين بتدريب المادتين. ويُمنح الطالب المتخرج من هذه الكليات شهادة عالية في التربية (N.C.E.)، مع الإشارة إلى مجال تخصصه. ويعود تاريخ إنشاء هذه الكليات إلى الستينات والسبعينات، حين أنشئ بعض منها في بعض الولايات الشمالية تحت اسم: كليات المعلمين المتقدمين Advance Teachers' College، ثم غُيّر اسمها فيما بعد إلى كليات التربية Colleges of Education.

ج. الجامعات:

تمثّل الجامعات أهم المراحل التي يبلغها الطالب في حياته التعليمية لنيل قسط كبير من التعليم العربي. وتكوّن مادتا اللغة العربية والدراسات الإسلامية أهمّ مجالات التخصص في معظم جامعات نيجيريا التي توفّر دراسات في الآداب. ففي بعض منها تحظى كل من المادتين بقسم مستقل، كما هو الحال في جامعة بايرو بكنو، وجامعة عثمان طن فودي بسكوتو وغيرهما. في حين أنّهما تجمعان تحت قسم واحد مع التمييز بين الطلاب المتخصصين بكل منهما، على نحو ما نجده في جامعة ميدغري وجامعة جوس وجامعة إبادن وغيرها. ويلاحظ أنّ التعليم العربي قد نال تقدّماً ملحوظاً في جامعات نيجيريا، بحيث إنها تخرّج طلاباً متخصّصين في اللغة العربية والدراسات الإسلامية وهم يحملون شهادات الليسانس والماجستير والدكتوراه، تؤهلهم لنشر التعليم العربي في كل مكان في العالم. ويعود تاريخ إنشاء الجامعات في نيجيريا إلى الخمسينات والستينات حين لوحظت ضرورة إنشائها تلبية لرغبة الشعب في التعليم العالي.

د. البعثات التعليمية Educational Missions

إنّ للبعثات التعليمية إلى البلاد الأخرى تاريخاً قديماً في نيجيريا، حيث إن العلماء وطلبة العلم كانوا يتجهون طوراً إلى البلاد العربية، وطوراً آخر إلى البلاد السودانية، طلباً للعلم، كما كانوا يقصدون الحج ويستغلونه لطلب العلم في الحجاز وغيرها من البلاد العربية، فكان لذلك أثر واضح في تقدم التعليم العربي في نيجيريا. وإضافة إلى ذلك؛ كان هناك عدد من الطلبة الذين يسافرون إلى البلاد العربية كمصر والسودان والسعودية للالتحاق بمعاهدها وجامعاتها بصورة غير رسمية، وخير دليل على ذلك هو وجود رواق خاص للنيجيريين بالأزهر يسمى «رواق البرنو»، حيث يأوي طلاب من برنو وغيرها من بلاد نيجيريا منذ قرون بعيدة. واستمرّت الحال على هذا النحو حتى عهد المستعمرين، حينما فكرت الحكومة المستعمرة بالقيام ببعثات رسمية إلى بعض البلاد العربية كمصر والسودان والسعودية، وإلى إنجلترا، لتلقي الأبناء النيجيريين التعليم العربي والإسلامي في هذه البلاد، فبُعث عدد من الطلبة النيجيريين إلى بعض من هذه البلاد لينالوا هذا النوع من التعليم، مع أنّ سياسة المستعمرين البريطانيين آنذاك كانت قليلة الرغبة في تعليم الشعب، وبالأخص التعليم العربي، فلم ينتج من جهود المستعمرين نتائج ملموسة في هذه الناحية، لكنّه سرعان ما تغيرت الأوضاع بعد الاستقلال، بحيث إنّ هذه البعثات نالت تقدّماً ملحوظاً لدى الحكومات التي خلفت المستعمرين، كما أنّ عدداً كبيراً من الدول العربية قد قدّمت منحاً دراسية لكثير من الطلبة النيجيريين للدراسة في جامعاتها ومعاهدها، فكان لهذه العملية أثر واضح في تقدّم التعليم العربي في نيجيريا، وذلك لانخراط معظم الذين تلقّوا تعليمهم من هذه البلاد بعد عودتهم إلى بلادهم في سلك التدريس، كما أنّ منهم من عُينوا قضاة في المحاكم الشرعية، ومنهم من استوظفوا في السلك الدبلوماسي والإداري، وغير ذلك من الوظائف الحكومية.

٤ . مميزات المناهج الحديثة تجاه التعليم العربي:

تتميّز المناهج الحديثة المتّبعة في المدارس والمعاهد المذكورة سابقاً بأمور جعلتها تحقّق نجاحاً ملموساً في تقدم التعليم العربي في نيجيريا، ولعل أهم هذه المميّزات يتمثّل فيما يلي:

أ. استخدام العربية لغة التدريس تقريباً في جميع المدارس والمعاهد المذكورة، بحيث إنّ الطالب يتلقّى دروسه فيها بواسطة هذه اللغة ويمارس التحدّث بها مع معلميه

وزملائه، مما يساعد كثيراً في تطوير العربية قراءة وكتابة ومحادثة.

ب. توفير أجواء وبيئات مناسبة لإحياء العربية وتعزيزها كلغة، من حيث القيام بأنشطة ثقافية، إضافة إلى الدروس في الفصول والقاعات، كعقد محاضرات وندوات ومناقشات، وعرض تمثيليات وتقديم أناشيد وغير ذلك بالعربية، ومن ذلك أيضاً نشر بعض المجلّات الثقافية، حيث يشجّع الطلبة على الإسهام بكتابة مقالات أدبية وعلمية إلى جانب إسهامات معلميهم ومدرسيهم، فكان لذلك أيضاً أثر ملموس في تقدم التعليم العربي.

ج. بسط الثقافة العامة: وتتميّز المناهج الحديثة عن المناهج القديمة من ناحية بسط الثقافة العامة التي تتعلق باللغة العربية والدين الإسلامي والمواد الأخرى، بحيث إنّ الطالب المتخرج من هذا النظام الحديث يكون لديه أهلية ووعي ويقظة لمواكبة المستجدات العصرية ومسايرة التحديات التي تواجهه في حياته اليومية، وذلك في مقابل الطالب المتخرّج من النظام القديم الذي قد يجد صعوبة في هذه الناحية.

الوسائل الحديثة المؤثرة في التعليم العربي في نيجيريا

تنصب العناية في هذا السياق على وصف بعض الوسائل الحديثة المؤثرة في التعليم العربي في نيجيريا. وتضم هذه الوسائل جوانب عدة، منها جانب الرسم أو الكتابة، ووسائل الإعلام، والأجهزة الإلكترونية. وإلى جانب ما ذكر من المناهج التقليدية والمناهج الحديثة للتعليم العربي، يلاحظ أن هناك طرقاً ووسائل غير رسمية وغير منظّمة لكنّ لها شأناً خطيراً وأثراً جسيماً في نشر الثقافة العربية في نيجيريا، كما أنّها تمثّل مظهراً من مظاهر التفاعل بين الثقافة العربية وثقافة الشعب النيجيري المسلم، ولعلّ أبرز هذه الوسائل يتمثّل في الجوانب الآتية:

١ . جانب الرسم أو الكتابة Graphic culture:

يبرز استخدام الحروف العربية في بلاد نيجيريا، لاسيّما في ولاياتها الشمالية، في مجال الرسم أو الكتابة في نواحٍ عدة، منها ما يتمثّل في صور فن الزخرفة والديكور حيث تستخدم الخطوط العربية التي تحمل آيات قرآنية أو أحاديث نبوية، أو آثار الأدباء والحكماء، كأدوات للزينة تُعلّق في الدور والمساجد والمكاتب، أو تكتب على جدران

المساجد والجوامع والمعاهد والمدارس، وقد تتّخذ هذه الخطوط شكل ملصقات أو شارات تحوي آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو أقوالاً مأثورة تُلصق على شارات أو درّاجات أو جدران أو أبواب، وهذه الخطوط والرسوم غالباً ما تكون في صورة أدوات بلاستيكية أو حديدية أو خشبية، وبعضها قد تكون مستوردة من البلاد العربية، كان تكون بعضها مصنوعة محلياً داخل البلاد. فمن النماذج الشائعة لهذه الخطوط: «آية الكرسي» وآية «حسبنا الله ونعم الوكيل» و»توكلت على الله» و»لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» و»لا إله إلا الله محمد رسول الله». وقوله صلى الله عليه وسلم: «رأس الحكمة مخافة الله» والقول المأثور: «من جدّ وجد». ويندرج تحت هذا الجانب أيضاً ما يلاحظ من كتابة أسماء بعض المعاهد والمؤسسات الإسلامية بالحروف العربية، وأسماء بعض الزعماء والقادة الروحيين تحت صورهم بالعربية في بعض المدن، كميدغري، وكنو، وزاريا، وسكتو وغيرها. ويضاف إلى ذلك أيضاً ما يلاحظ من شعارات ورموز تكتب بالحروف العربية على الأعلام وشارات المدارس على نحو ما تجده في شارات بعض من جامعات شمالي نيجيريا مثل: «علم تنوتو» (بمعنى العمل بالعلم) المكتوب على شارة جامعة ميدغري، وشعار «وفوق كل ذي علم عليم» المكتوب على شارة جامعة بايرو بكنو، إضافة إلى كتابة اسم الجامعة بالعربية في الشارة نفسها. كما تمثل العملة النيجيرية إلى عهد قريب نموذجاً جيداً لرسوخ الثقافة العربية في تقاليد الشعب النيجيري المسلم، بحيث إن الحروف العربية تستخدم في كتابة وحدات بعض العملة النيجيرية بلغة الهوسا نحو نير طري (مائة نيره) ونير طري بيو (مئتا نيره) ونير طري بير (خمسمائة نيره)، ونير دوبو (ألف نيره). وقريب من هذا كتابة بعض الآيات القرآنية أو الشعارات الدينية الإسلامية بالحروف اللاتينية على السيارات والشاحنات والدراجات والجدران والملصقات والشارات نحو: «(Allahu Karim) و(Allahu Akbar) و(Tawakkaltu Alallah) وغير ذلك. فكل هذه الصور والآثار تمثّل وسائل استعمال اللغة العربية وأثرها في التفاعل بين الثقافة العربية وتقاليد الشعب النيجيري المسلم في جانب الرسم أو الكتابة.

٢. وسائل الإعلام Communication Media

إنّ وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية كلها تمثل وسيلة من الوسائل الحديثة المؤثرة في التعليم العربي وتطوير الثقافة العربية في نيجيريا. فالصحف والمجلات المستوردة من الخارج، وكذلك بعضها المنتجة محلياً، تشكّل جزءاً من حركة التعليم العربي في نيجيريا، بحيث إنها تصوّر تطوّر العربية على الأقل في طبقة المثقفين بالثقافة العربية من النيجيريين. وكذلك يعطي كل من المذياع وجهاز التلفاز والقنوات الفضائية مجالاً للتفاعل بين الثقافة العربية والثقافة النيجيرية المسلمة. فالمجيدون للغة العربية من النيجيريين يجدون فرصة عبر هذه الوسائل للاستماع إلى البرامج العربية التي تذيعها إذاعات الدول العربية كإذاعات الكويت والرياض والقاهرة، وعمان وغيرها، أو إلى الأقسام العربية في إذاعات بعض الدول الغربية مثل بي بي سي BBC، وصوت أمريكا VOA، وصوت ألمانيا DW، وإذاعة موسكو Radio Moscow، وإلى مشاهدة البرامج العربية المتنوّعة في بعض المحطات التلفزيونية أو في القنوات الفضائية العربية المنتشرة بصورة ملحوظة في البلاد في الوقت الراهن. فمن القنوات التي تتمتّع بقبول النيجيريين ومتابعتهم: قنوات الجزيرة، والعربية، والسعودية، واقرأ، وغير ذلك من القنوات التي تبثّ عبر بعض الأقمار الصناعية مثل: Arabsat، وNilesat، وDSTV وغيرها. فأهم البرامج التي تلفت أنظار المشاهدين النيجيريين المثقّفين بالثقافة العربية وأسماعهم: الأخبار، والخطب والمحاورات الدينية والثقافية، والتمثيليات والأفلام العربية أو المترجمة إلى العربية، وغير ذلك. غير أنّ للمحطات التلفزيونية والإذاعية المحلية دوراً لا يستهان به في هذا الشأن، حيث إنّها تبذل قصارى جهدها في نشر الثقافة العربية بواسطة برامجها الدينية، كبث قراءات وتلاوات للقرآن بأصوات أبرز قرّاء العصر: كالشيخ عبدالباسط عبدالصمد، والشيخ خليل الحصري، والشيخ صديق المنشاوي، وغيرهم. كما تذيع – إضافة إلى ذلك – أناشيد دينية عربية لمنشدين محليين، كإنشاد قصائد الوسائل المتقبلة المشهورة بالعشرينات على لسان المنشد بلامي يافي Bala Mai Yafe، وقصيدتي البردة والهمزية للبوصيري على لسان المنشد السابق وغيره من المنشدين. هذا إلى جانب ما تذيعه هذه المحطّات من قراءة للقرآن الكريم والصلوات الخمس، وصلاة الجمعة، والتراويح، مباشرة من الحرمين الشريفين في بعض الأيام والأعياد.

٣. الأجهزة الإلكترونية: Electronic Gadgets

قامت وسائط إلكترونية بدور يماثل دور وسائل الإعلام في انتشار العربية وثقافتها في نيجيريا، خصوصاً المسموعة منها والمرئية، إلا أنّ نطاق الأخيرة يبدو أوسع من نطاق الأولى، فالأجهزة الإلكترونية غالباً تُقْتَنَى وتستعمل في المجالات الخصوصية، وإنّ آثارها تتركّز على أفراد محدودين، في حين أنّ وسائل الإعلام تستعمل في المجالات العمومية، وإنّ آثارها تمتدّ إلى جماعات وشعوب غير محدودة. فمن الأجهزة الإلكترونية التي لها شأن في ترويج الثقافة العربية في نيجيريا المسجّلات بواسطة الأشرطة المسموعة، التي تحمل قراءات للقرآن الكريم وخطباً عربية لبعض الشيوخ المفوّهين المعاصرين، أمثال: الشيخ عبدالحميد كشك، والشيخ متولي الشعراوي والشيخ عبدالعزيز بن باز، وغيرهم، وتستخدم هذه المسجّلات من قبل النيجيريين كذلك في الاستمتاع بشرائط أغانٍ عربية لأبرز المغنين العرب والمغنيات العربيات، أمثال: عبدالحليم حافظ، طلال مداح، محمد عبده، أم كلثوم، سميرة توفيق، وردة الجزائرية، وأغانٍ عربية سودانية لأبرز المغنين والمغنيات: كمحمد وردي، وسيد خليفة، وعبدالكريم الكابلي، والبلابل، وزينب خديجة، وغير ذلك. ومن ذلك جهاز الفيديو الذي هو كذلك له أثر كبير في نشر الثقافة العربية في نيجيريا، وذلك يتم بواسطة الأشرطة المرئية التي تحمل أفلاماً عربية أو أجنبية مترجمة إلى العربية كالأفلام الهندية أو الغربية، إضافة إلى الأغاني والتمثيليات والخطب وغيرها من البرامج العربية المسجّلة التي يشاهدها النيجيريون عبر جهاز الفيديو. ولعل من أهم الأجهزة التي لها أثر جسيم في ترويج الثقافة العربية في البلاد النيجيرية، بل العالم كله، جهاز الكمبيوتر أو الحاسوب، فأهميّة هذا الجهاز في حياة المثقفّين، سواء كان في مستوى الطلبة أو الأساتذة أو العمّال أو الموظّفين والقادة وغيرهم في العصر الراهن، لا تحتاج إلى شرح وبيان طويل. لكنّه، فيما يخصّ مجال الثقافة العربية، فإنّ لهذا الجهاز خدمات جليلة يتمتّع بها المثقّفون بالثقافة العربية من النيجيريين، بما في ذلك تيسير الطباعة بالحروف العربية، والاتصال بشبكة الإنترنت (Internet) والاستفادة من كنوز المعلومات المستودعة فيها، وتيسير المراسلات عبر البريد الإلكتروني (e-mail) بالعربية، ومتابعة الأخبار والأحداث العالمية، وعقد صفقات تجارية وتبادل المعلومات، وغير ذلك من الخدمات التي لا تعدّ ولا تحصى. ويلحق بجهاز الكمبيوتر كذلك ما للهاتف المحمول أو الجوّال من أثر في تطوير الثقافة

العربية في نيجيريا في الآونة الأخيرة. وذلك لما يقوم به هذا الجهاز من تيسير بعض الخدمات للمثقفين بالثقافة العربية من النيجيريين، كالاتصال والمكالمة بالعربية وإرسال الرسائل القصيرة (SMS) بالعربية، أو إرسال الرسوم والخطوط العربية كل ذلك يتم عبر الجهاز المكيف بالعربية.

الهوامش والمراجع:

- أبو بكر، علي، الثقافة العربية في نيجيريا، الطبعة الأولى. مؤسسة عبدالحفيظ البساط، بيروت ١٩٧٢م.
- غلادنث، شيخو أحمد سعيد. حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا. الطبعة الأولى، دار المعارف. القاهرة ١٩٨٢م.
- El-Miskin، Tijani "Arabic Alphabet in Borno: its formal and non-formal Educational use in the teaching of Arabic and Kanuri Transcription" A Study Commissioned by UNESCO 1985.
- Palmer، H.R. The Bornu Sahara and Sudan. Negro Universities Press. New York 1997.
- Trimingham، J. S. Islam in West Africa. Oxford University Press، London. 1959.

ooo

اللغة العربية في نيجيريا:
إكراهات الواقع ومحاولات النهوض

د. الخضر عبدالباقي محمد

أستاذ الإعلام الدولي المشارك – كلية الإعلام والاتصال جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ومدير المركز النيجيري للبحوث العربية – نيجيريا

رغم ما تواجهه اللغة العربية من حملات استهداف قويّة وضربات متتالية في حاضرتها (ما بين حرب التغريب من الأعداء، وحالة تجاهل وعقوق من بعض أبنائها)، فإن حركة الاستعراب والسعي لاكتسابها ما زالت تتواصل وتتوسّع وسط أمواج عاتية تتجاذبها نحو الوأد، فإذا كان المستعرب هو من يطلب العربية ليصبح لسانه عربيًّا، فإنّ المسألة لم تقف عند هذا الحد فحسب في أفريقيا جنوب الصحراء، بل أصبحت مسألة تعريب الألسن هاجسًا وشغلاً شاغلاً للعلماء المسلمين الأفارقة، يعتبرونه نضالاً باللغة يستميتون فيه؛ لأنّه جزء لا يتجزأ من إسلامهم، لهذا رأينا جهودًا ذاتية مخلصة تبذل، ومساعي حثيثة تُكرّس، لفكّ عُجمة مئات بل آلاف الألسن للشباب والناشئة بل والكهول، تقوم بها أكثر من سبعين ألف مدرسة عربية إسلامية في طول نيجيريا وعرضها، حيث توجد هناك محاولات فردية وجماعية ودعوات متكرّرة بإلحاح شديد من أنصار اللغة العربية ورُوّادها إلى إقرار العربية لغة رسمية في البلاد. وتأتي دعوات نشر اللغة العربية لتقف أيضًا حائط صَدٍّ في وجه محاولات أخرى تسير على قدم وساق

لنشر الثقافة الأنغلفونية في نيجيريا، لتلعب بذلك دوراً مزدوجاً في مواجهة المد الغربي المتزايد داخل البلاد. [١]

ملامح إكراهات الواقع النيجيري على اللغة العربية:

وبالرغم من تلك الجهود المبذولة لا يمكننا القول: إنّ الحملة التي يخوضها دعاة اللغة العربية في نيجيريا تسير دون معوّقات، بل على العكس من ذلك، فإنّ هؤلاء تواجههم عِدّة تحدّيات ما بين داخليّة وخارجيّة، ومن بين تلك التحدّيات ما يلي: [٢]

١) إن المدارس العربية التي تُعنى بتدريس اللغة تُعد على أصابع اليد، وأُنشئت بجهود ذاتية، وليست حكومية أو مؤسّساتية، مما كان له تداعيات سلبية في دعم وتمويل تلك المدارس، وبالطبع في القدرة على التجديد والإبداع وابتكار الوسائل ومواكبة الأساليب العصرية التي من شأنها تفعيل رسالة هذه المدارس.

٢) عدم الاعتراف الحكومي بالمدارس العربية، ومع الجهد المضني الذي يبذله أصحاب المدارس العربية، فإنّ ٩٨٪ منها ليس معترفاً به رسميًّا من السلطات الحكومية في البلاد، خاصة في القسم الجنوبي من نيجيريا، وهذا بالطبع له انعكاسات خطيرة على المؤسسات التعليمية وأصحابها وخرّيجيها، ورغم أن هذا الوضع لم يكن مرضيًا لأصحاب المدارس العربية، إلا أن الظروف القاهرة أجبرتهم على الرضوخ له، وفي مقدمة ذلك مخاوفهم من السيطرة الحكومية الكاملة التي من شأنها المساس برسالتها وأهدافها الإسلامية، إضافة لعدم قدرتهم على الوفاء بالمتطلبات الرسمية للاعتراف الحكومي الذي يستلزم تكاليف باهظة.

٣) ظاهرة الازدواجية اللغوية – الثقافية: من أبرز المشاكل التي تقابل جهود المستعربين في نيجيريا ظاهرة الازدواجية الثقافية التي يعيشها المجتمع، ونظرة هذا المجتمع إلى المستعربين، فالثقافة السائدة الرسمية في الأوساط الرسمية وبين صفوف النخبة والمثقفين هي الثقافة الإنجليزية «الأنغليفونية»، ولذلك فإنّ كثيراً من المثقفين بثقافة عربية، وفي أي مجال من المجالات، إذا لم يكونوا على قدر من الثقافة الإنجليزية التي تؤهلهم لتقديم أنفسهم فليس لهم حظ في حضور فاعل ومعتبر على الساحة، مهما بلغوا من الكفاءة والتمكّن في مجالات تخصصهم.

٤) التغييب المُتَعمّد لرواد الثقافة العربية في الساحة الثقافية: بسبب عدم الاعتراف الحكومي بالمدارس التي تدرس العربية، فإن الساحة الثقافية هي الأخرى ترفض الاعتراف بمثقّفي اللغة العربية، مما جعل المستعربين يشعرون بشيء من الدونيّة، ويعيشون حالة من التهميش والاغتراب داخل مجتمعهم.

٥) مزاحمة الإنجليزية للعربية، أو بتعبير أصح (مخانقة الإنجليزية للعربية) وملاحقتها في كل مجالات الحياة، وهو أمر مشهود وطبيعي في مجتمع يعتمد على الإنجليزية، ولا تحفل وسائل الاتصال الجماهيرية فيه بأن تجعل حظاً للغة العربية للتعبير عن نفسها، مما لا يمكن به أن تنمو هذه اللغة، أو يتحسّن به مستوى المستعربين عن طريق اكتساب مصطلحات ومهارات لغوية جديدة من خلال التعامل اليومي المتعدّد.

٦) تدني المستوى الاقتصادي: يعدّ الوضع الاقتصادي عاملاً قوياً في تصاعد معاناة رواد العربية في البلاد، فالضغوط الاجتماعية تضاعف من وطأة المعاناة على المستعربين، فأكثر من ٧٠٪ من هؤلاء يعيشون في ظروف اجتماعية مالية قاسية جدًا، نظرًا لعدم الاعتراف الرسمي بمؤهلاتهم، أو قصر مجال عملهم فقط على التدريس في المدارس العربية الدينية الأهلية، كما أنّ عدم الترحيب بالمتخصصين منهم في مجالات أخرى غير الدينية؛ بسبب النظرة السائدة عنهم بعدم كفاءتهم وأهليتهم لأنّهم تعلموا بغير لغة العلم – على حدّ زعمهم –، حوّل عددًا من ذوي اختصاصات مثل: الإعلام والهندسة والاقتصاد وغيرها – على الرغم من قلتهم – إلى مدرسين عاديين للعلوم الدينية.

٧) مجانية تعليم العربية (أو شبه المجانية) لضمان الإقبال عليها – في ظل الأوضاع العامة للعربية والمستعربين– جلبت على المدارس والمدرسين تداعيات سيّئة للغاية، فمجانية التعليم العربي كان لها تأثيرها على تواضع أجور المدرسين، ونتيجة لذلك أضعفت عطاءات هؤلاء المدّرسين، وتسبّبت في ظهور مشكلات عديدة بين مؤسسي المدارس العربية، أهمّها أنّهم يعتمدون في تسديد الرواتب على الهيئات الخيرية وطرق أبواب الأثرياء على رغم ما في ذلك من مشقّة ومذلّة وسلبيات.

٨) عدم وجود وسائل الاتصال بالعربية، لأنّ فقدان الوسائل المعينة لتنمية القدرات الاتصالية يُعَدّ المشكلة الكبرى؛ نظرًا لشدّة الحاجة إليها، على الرغم من وجود أعداد هائلة من طلبة العلم والأساتذة الذين يتشوّقون إلى ذلك، فوجود منبر إعلامي باللغة

العربية يساهم في توحيد الفكر والرأي العام لهذه الشريحة، إضافة إلى ذلك ليس هناك مطابع ودور نشر عربية، الأمر الذي يشكل عائقاً لنشر المحاولات العلمية والإبداعية، فعلى سبيل المثال: هناك جهود من بعض الأساتذة في تأليف بعض الكتب والقواميس اللغوية لطلاب المدارس العربية كَـ«القاموس الثنائي» (عربي/ هوسا) وآخر (هوسا/ عربي) للدكتور محمد الطاهر داوود، وهو عمل مضى عليه أكثر من عشر سنوات، وحتى الآن لم يتمّ نشرهما لارتفاع تكاليف النشر المطلوبة من دور النشر في البلاد العربية، بالإضافة إلى أنّ نشره محلياً يحتاج إلى بعض الخدمات الفنية اللازمة لإخراج مثل هذه القواميس، وهناك كتاب آخر في مبادئ تعليم اللغة العربية، وغيرها من الأعمال التي كلّفت أصحابها الكثير من الوقت والجهد، وفي النهاية لا يستطيعون أن ينشروها، وهذا ما جعل الكثير منهم يتوقف عن الاستمرار.[٣]

٩) الدور السلبي لبعض الجاليات العربية، وقد يكون من المستغرب أن هناك بعضاً من العرب أنفسهم ساهموا في تراجع المدّ العربي في نيجيريا بسبب الموقف السلبي الذي اتخذوه حيال الجماهير النيجيرية الشغوفة بالإسلام وبحبّ العربية، فالبعض من الجاليات العربية المقيمة على أرض نيجيريا لم يكن لهم تفاعل إيجابي مع الجهود المحلية لنشر العربية والترويج لها، بل يتهرّبون من كل دعوة للغة العربية، ويزهدون في إظهار أنفسهم عربًا فضلاً عن نصرة العربية، أو تشجيع القائمين على نشرها، مع العلم أنّ بإمكانهم القيام بدور فاعل ملموس في هذا المجال، فأمامهم فرص كثيرة وكبيرة مثل: الدعم المادي، وتقديم الجوائز والحوافز، لأنّ لديهم إمكانات هائلة لكون بعضهم تجّارًا ورجال أعمال.

ملامح محاولات النهوض باللغة العربية في نيجيريا:

شهد واقع اللغة العربية في نيجيريا تطورات جيدة منذ العقدين الماضيين، حيث ظهرت بوادر إيجابية في الأفق تحرّك معها المشهد الثقافي العربي تحديداً منذ مطلع الألفية الجديدة، على خلفية تطورات داخلية وأخرى خارجية، تمثّلت العوامل الداخلية في إنشاء جامعات أهلية من ناحية، وتغيّر موازين القوى في عدد من المناطق والولايات النيجيرية؛ بصعود تيار الإسلام السياسي في بعضها، ممّا انعكس إيجابياً على وضعية المستعربين وحالة الثقافة العربية بشكل أخصّ، فعلى سبيل المثال صعود نجومية كوادر

نيجيرية من المنتمين للثقافة العربية بتوليهم مناصب قيادية في الجامعات وغيرها، الأمر الذي أفسح المجال أمام حركة ثقافية فكرية نشطة باللغة العربية في الوسط الأكاديمي بتشجيع إقامة منتديات أدبية ثقافية متنوعة - حالة جامعة إلورن وجامعة الحكمة وجامعة ولاية كوارا في ولاية كوارا جنوب نيجيريا مثلاً والجامعة الإسلامية في كاتسينا بشمال البلاد - كما مثّلت الثورة التقنية التي شهدها مجال الاتصال والمعلومات واحداً من العوامل الخارجية لهذا التطوّر، لأنّها أزالت الحواجز المادية والمعنوية المعرقلة لمثل هذا التطوّر. ولا شكّ أنّ تجديد المشهد الثقافي العربي في أفريقيا غير العربية عموماً يمثّل حاجة ملحّة لاستنهاض المستعربين، وتوجيه طاقاتهم الإبداعية على أسس منهجية وخطط واعية لاستيعاب وضع الجمود القائم والمستعصي، وقد أفادت محاولات التطوّر من الحركية المتنامية والظروف المواتية في هذا الصدد، وأسفرت عن تحسّنات في الحركة الإبداعية في التأليف والنشر والتواصل المباشر بين المتحدّثين باللغة العربية من النيجيريين والأفارقة عموماً ونظرائهم العرب، حيث ولجوا أبواباً جديدة، فكتبوا في أجناس وألوان أدبية مختلفة، ونورد هنا بعض الشواهد ومؤشرات التطور في الكتابة الإبداعية والأدبية في الساحة النيجيرية على سبيل المثال لا الحصر.[٤] ففي مجال القصة القصيرة: صدرت مجموعات قصصية كثيرة لأدباء نيجيريين معاصرين من الشبان المستعربين، مثل: (السنة) لمرتضى عبدالسلام الحقيقي عام ٢٠٠٦م، (خادم الوطن) لحامد محمود إبراهيم الهجري، (أهل التكرور) لآدم يحيى عبدالرحمن الفلاني، وقصة (على الطريق) ٢٠٠٨م للكاتب نفسه، وفي مجال المسرح، هناك: (العميد المبجل) لزكريا حسين التي كتبها في ١٩٩٤م، (السيد المحاضر) لمرتضى عبدالسلام الحقيقي، (الطالب المغتر) لإبراهيم ليرى أمين ٢٠٠٩م، (تحت الظل الممدود) (٢٠٠٨م) لإبراهيم سعيد أحمد الغمبري، وهي مسرحية شعرية. وفي مجال الرواية: (خادم الوطن) لإبراهيم حامد عام ٢٠٠٩م، و(رحلة البحث عن الإنسان) لكمال الدين بالوغن ٢٠٠٩م. كما نشطت حركة الترجمة من وإلى العربية، فقد ترجم عبدالرحيم عيسى الأول رواية (الانتخاب مؤامرة) عام ٢٠٠٩م، وكتاب (واكا إلورن) لمشهود جمبا من الشعر اليورباوي للعربية عام ٢٠٠٠م. وفي مجال أدب الرحلات: كتاب (من إلورن إلى تمبكتو.. رحلة في صحراء أفريقيا) لمشهود جمبا عام ٢٠٠٩م. وفي السيرة الذاتية: (مذكرات إمام وخطيب جامع) لمحمد الأول أبو بكر عام ١٩٩٥م.

وفي مجال الشعر العربي النيجيري صدرت دواوين شعرية كثيرة، منها: ديوان الرياض (٢٠٠٥م) لعيسى ألبى أبوبكر، يضمّ نحو مئة وسبع عشرة قصيدة، وديوان السباعيات (٢٠٠٨م) للشاعر نفسه، وبه مئة وسبعون قصيدة، من منشورات المركز النيجيري للبحوث العربية، وديوان (سمات البحر من نغمات الشعر) (٢٠٠٥م) لعبداللطيف سعيد أولاومي، وديوان (قطرات الخاطر) للشاعر نفسه، وديوان القلائد (الجزء الأول) ٢٠٠٧م لعبدالواحد جمعة أريبي، وديوان (صدف العواطف) (٢٠٠٩م) لإبراهيم سعيد أولاومى، وديوان (الميمية المحمدية في محاكاة البردة البوصيرية) (٢٠٠٩م) لعباس عبدالله القوروي. يضاف إلى ذلك عشرات الدواوين لشعراء نيجيريين في المعارضة والمناقشة والمناظرة والجدل العلمي بين التيارات الفكرية والاجتهادات الفقهية وجماعات المصالح.

كما يذكر في هذا السياق كتابات في الدراسات الأدبية النقدية مثل: كتاب (محمد النويهي والنقد الأدبي) لمحمد أول أبوبكر عام ٢٠٠٢م، وكتاب (البلاغة القرآنية لدى عبدالله بن فودي) لعبدالباقي شعيب أغاكا، وكتاب (صور من الاتجاهات الفنية في أدبنا العربي النيجيري المعاصر) لمؤلفه محمد أمين الله آدمو الغمبري الصادر عام ٢٠٠٣م، وكتاب (تاريخ الأدب العربي في مدينة إلورن من العصر الإسلامي إلى عصر ما بعد الاستقلال) لعثمان عبدالسلام محمد الثقافي، ٢٠٠٩م، وكتاب (الشعر العربي النيجيري بين الماضي والحاضر) الذي نشر عام ٢٠٠٩م لمؤلفه الأستاذ عبدالوهاب دنلاد شيث. ومن الأعمال الأدبية المتميزة من نوعها: كتاب (المقامات) الذي ألفّه محمد الأول عبدالسلام عام ٢٠٠٨م على منوال مقامات الحريري الشهيرة، وكتاب (معايير النقد الأدبي) لعبدالواحد جمعة، وصدر عام ٢٠٠٧م.

ورغم هذا التحسّن وتلك التطوّرات؛ فإن تحدّيات الأوضاع وتزايد الاحتياجات تتطلب مزيداً من الحركة والعمل الدؤوب، لاسيما من الإخوة العرب، لتشجيع المثقّفين النيجيريين باللغة العربية والوقوف بجانبهم من خلال الدعم المادي والمعنوي، ونشدّد في هذا المجال على أن الدعم المعنوي قد يكون له تأثير أكبر وأقوى في بعض الحالات من غيره، فالزيارات الميدانية الأخوية من المثقّفين والمفكّرين والأكاديميين العرب إلى إخوانهم المستعربين في أفريقيا لا تقلّ عطاءً، بل تدعم موقفهم ورسالتهم في مجتمعاتهم،

كذلك دعوتهم في المناسبات العلمية والتظاهرات الثقافية المختلفة، ونشر كتاباتهم وإنتاجاتهم، كلها حوافز داعمة لحركة الثقافة العربية في أفريقيا.

الهوامش والمراجع :

١. الخضر عبدالباقي محمد (٢٠١٠م)، اللغة العربية في أفريقيا الواقع والتحديات، ط أولى، أبوظبي: مركز سلطان بن زايد للثقافة والإعلام، ص ١٢-١٣.

٢. الخضر عبدالباقي محمد (تجربة النضال باللغة العربية، النموذج النيجيري)، مجلة الوعي الإسلامي الكويتية، العدد ٥٣٢ ص ٨.

٣. مقابلات ميدانية مع المثقفين بالعربية في مدينة كانو النيجيرية، مارس ١٩٩٧م.

٤. الخضر عبدالباقي محمد (المشهد الثقافي العربي في أفريقيا من الجمود إلى الحراك) المجلة العربية العدد ٤٨١ فبراير ٢٠١٣م، ص ١٠-١٣.

ooo

اللغة العربية في نيجيريا:
آفاق التطوّر والازدهار

د. عيسى ألبى أبوبكر

أستاذ اللغة العربية وآدابها المشارك – قسم اللغة العربية، جامعة إلورن – نيجيريا

مقدمة:

دخلت اللغة العربية نيجيريا عبر الإسلام، فهما يتحركان ويدخلان البلدان رتقاً ملتصقين يصعب فتقهما، وقد تعلّم أجدادنا اللغة والدين بكد وجهد، لكن حبهم العميق لهما ذلّل الصعاب وفتح الأبواب ولقّح الألباب، فتمرنوا على الكتابة العربية يعبّرون بها عما يختلج في صدورهم من أمور الدين ومسائل اللغة، فاشتدّ ساعدهم في الكتابة؛ بفضل القرآن الذي اهتمّوا به قراءة وحفظاً. فقد قال صاحب هذا البحث وهو يقرّظ كتاب «الشعر العربي النيجيري بين الماضي والحاضر»: «كانت اللغة العربية من قبل غرسة نُقلت إلى تربة هذه الديار النيجيرية، فتعهّدها العلماء بتعليمها في كتاتيبهم وزوايا دهاليزهم ونشرها في مجالس وعظهم ورفع مستواها في كل مكان، يسعفهم في هذا العمل الكتاب الذي لا ريب فيه وهو القرآن الكريم، الذي يصوّب الخطأ ويصقل اللسان وينمّي الفكر، ويفتح أمام متعلمه وقارئه أبواب العلم والطهارة والروحانية والصلاح، فصارت الغرسة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل

حين بإذن ربها، وذوق هذا الأكل لا يختلف عن ذوق مثيله في الشرق والغرب لفظاً ومعنى»[١]، صحيح أنّ كثيراً من علمائنا قلت كتاباتهم في بداية الأمر لخوفهم من الوقوع في الخطأ، فلهم مع ذلك في اللغة والفقه والتصوف مؤلفات قيمة، مما يدل على نضوجهم ونبوغهم. وقد بلغت الكتابة العربية أوج مجدها في العصر الفلاني، الذي أدّى فيه الشيخ عثمان بن فودي وأخوه عبدالله وابنه محمد بلّو أدواراً ملموسة في النهضة العلمية والأدبية، وذلك من القرن الثاني عشر إلى منتصف الرابع عشر الهجري، فكانت العربية لغة رسمية تستخدم في الدوائر الحكومية والأمور القضائية، وقد شهد هذا العصر إنتاجات شعرية ونثرية قيّمة، تعبّر عن مستوى هؤلاء العلماء العلمي والأدبي والثقافي. فمن آثار الشيخ عثمان: إحياء السنة وإخماد البدعة، وحصن الأفهام من جيوش الأوهام، وغيرها. أمّا أخوه عبدالله فمن آثاره، ضياء التأويل في معاني التنزيل، وكفاية ضعفاء السودان والبحر المحيط، والحصن الرصين، وتزيين الورقات، وغيرها. ولمحمد بلّو: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، الذي يعدّ أهم المراجع التاريخية، وفي مطلع القرن العشرين الميلادي؛ الذي ارتفع فيه الأدب في بلاد العرب حتى فاق الإنتاج العلمي والأدبي فيه العصر الأموي والعباسي؛ اللذين يعتبران أزهى العصور الأدبية في البلدان الإسلامية،[٢] حاول الاستعمار الإنجليزي أن يعوق المسلمين في نيجيريا عن دراسة اللغة العربية، وعمل جاهداً أن يثنيهم عنها، وذلك بجعل لغته الإنجليزية اللغة الرسمية «وأصبح من يعرفها سيّداً مطاعاً، فطلع سعدهم وغرب سعد غيرهم وكسدت تجارته حين ربحت تجارتهم، فانساق الناس وراء لغتهم وآدابهم»[٣]، وفي ظلّ هذا الموقف العدائي السافر ضد العربية، ظهرت نخبة طيّبة من علماء هذه البلاد لحماية اللغة وإنعاشها من جديد، فأسّسوا المراكز والمعاهد لتعليم الأجيال اللغة والدين، وألفّوا الكتب وخطبوا في المساجد بالعربية الفصيحة، جاعلين قضايا الساعة موضوعات خطبهم، والذي أحرز قصب السبق في هذا المضمار الشيخ آدم عبدالله الإلوري.

ومن الأسماء اللامعة في تقديم عجلة اللغة العربية إلى الأمام الشيخ محمد ناصر كبرا في كنو، والوزير جنيد بن غطاط في صكتو، والشيخ إبراهيم صالح في ميدغورى؛ صاحب التآليف العديدة، ومن الأكاديميين: الدكتور علي أبوبكر صاحب كتاب

(الثقافة العربية في نيجيريا) في بوشى، والدكتور شيخو سعيد غلادنث صاحب (حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا)، والشيخ مصطفى السنوسي صاحب (اللسان القوّال والقلم السيّال) في لاغوس، وينضم إلى هؤلاء العلماء أساتذة الجامعات والكليات التي فيها أقسام للغة العربية، لما ينشرونه من مقالات ودراسات في مجالات تخصصهم، وما يقومون به من جهود للإشراف على البحوث العلمية الجامعية بمراحلها ومستوياتها. فقد استرعى انتباهي تسمية الأستاذ الدكتور زكريا حسين بداية ٢٠٠٠م بعصر ازدهار اللغة والأدب في نيجيريا، وأن آخر ١٩٩٩م نهاية العصر الحديث، وذلك حسب قوله «نتيجة لنشاطات العلماء المحدثين الذين تعلّموا في المدارس العربية العليا وفي الجامعات في غرب إفريقيا، فلا يفوت من له إلمام بانبثاق الثقافة العربية في هذه الديار أن نهضة الأدب العربي قد بدأت»[٤]. فقد رأى الأستاذ ذلك بناء على ما تشهده هذه الفترة من تكثيف حركة النشر والطباعة في هذا الإقليم، الأمر الذى دفعه إلى التنبُّؤ بأنّ العرب سيعرفون عن قريب حتمية إعداد المادة في جامعاتهم بعنوان: «الأدب العربي في غرب إفريقيا»[٥]، فهذه – حسب قوله – حقيقة لا مفرّ منها، فالصبح أبلج واضح. فهذا البحث هو اختيار لبعض إنتاجات هذه الفترة الشعرية والنثرية، ودراستها دراسة فنية، لإبراز ما فيها من القضايا الإنسانية التي تعتبر نقطة تحوّل كبير يلاحظ في مسيرة اللغة العربية الطويلة في هذه الديار. ولهذا الإطار الزمني المحدود ضابط يمنع هذه الدراسة من التطويل.

النثر الفني:

إنّ نموّ الملكات الفنية والقوى الأدبية، وتزايد الثقة بالنفس والاعتزاز بالتراث العربي والإسلامي، كلها أمور تبشّر بالمستقبل الباهر للغة العربية في هذه الديار، وتبثّ السرور في صدور حماة اللغة الذين يعملون ليل نهار، جاهدين ليتحقّق لها التطور والازدهار. فغزارة الإنتاجات النثرية خلال العقد الأول لعام ٢٠٠٠م تستحق اهتمام الدارسين وتنويه المقدّرين.

فقد تطوّر النثر الفني في شكله ومضمونه وحجمه، فرأينا من يكتب في المسرحية العربية، وتُعتبر (العميد المبجّل) أول مسرحية نُشرت لكاتب نيجيري، هو زكريا حسين

الذي كتبها في ١٩٩٤م يصف فيها الوضع التعليمي النيجيري ناقداً، وقد وصف كتابه بالمحاولة المتواضعة، وهو كذلك حقيقة نظراً إلى حجم الكتاب، لكن عمله وضع أثراً طيباً في قلوب الشباب فحاكوه وتنشّطوا، ونشر مرتضى عبدالسلام الحقيقي عام ٢٠٠٦م قصته التي عنوانها (السنة)، أورد فيها عصارة تجاربه خلال الأيام التي قضاها طالباً جامعيّاً في بقعة صحراوية قاحلة، وهو يسرد لقارئه سيرته الذاتية بأسلوب جميل يمتاز بالوضوح والنضج. يقول وهو يصف حال الطلاب بعد الامتحانات: «تمت الامتحانات، والطلاب يروحون ويغدون، يرقبون النتائج رقبة الصّوّام هلال الفطر، يخادع بعضهم بعضاً أن النتائج قد طلعت، فيتأهبون مسرعين ومتهورين إلى الكلية، فإذا هم هناك مخادعون يتخاصمون ويتلاومون. هكذا يفعلون طول هذه الأوقات، وصاحبنا بين هذه الجماعة لأنه يقضي أيامه عندئذ في المسجد لعلة سبق بيانها منذ الفترة الأولى».[٦] هنا السهولة في التعبير والوضوح في البيان وتملّك زمام اللغة. وكان أسلوب الكاتب مؤثراً مفعماً بالعاطفة ومثيراً للانفعال، ويسمي الأشياء بأسمائها، وكان حسن المقابلة بين الرواح والغُدوّ، وموفّقاً في تشبيهه انتظار طلاب الجامعات لنتائج الامتحانات بانتظار الصائمين لظهور الهلال الذي يؤذن بانتهاء الجوع والعطش. ومن الأعمال الإبداعية النثرية قصة (خادم الوطن) لحامد محمود إبراهيم الهجري، يصف بها جانباً من سيرته وهو يشارك في خدمة الوطن، وما قوبل به من المعاملات السيئة والعراقيل المثبطة للعزم. فقد وصف هذا الكاتب المبدع منظر شاب من (جماعة التبليغ) ونعته بالأمر المضحك والمبكي في آن واحد. يقول: «إنّ هناك شاباً من «جماعة التبليغ» المتحمّسين لتطبيق الشريعة الإسلامية حرفاً بحرف، كان من ضمن هؤلاء المعذّبين، وكان نصيبه في الطابور أنّ كانت أمامه فتاة شبه عارية ذات ميوعة ودلال، فلابد – على حسب الأمر الصادر – أن يأخذ بخصرها ويضمها إلى صدره بالقوة حتى لا تنفلت، لأنّ الانفلات هنا يؤدي إلى مضاعفة التعذيب، فالشاب يرى الاختلاط مع المرأة الأجنبية أولاً حراماً، ناهيك عن لمسها والشد على خصرها بهذه الصورة! فماذا يصنع؟ إن استعصم فله العقاب الأليم أو التدريب المهين، وإن أقبل فالضمير يؤنبه ويعاتبه».[٧]

إنّ قدرة كاتب القصة على تحريك الكلمات والمفردات والتراكيب كما تتحرك

شخصيات القصة تعتبر من أهمّ مقوّمات القصة الفنية الجيدة، كالصانع الماهر الذي يتقن صناعته المفضّلة لحسن استخدامه الأدوات والآلات. فالرسّام الممتاز هو الذي يعرف الألوان معرفة جيدة، ويدري أين يضع كل لون لتبدو لوحته جميلة زاهية أمام الناظرين. وعلى هذا، فإنّنا نرى صورة هذا الشاب المتحمّس لدينه، ونرثي لحاله ونشفق عليه، لأنّ المصوّر – وهو هذا الكاتب المبدع – هو الذي أثار فينا هذه الأحاسيس وهيّج فينا هذه الانفعالات؛ لحسن استخدامه للأدوات اللغوية المعبّرة. فتصوير هذا الكاتب الماهر لحال صديقنا المتحمس لدينه يعيد إلى الأذهان تلك الورطة التاريخية التي وقع فيها سيدنا يوسف وهو يقاوم بحيائه وتُقاه وطهره موجة حبّ زوجة العزيز العارمة له، وطلبها أن يضمّها إليه؛ فاستعصم فكان من المسجونين. فاختيار الكاتب فعل: (استعصم) اختيار مناسب، إن دلّ على شيء فإنه يدّل على ملازمته قراءة القرآن، وهو الفعل الذي استُخدم في القرآن وفي القصة، لبيان الموقف الحرج الذي وجد فيه سيدنا يوسف نفسه في القرآن، والذي وجد فيه عضو (جماعة التبليغ) نفسه في القصة، بيد أنّه شتّان ما بين حال يوسف النبي وحال النيجيري المتحمس لدينه. ومن كُتّاب القصة الذاتية آدم يحيى عبدالرحمن الفلاني، وكان معروفاً بأسلوبه الجميل الجذّاب الذي يأخذ الألباب، وهو يتلاعب بالألفاظ كالحاوي الماهر. ومن قصصه الفنية: (أهل التكرور)، وقد سمع في صباه أخبار الحرب الأهلية التي كادت أن تمزّق نيجيريا تمزيقاً، لولا بطولة بعض القواد النادرة الذين أنقذوا الوطن من حافة الهاوية. وكان الكاتب من المتلهفين لسماع أخبار الحرب التي تنقلب بين الحقيقة والخيال. يقول في وصفه لحالة أبناء حي الفلاتة الذي ينتمي إليه في تلك الأيام: «كلٌ منا يتلذّذ بسماع أخبار الحرب، وكلٌ منا يستهضمها استهضاماً يفوق الوصف، لا لشيء سوى أن يرى أكثرنا أن في استطاعته إعادة جميع هذه الأخبار الملفّقة من ذاكرته، فيلقيها على أصحابه في وقت من أوقات النهار، كذلك كان الصبي يقوم بدور المحاكاة في وصف أدوار أبطال الحرب وقت الاستراحة بالمدرسة، ويطيل هذا الوصف بدون تعثّر ولا تعنّت، وقد يمضي بواحد منّا جموح الخيال فيذهب مذهب بعض الكبار الأفاكين».[٨] هذه الفقرة الفنية الجميلة تتسم بالانسياق والسهولة، أما كلماتها المتناسقة التي يأخذ بعضها رقاب بعض فهي الدليل على أنها خاضعة له تسير طوع إرادته، لتكون آلة يستخدمها لوصف أعقد الحالات

الإنسانية وأدقها، فالقصة ظاهرة بشرية عميقة جذورها في حياة الإنسان، وهي انعكاس طبيعي لمظاهر حياته النفسية والاجتماعية والعقائدية.(٩) أمّا طريقة سرد هذه القصة فهي التي تضيف إليها الرونق والجمال، وتجذب عقول الناس إليها وتحبّب إليهم سماعها، فقد حاول كُتّاب القصة في نيجيريا أن يقدموا ما لديهم من الفن الجميل المتاح. فعلى الدارسين الاهتمام بأعمالهم ودراستها دراسة تبدي خصائصها وميزاتها الفنية.

الدراسات الأدبية

للدراسات الأدبية أهمية كبرى، فهي المشكاة التي تنير درب الدارس ليصل إلى هدفه العلمي والأدبي بأدنى تعب وأقلّ مشقة وأقصر طريق، وهي التي تكشف الكنوز المكنونة والدرر المخبوءة في النصوص الشعرية والنثرية. فقد كان لهذه الدراسات الأدبية النقدية نصيب الأسد في بحوث الجامعات والكليات، ومكتباتها عامرة بأعمال القائمين بهذه الدراسات. أما الذي يدل على التطوّر والازدهار فهو قيام أصحاب هذه الدراسات بنشرها دارسين ومحلّلين وناقدين، وهم مغايرون في ذلك من سبقهم من العلماء الذين ينظرون إلى إنتاجات أسلافهم بعين الرضا؛ حتى فيما لم يكونوا مصيبين فيه لكونهم محاطين بهالة التقديس والتمجيد. ومن خير نماذج هذه الدراسات كتاب (محمد النويهي والنقد الأدبي) لمحمد أول أبوبكر أستاذ الأدب والنقد بقسم اللغة العربية، جامعة بايرو – كنو، صدر الكتاب عام ٢٠٠٢م، ويقوم على دراسة شاملة للتراث النقدي عند أحد النقّاد النابهين في مصر تخصّص في الشعر العربي القديم والحديث هو الدكتور محمد النويهي. يقول الكاتب وهو يصف أعمال محمد النويهى النقدية: «يتبيّن لنا من خلال الصفحات السابقة أنّ نقد النويهى يتميّز بميزة عامة هي النزعة التعليمية، فأعماله النقدية تنطوي على محاولات صادقة لتصحيح طرق التعليم الأدبي في المدارس، وتوجيه المدرسين والكُتّاب المبدعين والباحثين الذين يفتقرون إلى الزاد الثقافي الكافي، توجيهات من شأنها أن تخدم الحركة الأدبية الحديثة خدمة جليلة ...»(١٠). وهذا الوصف الدقيق لأعمال النويهي النقدية الذي وفّق في تحديد سمتها؛ وهي توجيه القائمين بأعباء التدريس والكتابة والبحث والإبداع توجيهاً سليماً ليتقنوا أعمالهم بالتزوّد بالثقافة الكافية. فالنقد المنشود في كل زمان ومكان هو الذي استطاع أنّ يصحّح المفاهيم الخاطئة

ويصوّبها، فهذا التعيين الواضح للاتجاه النقدي لدى النويهى بهذه اللغة الناصعة المقنعة دليل على أنّ الكتّاب النيجيريين قد بلغوا قمة النباهة والنضوج. إنّها دراسة قيّمة جادة ذات نظرة شاملة، لا يخوض غمارها إلا الأفذاذ الموهوبون. ومما سجلته هذه الفترة (وهي العقد الأول من ٢٠٠٠م) من الأعمال الأدبية والبلاغية الجادة والعميقة كتاب صدر في ٢٠٠٩م بعنوان: (البلاغة القرآنية لدى عبدالله بن فودي) لصاحبه عبدالباقي شعيب أغاكا، أستاذ البلاغة والأدب الإسلامي بقسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي، صكتو، فإنّ ما يتميّز به هذا الكتاب شكلاً ومضموناً أنّه ينمّ عن المخزون العلمي الهائل الذي يمتلكه الكاتب، ويعبّر عن الثقافة الإسلامية الواسعة التي يتمتّع بها. وقد قام بهذا العمل الجليل أسوة بأستاذه المتخصص في علم البلاغة محمد محمد أبو موسى في كتابه الشهير (البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري)، يقول عبدالباقي وهو يصف مفهوم البلاغة القرآنية لدى عبدالله بن فودي، ويذكّرنا في وصفه بأعمال أعلام البلاغة: «... وكان مفهوم البلاغة القرآنية لديه دراسة واسعة لأصول الإسلام وعرض قضاياه بلسان عربي مبين، تبياناً وتفصيلاً لإعجاز القرآن الكريم الذي عبّر عنه السلف الأول بمجاز القرآن وإعراب القرآن ونظم القرآن ودلائل الإعجاز ومعاني النحو وبديع القرآن، حسب الظروف والمقتضيات الراهنة لكل زمان ومكان».[١١]

ومن الأعمال الأدبية كتاب (صور من الاتجاهات الفنية في أدبنا العربي النيجيري المعاصر) لمؤلّفه محمد أمين الله آدمو الغمبري، الصادر عام ٢٠٠٣م، وقد وصف الكاتب عمله قائلاً: «إنّ هذه الدراسة مصغّرة، تمثّل – مع ذلك – لمحة خاطفة في أقلام أدبائنا المعاصرين في هذه الديار، أرجو أن ترتفع إلى مستوى الموهبة الفنية لديهم عمقاً واتساعاً، وإشارة إلى ما وصلوا إليه من ضروب المعرفة باللغة العربية وألوان النشاط الأدبي الفني شعراً ونثراً، لأنّ الأدب دائماً مع الفن والفن كذلك مع الأدب».[١٢]وقد درس بعض مختاراته الشعرية والنثرية دراسة تحليلية تدل على عمق فهمه للنصوص الأدبية. وطريقته في تحليل روعة التصوير والموسيقى وما يراه من مآخذ في شعرهم دالّة على ما يتمتع به من الحاسة الأدبية. ويجدر بالذكر كتاب (تاريخ الأدب العربي في مدينة إلورن من العصر الإسلامي إلى عصر ما بعد الاستقلال) لزميلنا عثمان عبدالسلام محمد

الثقافي، المحاضر بقسم اللغة العربية بجامعة إلورن، الذي صدر عام ٢٠٠٩م، فقد ألقت دراسته الضوء على الحقائق التاريخية حول مدينة إلورن وانتشار الإسلام واللغة العربية فيها. كما ألقت الضوء على دور الشيخ صالح بن جنتا، وإقامة الدولة الإسلامية فيها، وتتبّعت العصور الأدبية فيها وسردت ما تيسّر من الإنتاجات الأدبية من شعر ونثر عبر تلك الفترات، وأقرّت الدراسة بأن فرسان الشعر من العلماء في العصر الإسلامي في مدينة إلورن هم: الشيخ محمد بن الشيخ محمد الثاني الذى مدح الأمير عليّ على انتصاره على أهل (أوفا)، والشيخ محمد التاكتي بن أبي بكر النفاوي في شعره الذي افتخر فيه بالقبيلة النفاوية، والشيخ محمود بن شئث الأمير الثاني صاحب التخميس على قصيدة (هل لي مسير؟) للشيخ عثمان بن فودي، والشيخ محمد بن أحمد بيغوري الفلاني صاحب اللامية في مدح الشيخ ابن بوبي.(١٣) وتحدّث عن تطوّر الأدب العربي في مدينة إلورن في عصر الاستعمار البريطاني إلى حدّ ما، كما هو ظاهر عند الشيخ أحمد ينما والشيخ اللبيب تاج الأدب والشيخ أحمد بن إكوكورو والشيخ محمد كمال الدين الأدبي والشيخ آدم عبدالله الإلوري، ويدّل على هذا التطور كتابان في تاريخ علماء إلورن والعلوم العربية الخمسة: (النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع) للشيخ أحمد بن إكوكورو، وإسهام الشيخ آدم عبدالله الإلوري.(١٤) وأنّ الأدب العربي بنوعيه الشعر والنثر قد بلغ أوج مجده في مدينة إلورن بعد الاستقلال، وفرسان الشعر في هذا العصر كثيرون، وفي مقد متهم – حسب رأيه – الدكتور عيسى ألبى أبوبكر، والمرحوم الأستاذ سليمان أحمد أديبايو، والمرحوم الأستاذ عثمان أبوبكر إيليينلا، والدكتور عثمان الثقافي، والسيد عبدالرافع شيث، والسيد عثمان الكنكاوي، وغيرهم.(١٥) وأمّا الكتابات النثرية في العلم والأدب فقد بلغت الذروة العليا على يد شيخنا العلامة آدم عبدالله الإلوري، وعلى أيدي العلماء المثقفين بالثقافة العربية والغربية من الإلوريين والوافدين إلى إلورن لمهنة التدريس أو غيرها،(١٦) وقد أحرز الكاتب قصب السبق في جمع ما تيسّر له من أشعار علماء إلورن في كتاب، فاستطاع أن يجمع للقارئ شتات ما جادت به قرائحهم ليسهل الرجوع إليه عند الحاجة. وكتاب (الشعر العربي النيجيري بين الماضي والحاضر) الذي نشر عام ٢٠٠٩م لمؤلفه الأستاذ عبدالوهاب دنلاد شيث، إضافة جديدة إلى الدراسات السابقة في الشعر العربي النيجيري، ويتميّز هذا الكتاب عن غيره بأنه يعرض الشعر ويفسّره بالشرح

والبيان، ليقرّب معانيه إلى طلاب المعاهد والكليات، وقد أحسن كل إحسان في الإتيان بالمعنى الإجمالي لمنتخباته الشعرية، وإبراز الخصائص الفنية لكل شعر، فنراه بعد إيراد مرثية شيخنا آدم عبدالله الإلوري لبنته خديجة التي من أبياتها:

الموت سدد سهمه ورماني	**فأصابني في أشرف الأبدان**
وأصابني في مهجتي وجناني	**فسرى انتعاش السهم في شرياني**

يقول الكاتب:

«الشاعر هنا صادق مؤثّر في أبياته السهلة، ولقد صوّر لنا في أحسن صورة وأبين عبارة أحوال قلبه المكلوم، فأسلوبه إذاً يميل إلى التدفّق. وأما الألفاظ فسلسة منسجمة مع جو الحزن، وقد خلت من الغريب العويص، لأنّ طول حزنه قد شغله عن كل تلفيق. أما المعنى ففطري، إذ نجد الشاعر ينقل عن خواطره دون أي تكلّف، وهو هنا يعبّر عن العواطف العفوية والخواطر الطبيعية، فالمعنى كما نراه واضح وبعيد عن التعقيد الفلسفي».[١٧] ومما شهدته هذه الفترة من تطوّر أدبي صدور كتاب (المقامات)، الذي ألفّه محمد الأول عبدالسلام الملقب بصاحب القرآن عام ٢٠٠٨م، وقد قام بهذا العمل ليكون حسب قوله «اقتفاء بآثار السلف، الذين لهم قدوة حسنة للخلف، من مقامات تأرج مسكها وعوز مسلكها»،[١٨] حاكى في مقاماته الثلاثين الأقدمين، وأسند حكايتها إلى جبريل بن خالد. كما يسجّل من الإنجازات الأدبية والنقدية لعصر الازدهار صدور كتاب (معايير النقد الأدبي) عام ٢٠٠٨م لعبدالواحد جمعة أريبي الشاعر الشهير والكاتب القدير والمدرس بمركز التعليم العربي الإسلامي، أغيغي، لاغوس، فقد تحدّث عن النقد الأدبي في تاريخ الأدب العربي النيجيري بأنّه قضى فترة طويلة في نيجيريا لم يكن شيئاً مذكوراً؛ بالمعنى الاصطلاحي الذي جرى عليه النقّاد من تقويم الأعمال الأدبية وتفسير غامضها وكشف خصائصها الفنية وإصدار الحكم بالقبول أو الرفض، وتقرير المنازل والطبقات التي تحتلّها من حيث الجودة والأصالة أو الرداءة والتقليد.[١٩] لقد قام بعمل جبّار حيث جمع بعض آراء الشيخ آدم النقدية المبعثرة في تضاعيف كتبه، الأمر الذي أوصلنا إلى نتيجة بالغة الأهمية مفادها أنّ الشيخ أدى

دوراً عظيماً في إقامة دعائم النقد اللغوي والأدبي والاجتماعي والتاريخي، ودلائل هذا الحكم ظاهرة في مؤلفاته العديدة، وفي ردود فعله الحادة في قاعات التدريس والتثقيف كلما لاحظ اللحن عند طلابه في التعبير والتحرير.

وبناء على ما سبق، فإنّنا مع فضيلة الشيخ حبيب الله آدم عبدالله الإلوري الذى وصف كتاب (معايير النقد الأدبي) قائلاً: «ولعلّ من أجمل وأوفى وأصدق ما كُتب في النقد الأدبي في مجتمعنا في الجنوب الغربي لنيجيريا المعاصرة هو هذا الكتاب، بعلم من غير سفسطة ويقين في الاعتصام بالحق وحده وفاء للبحث الحقيقي...».[٢٠] وأمّا في مجال الدراسة اللغوية فلا يفوتنا ذكر كتاب (العولمة اللغوية، تبعات حضارية للغة العربية)، صدر عام ٢٠٠٨م لأحمد شيخ عبدالسلام، أستاذ علم اللغة التطبيقي بجامعة إلورن، نيجيريا، فقد بيّن للقارئ قصده من تأليف الكتاب قائلاً: «ويقصد المؤلف الإسهام في هذا المجال بدراسة أبعاد العولمة اللغوية على هذه اللغة بالتركيز على تبعاتها في البلدان الإسلامية، وفي نماذج من ظروفها بين المسلمين، دون إغفال للتبعات العامة للعولمة عليها. ويتناول الكتاب مفهوم العولمة اللغوية، واستخدام العربية في عصر العولمة اللغوية، وتبعات العولمة اللغوية على تعليم العربية وتعلّمها، وعلى الوحدة بين المسلمين.[٢١] لم يحكم المؤلّف بعدم صلاحية العولمة ولم يكن معادياً لها إطلاقاً، ولكنّه وضع مقترحات محدّدة مفيدة في استثمار مظاهر العولمة والاستجابة لتحدياتها في تعليم العربية. أمّا في ميدان الترجمة، فقد أثرى عبدالرحيم عيسى الأول، أستاذ الدراسات العربية بجامعة ولاية لاغوس، المكتبة العربية بالرواية المترجمة من اللغة اليوربوية إلى العربية الفصيحة عام ٢٠٠٩م، ويتحدث عنها المترجم بقوله: «فالرواية كشفت النقاب عن نوعية السياسة التي نمارسها في هذه البلاد: سياسة تخلو من القيم الخلقية كالعدل والصدق والرفق والسماحة، إلى غير ذلك من الفضائل، وسياسة تشجّع الفساد بأنواعه وتدعو إلى الظلم والكذب والخدعة والخيانة وشهادة الزور والربا وأكل أموال الغير بغير حق، وما إلى ذلك من الرذائل. مما لا يحوم حوله شك أن من رمى نفسه في بحر سياسة نيجيريا بدون معرفة هذه كلها مثله كمثل من رمى نفسه في عرين الأسد، فحياته لا شك في غاية الخطر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[٢٢]. تشبيه رائع جداً، أين من زار عرين الأسد الجائع فرجع منه سالماً؟

الشعر في هذا العصر:

وفي الشعر العربي النيجيري صدرت الدواوين الشعرية الآتية:

١- ديوان الرياض (٢٠٠٥م) لعيسى ألبى أبوبكر في حوالي مئتي صفحة من القطع المتوسط، يضم هذا الديوان بين دفتيه نحواً من مئة وسبع عشرة قصيدة، صنفت في ثمانية أبواب، هي: المدائح والتهاني والأخلاقيات والوصف والسياسة والفخر والغزل والشكوى والعتاب والمراثي.[٢٣]

٢- ديوان السباعيات (٢٠٠٨م) لعيسى ألبى أبوبكر، تحتوي هذه المجموعة على مئة وسبعين (١٧٠) سباعية، سجل فيها الشاعر مشاعره وخواطره الشخصية وانطباعاته حول قضايا الساعة الوطنية والعالمية.[٢٤]

٣- نسمات البحر من نغمات الشعر (٢٠٠٥م) لعبداللطيف سعيد أولاومي. نشر الشاعر هذا الديوان لإطلاع الناس على قراءة قصائده المتفرقة بين صفحات جامعة في أقرب وقت ممكن؛ حتى لا يقول الناس أين قصائده؟ - حسب قول الشاعر[٢٥]-. في الديوان سبع عشرة قصيدة في المناجاة والشكر والوصف وغيرها من الأغراض الشعرية، وله ديوان آخر عنوانه (قطرات الخاطر).

٤- ديوان القلائد(الجزء الأول) ٢٠٠٧م لعبدالواحد جمعة أريبى، ينطوي الديوان على بابين، فالباب الأول عبارة عن الإسلاميات، وتعني ما قرضه الشاعر في الله جل جلاله، ودينه الحنيف، ونبيه الكريم، وكتابه المجيد. والباب الثاني بعنوان: المركزيات؛ لتقديم طرف من أشعاره التي صوّرت الأعمال الإسلامية الإنسانية الجليلة التي نهض بها مركز التعليم العربي الإسلامي.[٢٦]

٥- صدف العواطف (٢٠٠٩م) لإبراهيم سعيد أولاومي مدير دار الإرشاد والإسعاد، لاغوس، نيجيريا. يقول مقرّظ الديوان: «إنّني تصفّحت هذا الكتاب (صدف العواطف) الذي هو عبارة عن ديوان شعر أخرجته إلى حيز الوجود قريحة أخينا (إبراهيم سعيد أولاومي)، فوجدته متمتّعاً بثمار ناضجة، وتمنيت له كل توفيق. فقد تجلى لي أنّ هذا العمل الأدبي يعتمد على الإخلاص والصدق، وكل عمل حالفه

الإخلاص والصدق فإنه جدير بالنجاح»(٢٧). ويحتوي الديوان على ٤٤ قصيدة، بالإضافة إلى الإهداء المكتوب شعراً.

٦- الميمية المحمدية في محاكاة البردة البوصيرية (٢٠٠٩م) لعباس عبدالله القورووي. يقول مقدم الديوان: «فإن فنّ المعارضة فنّ أدبي محض، يجبذه الأدباء والنقاد على السواء، فهو نسج اللاحقين قصيدتهم على منوال السابقين، ولا يخفى على كل أديب ما في هذا الفن من تقوية شاعرية المعارض، وإيقاظ شاعريته النائمة، ولاشكّ في تأييد الأدب الإسلامي لهذا الفنّ الجليل».(٢٨)

ويضّم الديوان عشرة فصول في: الغل وشكوى الغرام، ومدحه صلى الله عليه وسلم ومولده، وآيات مولده، وفي شرف القرآن، وفي حبّه وجهاده وإسرائه ومعراجه، وفي معجزاته، وفي سبعة أوصاف خصّ الله بها نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم.

٧- تحت الظلّ الممدود (٢٠٠٨م) لإبراهيم سعيد أحمد الغمبري، مسرحية شعرية لعلّها هي الأولى في تاريخ الشعر العربي النيجيري، وهي محاولة طيبة عسى أن توقظ قرائح الشعراء النيجيريين ليستلهموا التراث الثقافي والديني وسير الملوك والأبطال، ويستوحوا القصص الشعبية الخالدة ليخرجوا لنا شعراً مسرحياً متميزاً، فقد لخص الشاعر مسرحيته قائلاً: «فيسرني أن أقدّم للقراء الأعزاء مسرحيتي «تحت الظل الممدود»، فهي مسرحية تتناول فكرة أكثر بنات الملوك حول الزواج وفوائده، وكيف تعالجها جارات الأميرة بإثبات ما لدى كل واحدة منهن من فوائد سعدت بها في حياتها الزوجية، حتى تشتاق ابنة الملك إليها، ففازت أخيراً «بنجيب» فعلمت بعدئذ ما فيها من فوائد».(٢٩) والمسرحية ذات فصل واحد وستة مناظر في ثمانٍ وعشرين صفحة.

الخاتمة:

يتبيّن لنا من خلال هذا العرض السريع لأعمال العلماء والأدباء والشعراء النيجيريين أن العقد الأول من عام ٢٠٠٠م شهد تطوّر اللغة العربية وآدابها وازدهارها في نيجيريا، ويمكن إرجاع هذا التطوّر إلى جهود الجامعات والكليات التي تشجّع طلاب اللغة العربية فيها بكتابة بحوثهم في موضوعات شتى، تتناول فروع اللغة والأدب والترجمة،

ودراستها دراسة موضوعية تفتح أمامهم آفاقاً واسعة جديدة في مجالاتهم العلمية والأدبية المختلفة، لمواصلة المسيرة نحو النضوج الكامل والتقدّم المستمر. ولا يعني هذا أنّ ما ذكرنا من الأعمال هو كل ما يمكن أن يسجّل لهذه الفترة القصيرة من جهود علمية وأدبية، فهناك عشرات من الإنتاجات لم تُذكر في الشعر والنثر والعروض والرواية والمسرحية والترجمة، تعالج جوانب متباينة من القضايا الإنسانية، وتدعو إلى الخير والفضيلة وتحذّر من مغبة الشر والرذيلة.

الهوامش والمراجع:

١. عبدالوهاب دنلاد شئث: الشعر العربي النيجيري بين الماضي والحاضر، مطبعة بيك المحدودة، سليجا، ولاية نيجير ٢٠٠٩م ص ط – ى.

٢. آدم عبد الله الإلوري: مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، الطبعة الثانية، رجب ١٤١٢هـ يناير ١٩٩٢م ص ٦٦.

٣. ________________ : المرجع نفسه والصفحة نفسها.

٤. زكريا حسين: المأدبة الأدبية لطلاب العربية في إفريقيا الغربية، دار النور، أو تشى، نيجيريا ٢٠٠٠م، ص ١٨١.

٥. ________________ : المرجع نفسه الصفحة نفسها.

٦. مرتضى بن عبدالسلام الحقيقى: السنة، قصة عربية فنية، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م ص ٤٥.

٧. حامد محمود إبراهيم الهجرى: خادم الوطن، مطبعة ألبى، إلورن، ولاية كوارا ٢٠٠٨م ص ٥١–٥٢.

٨. آدم يحيى عبدالرحمن الفلاتى: على الطريق، دار الهجرة كنو – نيجيريا ٢٠٠٨م ص ١٠–١١.

٩. عمر دقاق وآخرون: الأدب العربي الحديث، الجزء الثاني، المطبعة الجديدة

بدمشق ١٩٦٤–١٩٦٥م ص ٣١٩.

١٠. محمد أول أبوبكر: محمد النويهى والنقد الأدبي، دار أبا للطباعة والنشر، كانو – نيجيريا، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م ص ١٨٩–١٩٠.

١١. عبدالباقي شعيب أغاكا: البلاغة القرآنية لدى عبدالله بن فودي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م ص ٦٥٥.

١٢. محمد أمين الله آدمو الغمبري: صور من الاتجاهات الفنية في أدبنا العربي النيجيري المعاصر، مطبعة شريف بلا للطباعة والنشر، كانو نيجيريا، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م ص ١.

١٣. عثمان عبدالسلام محمد الثقافى: تاريخ الأدب العربي في مدينة إلورن من العصر الإسلامي إلى عصر ما بعد الاستقلال، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٣٠ ٢٠٠٩م ص ١٠٣.

١٤. ________________: المرجع نفسه والصفحة نفسها.

١٥. ________________: المرجع نفسه ص ١٠٤.

١٦. ________________: المرجع نفسه والصفحة نفسها.

١٧. عبدالوهاب دنلاد شيث: المرجع السابق ص ٧٨–٨٠.

١٨. محمد الأول عبدالسلام: المقامات، مركز الهدى للكمبيوتر والفنون التخطيطية، الطبعة الثالثة ٢٠٠٧م ص ١١.

١٩. عبدالواحد جمعة أريبى: معايير النقد الأدبي، مشاريع رحمن للعربية والإسلام، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م ص ١٤٩.

٢٠. ________________: المرجع نفسه ص ٩.

٢١. أحمد شيخ عبدالسلام : العولمة اللغوية تبعات حضارية للغة

العربية، مطبعة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م ص و.

٢٢. عبدالرحيم عيسى الأول: الانتخاب مؤامرة، شركة مشاريع رذانسون، لاغوس، ٢٠٠٩م ص ن س.

٢٣. عيسى ألبى أبوبكر كلمة الأستاذ الدكتور محمد أول أبوبكر في ديوان الرياض، مطبعة ألبى، إلورن ٢٠٠٥م ص ٥.

٢٤. ________________: تقديم الدكتور مشهود محمود محمد جميا في ديوان السباعيات، النهار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٨م ص ١١.

٢٥. عبداللطيف سعيد أولاومي: نسمات البحر من نغمات الشعر، مطبعة الحكمة للتصميم والنشر، لاغوس، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م ص ٨.

٢٦. عبدالواحد جمعة أريبى: القلائد، مشاريع رحمن للعربية والإسلام، لاغوس، الجزء الأول، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م ص ز – ح.

٢٧. إبراهيم سعيد أولاومى: صدف العواطف، مطبعة الفوز، لاغوس – نيجيريا، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م ص ١٣.

٢٨. عباس عبدالله القورووى: الميمية المحمدية في محاكاة البردة البوصيرية، مطبعة المضيف، إلورن، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م ص ٤.

٢٩. إبراهيم سعيد أحمد الغميرى: تحت الظلّ الممدود (مسرحية شعرية) مطبعة ومركز كيوود ميلولا لخدمات الكمبيوتر، إلورن ٢٠٠٨م ص ١٠.

ooo

الفصل الثاني:

اللغة العربية في مؤسسات التعليم العام في نيجيريا

اللغة العربية في المدارس الثانوية بالشمال المركزي لنيجيريا: تحديات وحلول

الدكتور محمد عمر انْداغي

أستاذ اللغة العربية المشارك - جامعة أبوجا، نيجيريا.

مقدمة:

يهدف هذا البحث إلى عرض وتحليل وضع تعليم اللغة العربية وتعلّمها في المدارس الثانوية الحكومية والخصوصية، بالتركيز على التحديات التي تعرقل الدراسات العربية عامة، واللغة العربية خاصة. وتكمن أهمية هذه الدراسة في كشفها لمدى تحقيق أغراض تعليم اللغة العربية المذكورة في الوثيقة الوطنية للتعليم. وأما الجوانب التي يستعرضها الباحث فهي مشتملة على المنهج الدراسي لـلمادة ونوع المدرسين وخلفية الطلبة، إلى جانب وجود أو عدم الوسائل التعليمية اللازمة، وضرب سياسة الحكومة نحو تعليم اللغة العربية في المدارس الثانوية. وفي حدود هذا البحث، يعتبر وضع اللغة العربية في المدارس الثانوية الواقعة في ولاية نيجر عينة البحث، ومـمثّلا لما تكون عليه بقية الولايات المنتمية إلى منطقة الشمال المركزي بنيجيريا. ولأجل المناقشة المفيدة لموضوع هذه المقالة، والحصول على نتائج استدلالية، سيظلّ الباحث مدقّقاً في تحليله للمعلومات العامة بالمدارس الثانوية العادية، إلى جانب الخاصة بالمدارس العربية الإسلامية (الثانوية) المسماة بـــ»كليات الآداب والدراسات الإسلامية«. وحسب التقسيم

الرسـمي عند الحكومة، تحتوي مـجموعة ولايات الشمال المركزي لـجمهورية نيجيريا حالياً على ست ولايات هي: بنوى وپلاتو وكوارا وكوغي ونسراوا ونيجر. وتضاف محافظة العاصمة الفدرالية إلى هذه الـمجموعة الجغرافية السياسية،[1] وفي هذا الصدد المبدئي، يُستحسن إلقاء الضوء على أنواع المدارس الثانوية ونظامهافي ولاية نيجر.

تنقسم المدارس الثانوية حسب ملكيتها إلى حكومية وخصوصية، وبالمثل تنقسم كليات الآداب والدراسات الإسلامية[2] إلى حكومية وغير حكومية (أي خصوصية). توجد حالياً أربع عشرة كلية للآداب والدراسات الإسلامية في ولاية نيجر؛ أسماؤها ومواقعها في الهوامش.[3] لاحظ الباحث أنّ هناك دوافع خفيّة وراء إنشاء عدد كبير من هذا النوع من المدارس، إذْ لم تؤيّدها نفس الحكومة التي أسستها تحت رئاسة الوالي السابق المهندس عبدالقادر كوري بالميزانية الكافية. وللأسف الشديد، أصبحت بعض الـمجتمعات التي تقع فيها الكليات تتكفّل بتكلفة بناء فصول الدراسة، كما أنفقوا في دفع رواتب المعلّمين الذين عيّنتهم على نفقتها الخاصة. فظّلت هذه الأسباب مما أدّى إلى الوضع السيئ لعملية تعليم اللغة العربية وتعلّمها في المدارس الثانوية. والنقطة الهامة في وصف المدارس الثانوية، من حيث النظام، أنّ بعضها تابعة للحكومة والأُخرى خاصة. كذلك تنقسم المدارس الثانوية من حيث لغة التعليم إلى نوعين: الأول هو الثانوية العادية (العمومية) التي تكون اللغة الإنجليزية فيها لغة التعليم في جميع المواد الدراسية، ومن بينها اللغة العربية. والنوع الثاني هو الثانوية الخاصة بالدراسات العربية والإسلامية التي تكون فيها اللغة العربية لغة التعليم والتعامل؛ وتسمى مدارس هذا النوع الثاني بـ»كليات الآداب والدراسات الإسلامية«. يركّز الباحث في هذه الدراسة على النوعين من المدارس الثانوية (العادية والخاصة والمعنية بالعلوم العربية) بصرف النظر عن أصحابـها.

النظام التعليمي في المدارس الثانوية:

تستغرق مدة الدراسة في المدارس الثانوية (العادية[4] والخاصة) ست سنوات منقسمة بين مستويين: الإعدادية والعليا، يدرس الطالب في كل مستوى لمدة ثلاث سنوات. وهذا التقسيم متأصّل في الوثيقة الوطنية للتعليم المعروفة بـ«٦-٣-٣-٤»، الذي يشترط للطالب الذي لا يمتلك مقدرة كافية ليواصل دراسته إلى المستوى العالي أن

يتخرج في الإعدادية فيحصل على شهادة إتمام الدراسة الإعدادية. ويعتمد هذا على نوع النتيجة التي حصل عليها الطالب في الامتحان النهائي للمستوى الإعدادي. قد شرّعت الوثيقة الوطنية للتعليم أن يكون التعليم الأساسي العمومي الذي يشمل تسع سنوات دراسية (ست سنوات في الابتدائية وثلاث سنوات في الإعدادية) مـجاناً وواجباً، حتى لا تتوقف الدراسة لأي طالب في هذا المستوى الأساسي. وتـختلف الشهادة التي يحصل عليها خرّيج الثانوية العادية عن التي تصدر لخرّيج الثانوية الخاصة (كليات الآداب والدراسات الإسلامية)، كما يتباين المنهج الدراسي فيهما. يـجلس الطالب في المدرسة الثانوية العادية لامتحانين يصمّمهما مـجلسا الامتحانات بشكل مستقلّ وهما:

١. مـجلس الامتحانات لغرب إفريقيا[٥] الذي يـمنح المرشحين الشهادة الثانوية العليا لغرب إفريقيا.

٢. مـجلس الامتحانات الوطنية[٦] الذي يـمنح الشهادة الثانوية العليا.

يجلس الطالب الذي درس في كلية الآداب والدراسات الإسلامية لامتحان يجهّزه الـمجلس الوطني للدراسات العربية والإسلامية التابعة لجامعة أحمد بللو بزاريا، وتُسمى الشهادة التي يحصل عليها الطالب في هذا الامتحان بـ«الشهادة العالية للدراسات العربية والإسلامية» المسماة في الإنجليزية "Senior Arabic and Islamic Studies Certificate (SAISSC)"

الـمجلس الوطني للدراسات العربية والإسلامية:

وأما الـمجلس الوطني للدراسات العربية والإسلامية فهو الجهاز الوحيد الذي يقوم بإجراء الامتحانات للدراسات العربية والإسلامية في المدارس الإعدادية والثانوية الخاصة بدراسة العلوم العربية والإشراف عليها في نيجيريا، وبعد أن تغلّب هذا الـمجلس على عدّة تـحديات، بعضها من قبل أعداء الدراسات العربية والإسلامية، فقد حصل على اعتراف شرعي من الحكومة الفدرالية عن طريق وزارة التعليم الفدرالية، وذلك في الاجتماع الثاني والستين للجنة الشورى المشتركة للتعليم[٨] المنعقد في شهر مايو عام ٢٠١٠م. كذلك لقي هذا الاعتراف فيما بعدُ موافقة الـمجلس القومي للتعليم[٩]. كان مـجرد اختلاف الامتحانات النهائية والشهادات التي يحصل

عليها طلاب المدارس الثانوية العادية والخاصة بدراسة العلوم العربية ناجماً عن الاختلافات الموجودة في المنهج الدراسي للنوعين من المدارس الثانوية المذكورين آنفاً. وأما الجهة المسؤولة عن إعداد المنهج الدراسي لمستويَيْ المدارس الثانوية العادية فهي مـجلس البحوث والتطوير التربوي النيجيري،[١٠] وكانت اللغة العربية من ضمن المواد الدراسية التي يصمّمها هذا الـمجلس.

منهج تعليم اللغة العربية:

إنّ منهج اللغة العربية المرسوم للمستوى العالي من المدارس الثانوية العادية قديم يحتاج إلى التعديل، إذْ تمّ وضعه قبل ثلاثين سنّة في عام ١٩٨٥م. فلابدّ من انتهاء صلاحية أي منهج دراسي بعد خمسة عشر عاماً مهما كانت مزاياه. ولعل منهج اللغة العربية للمستوى الإعدادي في المدارس الإعدادية العادية أحدثُ من غيره؛ إذْ وُضع عام ٢٠١٢م، ومن مـميّزات هذا الـمنهج المعدّل[١١] أنّه رُسم على أحدث الأسس اللغوية والتربوية لتعليم اللغات التي تراعي نظريات اكتساب المهارات اللغوية الأربعة (الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة). وأفضل ما حدث في تاريخ تعليم اللغة العربية أنّ هذا المنهج يتيح لكل طالب حرية تعلّم اللغة العربية إذا شاء،[١٢] بدلاً من كونـها مادة إضافية لا يدرسها طلاب العلوم البحتة.

وأما بالنسبة لمنهج اللغة العربية لـمستويَيْ المدارس الثانوية الخاصة بدراسة العلوم العربية فإنه يختلف تماماً عن الموجود في المدارس الثانوية العادية من حيث الـمواد الدراسية والحصص الأسبوعية المتاحة للمادة، إلى جانب البيئة المدرسية. ظل الـمجلس الوطني للدراسات العربية والإسلامية مسؤولاً عن إعداد المنهج الدراسي لجميع المواد الدراسية (من بينها اللغة العربية) في المدارس الثانوية الخاصة بدراسة العلوم العربية. وتكاد تنتهي صلاحية هذا المنهج؛ إذْ كان في حاجة إلى التعديل. لقد وجدت اللغة العربية في هذه الكليات الثانوية الخاصة مـحلها اللائق بها الذي تفقده المدارس الثانوية العادية. ويرجع ذلك إلى:

١. اهتمام إدارة الكليات بالدراسات العربية.

٢. وجود عدد كافٍ من الحصص الأسبوعية للغة العربية، حيث لها حصة على الأقل يومياً لتعليمها؛ ويعني هذا أنـها تُدرس خمس مرات في كل أسبوع.

٣.كون اللغة العربية لغة التعليم في جميع مواد الدراسات العربية والإسلامية، كما أنّها لغة التواصل بين الطلاب والمدرسين في كل أوان ومكان.

مصادر التدريس:

يشتكي كثير من طلاب اللغة العربية أن المادة صعبة؛ وهذا مما جعل استخدام الوسائل التعليمية لتسهيل كل موضوع من المواضيع الدراسية ضرورياً حتى تبدو سهلة ومفهومة لدى الطلاب، فالوسائل التعليمية المناسبة المستخدمة بطريقة صحيحة تساعد كثيراً في تيسير الصعوبات التي يواجهها الطلاب. وأما الوسائل التعليمية فهي بمثابة مصادر التدريس، لأنّ هذا المفهوم أشمل وأوسع من كونـها وسائل تعليمية. إن مصادر التدريس «عبارة عن مرفق مدرسي يجهّزه متخصص مؤهل، ويحتوي على أنواع وأشكال متعدّدة من المصادر التعليمية والعلمية والتقنيات المعلوماتية».[١٣]

الكتب:

لمدّة طويلة فيما مضى، قلّت كتب مناسبة لتعليم اللغة العربية في المدارس الثانوية العادية. وأسفرت محاولة مجموعة من أساتذة ودكاترة اللغة العربية في قسم اللغة العربية بجامعة بايرو كنو[١٤] عن كتاب ميسَّر وُضع في ضوء الثقافة النيجيرية؛ وهو في ثلاثة أجزاء للمستويات الثلاثة في المرحلة الإعدادية. طبع الكتاب في عام ٢٠٠٢م بعنوان «العربية الميسّرة الجديدة» ونشرتـه شركة سبيكتروم Spectrum للكتب الـمحدودة. وقد وردت في سلسلة هذا الكتاب لأول مرة كلمات مـحلية مثل: أبُوجا ونَيْرَا وجاتَوْ وما أشبه ذلك من الأسماء والألقاب الشعبية. كان كل مدرّس للغة العربية قبل نشر هذا الكتاب يختار ما شاء من الكتب العربية التي اشتراها من السوق بصرف النظر عن ملاءمتها لمستوى الطلاب.

إنّ معظم الكتب المستخدمة لتعليم اللغة العربية، لاسيّما في مجال النحو العربي والبلاغة العربية في المدارس الثانوية بأنواعها، قد أعدّها العرب لغير العرب (أي النيجيريين الناطقين بغير العربية)، فتشمل أساليب تعليم اللغة العربية التي لا تناسب الناطقين بغيرها. وأما بالنسبة للأدب العربي، فتوجد كتب ألفها الكتّاب النيجيريون

منها: «كيف نتذوق الأدب العربي؟» للأستاذ الدكتور (الراحل) علي نائبـي سُويد؛ وسلسلة «الأدب العربي النيجيري» و»النحو العربي النيجيري» كلها للأستاذ كبير آدم تُدُنْ نُفَاوا؛ و»المأدبة الأدبية لطلاب غرب إفريقيا» للأستاذ زكريا حسين.

وأما الكتاب الذي اشتُهر استخدامه بين مدرسي اللغة العربية في السنوات الماضية فهو «العربية الجديدة في نيجيريا» بأجزائه الأربعة للدكتور محمد بديع شريف وآخرين. والمشكلة المشتركة بين هذه الكتب أنّـها غير مشتملة على دروس وتمارين تساعد على اكتساب جميع المهارات اللغوية، بل مقتصرة على القراءة والفهم فقط. ومن سياسة الحكومة السيّئة نحو اللغة العربية أنّ مركز تطوير الكتب في مـجلس البحوث والتطوير التربوي النيجيري قد تكفّل بنشر كتب لبعض المواد الدراسية للمدارس الثانوية ولم تكن اللغة العربية محظوظة بالاستفادة من هذا المشروع، والسبب أنّـها «بقرة بلا ذيل»![١٥]

المعامل اللغوية:

إنّ معمل اللغة من الإمكانيات الضرورية لتعليم أي لغة وتعلّمها، فهي تلك الأماكن التي يقوم فيها مدرس اللغة بالتدريس من خلال إجراء التجارب وتطبيق النظريات باستخدام الآلات الإلكترونية وغير الإلكترونية. للمعمل اللغوي أهمية في تسهيل بعض الموضوعات التي تُعتبر صعبة لدى الطلاب، كما يتعرّض بعضهم لمشكلة نطق بعض الأصوات العربية المفقودة أصلاً في لغاتـهم الـمـحلية. ومن غرائب الأمر وعلى سبيل المثال أنّ جميع المدارس الثانوية (عادية كانت أم خاصة بدراسة العلوم العربية) بولاية نيجر النيجيرية لا تـملك معملاً لغويًّا. كان قسم اللغات واللغويات بجامعة إبراهيم بدماصي بابانْغِدا التابعة لولاية نيجر هي المؤسسة التعليمية الوحيدة في الولاية التي يوجد بـها معمل لغويّ عصري.

شبكة الإنترنت:

استفادت اللغة العربية كغيرها من لغات العالم من فوائد الثورة المعلوماتية، التي تقدّمت بفضلها أساليب تعليم اللغات وتعلّمها. ومصادر اللغة العربية على شبكة الإنترنت كثيرة ومتنوّعة العناصر، ويصعب علينا الإلمام بـها جميعاً؛ إن لم يكن

مستحيلاً. وفي بداية الأمر عندنا قلّ عدد المدارس الثانوية (العادية والخاصة) التي تتوفّر فيها خدمات الإنترنت ولاسيّما الحاسوب المحمول، وللأسف فإنّ كثيراً من عمداء المدارس والكليات الثانوية في ولاية نيجر لا يمتلكون ولو واحداً من أجهزة الحاسوب في مكاتبهم. يضاف إلى ذلك مشكلة أخرى هي قلة أجهزة الحاسوب ذات الحروف أو الرموز العربية في المدارس التي تـمتلك عدداً من الحاسوبات.

المكتبات:

من التحديات، ولسوء الحظ، أنّ المكتبات المدرسية غير متوفرة في كثير من المدارس الثانوية العادية والخاصة؛ وإن كانت متوفّرة توجد كتبها وموادها المدرسية مهجورة تقريباً. والمكتبة، كما هو معروف، مكان مهيَّأ يحتوي على عدد من الكتب للدراسة والـمراجعة، كما توجد فيه الكتب والـمجلّات والمقالات وغيرها. وبالمكتبات الحديثة كثير من مصادر التدريس الإلكترونية كالأقراص وشرائط فيديو وغيرها. حيث تـُجمع هذه الأدوات وتنظّم بطريقة معينة.

مدرسو اللغة العربية:

يعتبر المدرّس أهم المصادر مادياً وإنسانياً في مجال التعليم، وعليه يعتمد نجاح عملية التدريس إلى حدٍ بعيد. وحقيقة الأمر أنّ عدد مدرسي اللغة العربية في المدارس الثانوية غير كافٍ؛ الأمر الذي أدى إلى استخدام غير المتخصصين في اللغة العربية وغير المتدرَّبين على عملية التدريس لتعليم اللغة العربية. وفي بعض الأحيان يُستخدم خريج كليات الآداب والدراسات الإسلامية لتعليم اللغة العربية في هذا المستوى الثانوي؛ فيؤثر هذا الوضع المؤسف سلباً على نوعية وجودة التعليم ومستوى معرفة الطالب باللغة العربية، حيث يتخرج في الثانوية وهو لا يقدر على التعبير الصحيح الفصيح باللغة العربية التي درسها في هذا المستوى، أو قل في هذه المرحلة التي استغرقت ستّ سنوات، بسبب ضعف المعلّم وعدم كفاءته أو إلمامه بالمهارات التدريسية المطلوبة.

الخاتمة:

لقد حاولنا من خلال الصفحات المتقدّمة أن نعرض الوضع الجاري لتعليم اللغة العربية وتعلّمها في المدارس العادية والخاصة. وناقشنا فيما سبق حالة تعليم اللغة العربية في المدارس الثانوية من حيث النظام الدراسي والمدرسين والكتب والمكتبات والمعامل اللغوية ومصادر التدريس الأُخرى. ومما أبرزته هذه الدراسة أنّ اللغة العربية تواجه مشاكل تعرقل تعليمها وتعلّمها في المدارس والكليات العادية والخاصة، إلا أنّ التحديات التي تعاني منها في المدارس الخاصة أقلّ من التي تواجهها في العادية، إذْ وجدت اللغة العربية بيئة تناسبها في الأولى وتفتقدها في الثانية. ونتيجة لهذه التحديات يتخرّج بعض الطلاب في المدارس الثانوية العادية والخاصة وقدراتهم على التعبير باللغة العربية ضعيفة؛ هذا خلاف الغرض الهام من تعليم اللغة العربية في هذا المستوى. كما اكتشفنا كذلك عدم الاهتمام الكافي من قبل بعض حكومات الولايات في منطقة شمال نيجيريا، مثل حكومة ولاية نيجر، بمدارسها الخاصة، ولا بتعليم العلوم العربية من حيث الميزانية والإمكانيات اللازمة للدراسة، كما تهتم بالمدارس الثانوية العادية الأُخرى.

ومن التوصيات المهمة لهذه الدراسة ما يلي:

١. أن تحسّن الحكومة سياستها نحو تعليم اللغة العربية في المدارس الثانوية.

٢. إيقاف توظيف المدرسين غير المؤهلين وغير المتدرَّبين لتعليم اللغة العربية.

٣. أن يقوم مجلس البحوث والتطوير التربوي النيجيري بتعديل منهج اللغة العربية للمستوى العالي في المدارس الثانوية.

٤. توفير معامل لغوية في جميع المدارس الثانوية لتحقيق أغراض تعليم اللغة العربية في هذا المستوى.

٥. أن يعدّ مجلس البحوث والتطوير التربوي النيجيري، بالتعاون مع الأساتذة المتخصّصين في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، كتباً مناسبة وُضعت في ضوء ثقافة المجتمع النيجيري.

٦. أن تصدر توصية لعمداء المدارس الثانوية بعدم التدخل أو حرمان من يرغب في تعلّم اللغة العربية من طلاب العلوم البحتة كما هي الحالة الموجودة حالياً.

الهوامش والمراجع:

1. http/www/en.wikipedia.org
2. المترجمة إلى اللغة الإنجليزية بـ"College of Arts and Islamic Studies (CAIS)"
3. كليات الآداب والدراسات الإسلامية أُسست قبل عهد الوالي عبدالقادر كورى هي اثنتان:
   - كلية الآداب والدراسات الإسلامية، منا (Minna).
   - كلية الآداب والدراسات الإسلامية، كاچا (Katcha).

   وأما كليات الآداب والدراسات الإسلامية التي أُسست في عهد الوالي عبدالقادر كورى فهي اثنتا عشرة:
   - كلية الآداب والدراسات الإسلامية، بدا (Bida).
   - كلية الآداب والدراسات الإسلامية، ليمو (Lemu).
   - كلية الآداب والدراسات الإسلامية، شابافو (Shabafu).
   - كلية الآداب والدراسات الإسلامية، موكْوَا (Mokwa).
   - كلية الآداب والدراسات الإسلامية، انْدالوكى (Ndaloke).
   - كلية الآداب والدراسات الإسلامية، لاپـيْ (Lapai).
   - كلية الآداب والدراسات الإسلامية، كونْتاغُورا (Kontagora).
   - كلية السودان للآداب والدراسات الإسلامية، كُونْتاغُورا (Kontagora).
   - كلية الآداب والدراسات الإسلامية، تُنْغا-مَغاجيا (Tunga-Magajiya).
   - كلية الآداب والدراسات الإسلامية، سلكا (Salka).
   - كلية الآداب والدراسات الإسلامية الإعدادية، إناغي (Enagi).
   - كلية الآداب والدراسات الإسلامية الإعدادية، أغي (Agaie).
4. وهي تعني بتلك المدارس الثانوية التي تـهتم بتعليم العلوم العربية والإسلامية اهتماماً كبيراً سواء كانت حكومية أم خصوصية.
5. المترجمة إلى اللغة الإنجليزية بـ: "West African Examinations Council (WAEC)"

6. المترجمة إلى اللغة الإنجليزية بـ : "National Examinations Council (NECO)"
7. أي منهج اللغة العربية للمستوى الإعدادي في المدارس الثانوية العادية.
8. للمترجمة إلى اللغة الإنجليزية بـ : "Joint Consultative Committee on Education (JCCE)"
9. المترجمة إلى اللغة الإنجليزية بـ : "National Council on Education (NCE)"
10. المترجمة إلى اللغة الإنجليزية بـ : "Nigerian Educational Research and Development Council (NERDC)"
١١. أي منهج اللغة العربية للمستوى الإعدادي في المدارس الثانوية العادية.
12. انظر في الوثيقة: A Handbook of " 9-Year Basic Education Curriculum (BEC) Structure At a Glance" Revised 2012; NERDC; pages 4-6
13. Teachers' Guide for the Revised 9-Year Basic Education Curriculum (BEC) for Arabic (2007)، NERDC; Abuja، page 54 .
١٤. وأسماء المؤلفين كما يلي: الأستاذ الدكتور محمد الأول أبوبكر والأستاذ الدكتور سركي إبراهيم والأستاذ الدكتور الطاهر محمد داود والأستاذ الدكتور محمد الطاهر سيد والأستاذ الدكتور (الراحل) بدماصي باباتندى؛ ينتمي كلهم إلى قسم اللغة العربية بـجامعة بايرو كنو، نيجيريا.
١٥. الدكتور محمد عمر انداغي: «سياسة الحكومة النيجيرية نحو تعليم اللغة العربية في مدارسها الثانوية وعواقبها في الحياة الدينية للطلبة»؛ مقالة منشورة في:

M. A. Muhibbu-Din (2007) Education Crises in Nigeria: Arabic and Islamic Studies Perspectives. Ijebu-Ode: Shebiotimo Publication، page 80

ooo

سياسة التعليم النيجيرية تجاه تعليم العربية بالمراحل المتدنِّية (جنوب نيجيريا نموذجاً)

د.قاسم بدماصي

أستاذ اللغة العربية المشارك، جامعة الحكمة - إلورن، نيجيريا

مقدمة:

من المبادئ المسلَّم بها أنّ لكل دولة الحق في تطوير المستوى الثقافي والمعرفي والفكري لدى أفراد شعبها بما يتناسب مع عقيدتها وتقاليدها، وبما ينمِّي فكرها وثقافتها، ويؤمِّن لها الوضع اللائق في المجتمع الدولي، وكلّ ما يتطلَّب منها أن تضع لتعليم شعبها في جميع المراحل من سياسة تعليمية تهدف إلى تحقيق ذلك، وقد قامت الحكومات النيجيرية المتعاقبة قبل الاستقلال وبعده بهذه المهمَّة، وما زالت تطوِّرها من حين لآخر، وتعتبر اللغة العربية إحدى المواد الدراسية المعترف بتعليمها في مدارسها، ولكل مادّة دراسية وضعها المعتبر لها من حيث كونها مادة أساسية أو غيرها، ومن حيث عدد حصصها الأسبوعية ونحو ذلك، وهذه الورقة تسعى لإلقاء الضوء على أوضاع اللغة العربية وسياسة التعليم النيجيرية تجاهها؛ بغية الدعوة إلى الاهتمام بتصحيح ما يحتاج إلى التصحيح منها؛ لتكون في وضعها الصحيح بين بقية المقررات الدراسية في مراحلها التعليمية المختلفة، وذلك من خلال المحاور الآتية:

- اللغة وتأثيرها في المجتمع
- أهميّة تعليم اللغة العربية في نيجيريا
- مفهوم سياسة التعليم
- وضع اللغة العربية في السياسة التعليمية النيجيرية بالمراحل المتدنِّية

  أ – أنموذج سياسة تعليم اللغة العربية في المرحلة الابتدائية

  ب – أنموذج سياسة تعليم اللغة العربية في المرحلة الإعدادية

  ج – أنموذج سياسة تعليم اللغة العربية في المرحلة الثانوية
- إيجابيات السياسة التعليمية النيجيرية لتعليم العربية بهذه المراحل
- سلبيات السياسة التعليمية النيجيرية لتعليم العربية بهذه المراحل
- الحلول المقترحة
- الخاتمة

اللغة وتأثيرها في المجتمع:

يقول التعريف المبسط للغة «أنّها أصوات بها يعبِّر كل قوم عن أغراضهم، أو أنّها ما جرى على لسان كل قوم، أو ما اصطُلح عليه بين كل قبيلة من الكلام»[١]، ويعرِّفها الدكتور سميح أبو مغلي بصورة مفصّلة أنها مجموعة من الأصوات والألفاظ والتراكيب التي تعبِّر بها الأمة عن أغراضها، وتستعملها أداة الفهم والتفاهم والإفهام والتفكير ونشر الثقافة، فهي وسيلة الترابط الاجتماعي التي لابدّ منها للفرد والمجتمع.[٢] وهذا التعريف ينقل في طيّاته إشارة واضحة عن أهمية اللغة ودورها في تأمين الترابط الاجتماعي، وتأثيرها المباشر في صياغة تفكير أصحابها، لأنّها وعاء لثقافة المجتمع ومرآة ما تتضمَّنه من الآداب والقوانين والفنون والعقائد والمهارات؛ وذلك لما لكلٍّ من هذه العناصر الثقافية من تعبيراتها اللفظية الخاصة بها، وهي كما يقول الأستاذ فيليب هـ. فينكس: «ومن خلال اللغة يُسهم الفرد في المعاني الحيوية للثقافة، والسبب الأساسي لتعلّم اللغات الأجنبية أن يستطيع الفرد فهم الثقافات التي تمثّلها هذه اللغات فهماً

حقيقياً».[٣] فالمتكلم بلغة مَّا غير لغته الأم لا يتذوّق مُتْعتَها حتى تكون تلك اللغة جزءاً من عقليته، ويتشكّل فكره بآدابها، ومن ثَمّ فإنّ للغة تأثيراً عميقاً في فكر المجتمع وآدابه وتصرفاته وأخلاقه، ويظهر ذلك جليًّا فيما انصهر فيه أبناء المستعمرات الغربية من سلوك وتصرّفات ورثوها من ثقافة المستعمر.

أهمية تعليم اللغة العربية في نيجيريا

هناك دلائل تؤكّد أهميةَ تعليم اللغة العربية في مدارس دول غرب أفريقيا بعامة، ومدارس نيجيريا بخاصة، منها أنّها هي أول لغة للثقافة في أفريقيا، وبها دُوِّنت تواريخ وحوادث القرون في أفريقيا قبل الاستعمار، ولم تعرف أوروبا من تاريخ هذه القارة القديم إلا عبر تاريخها المدوّن بهذه اللغة، وهذه حقيقة أقرّ بها المنصفون في الغرب حتى النصارى منهم، ويعجبني في هذا الصدد أنّ أول عنوان افتتح به الأستاذ الدكتور مفتاح أولوييدي عبدالرحمن أستاذ الأدب العربي بجامعة إبادن محاضرته التدشينية بعد حصوله على الأستاذية هو «أنّ اللغة العربية بمثابة اللغة اللاتينية النيجيرية»[٤]، (Inaugural lecture)

ويعني ذلك أنّ اللغة العربية هي لغة ثقافة نيجيريا، لأنّ اللاتينية هي لغة ثقافة أوروبا، وقد حاول في تثبيت هذه الحقيقة باعتراف الأستاذ جون هو نوك بأنّ اللغة العربية تعتبر لاتينية أفريقيا؛ لما لعبت من الدور في غرب أفريقيا وبعض مناطق أخرى فيها قبل آلاف السنين مثل الدور الذي قامت به اللاتينية في أوربا في العصور الوسطى، وأفاد أنّ لا يخالف ما هذا الذي اكتشفه الأستاذ الدكتور كنيث دكي قبل أربعين سنة من الآن حيث قال: إن اللغة العربية – بكل تقدير ومن كل وجه – هي لغة غرب إفريقيا الكلاسيكية،[٥] أي التقليدية الخالدة. وهذا الاعتراف من هذين الأستاذين النصرانيين يؤكّد ما ثبت لدى علماء التاريخ[٦] من أنّ تاريخ قارة أفريقيا مدوَّن باللغة العربية، وأنّه لا يمكن الإحاطة بحقائق تواريخ القارَّة إلاّ من الوثائق المدوّنة بالعربية، وهذه حقيقة يعرفها الأوروبيون أنفسهم؛ ولكنّ الذي حملهم على محاربة اللغة العربية هو حقدهم الدفين على الإسلام، وأنانيَّتهم لتغليب لغتهم على لغات المستعمَرين، وصورةٌ سافرةٌ لحروبهم الصليبية الباردة الجديدة، ولكنَّ لومَهم يهون بجانب أبناء القارة الذين يساندونهم على ذلك، وظلّوا أداة طيّعة بأيديهم لتنفيذ وسائل متنوعة لمحو هذه اللغة أو إضعافها في القارة،

ولو كان هؤلاء عقلاء لما رضوا بأن يكونوا عملاء في وسائل ضياع ماضيهم وتواريخ أصولهم وأجدادهم بسبب حقدهم على الإسلام، أو جريهم وراء متاع الدنيا الفانية؛ إذ إنّ ضياع اللغة العربية بفقد الفاهمين لها يعني ضياع تاريخ القارة، ثم إن الغرب مُستيقن أنّ بقاء أبناء القارة على هذه اللغة يعني بقاءهم على الإسلام؛ إذ بها يتمّ فهم هذا الدين على حقيقته، ولذلك جدُّوا في محاربتها لإقصاء المسلمين عن فهمها والتعامل بها، ولم يغادروا البلاد إلا بعد أن صاغوا لنا حكومة علمانيةً بمصطلحهم نصرانيةً في حقيقتها، وبالمناسبة ألفتُ الأنظارَ هنا إلى أنّ مصطلح العلمانية؛ الذي نُفسِّره باللادينية كما يخدع به الغرب المسلمين وبخاصة في غرب إفريقيا ونيجيريا، ما هو إلاَّ حقيقة نصرانية، فيكون المسلمون في نيجيريا في غفلة أو تجاهل عندما يعتقدون أنّ نيجيريا دولة علمانية، بل هي دولةٌ حقيقيةٌ نصرانية تخطيطاً وتنفيذاً في جميع شؤونها وإداراتها، ولذلك ترى أنه متى ما حاول بعض المسلمين مطالبة ببعض حقوقهم المسلوبة تقوم قائمة النصارى عبر اتحاد الجمعيات النصرانية وغيرها من الجهات والأفراد النصارى،(CAN) النيجيرية هذا بغض النظر عمّا لهذه اللغة الشريفة من أهمية أكبر من ذلك هي أهميتها الدينية والثقافية والاجتماعية والدولية ونحوها؛ فإنّ ما تتمتّع به اللغة العربية من كونها وعاء للتعاليم الإسلامية؛ التي تزخر بالنظم والتوجيهات التي ترسي دعائم الأمن والاستقرار في المجتمع على اختلاف أجناسه وطبقاته، ولاسيّما في مثل نيجيريا التي لم تكن اللغة العربية فيها جديدة، بل كانت هي لغتها الرسمية السياسية والثقافية قبل دخول دولة الاستخراب، ولولا حقد أعداء الإسلام من عملاء المستخربين حكاماً وسياسيين في محاربة اللغة العربية لكونها لغة الإسلام، فإن الواقع يقرّر أن تكون العربية هي اللغة الرسمية الثانية بعد الإنجليزية؛ لفشل النيجيريين في إيجاد لغة محلية موحّدة لنيجيريا في جلسة البرلمان الثانية حول هذا الموضوع بين عامي (١٩٧٧- ١٩٧٨م) في عهد الرئيس العسكري أولوسيغن أوباسنجو؛ لأنّ كلاًّ من الإنجليزية والفرنسية دخيلة في هذا البلد، وليستا لغتين تحملان في تشكيلتهما الفكرية وآدابهما الاجتماعية أصلاً للأمن والسلام مثلما كانت اللغة العربية تتضمّنه من روافد تعاليم الإسلام، فاللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات غير العربية لغات سياسية وأيديولوجيات أرضية وضعية متنوّعة، لا تستند إلى أصل ثابت لفطرة الإنسان الاجتماعية، ولعلّ هذا ما يشير إليه المفكر القانوني الفرنسي مارسيل بوازار في معرض كلامه عن القرآن الكريم: «يخلق الروح

القرآني مناخ عين ينتهي به الأمر إلى مناغمة التعبيرات الذهنية والمساواة بين العقليات والنظم الاجتماعية بأكثر مما تفترض التصريفات السياسية والطوابع الأيديولوجية التي تستند إلى الدول».(٧) ويوضِّح فيليب حتّى ما أشرنا إليه أكثر بقوله: «... إنّ إعجاز القرآن لم يحُل دون أن يكون أثره ظاهراً على الأدب العربي، أما إذا نحن نظرنا إلى النسخة التي نُقلت في عهد الملك جيمس من التوراة والإنجيل لوجدنا أنّ الأثر الذي تركته على اللغة الإنجليزية ضئيل؛ مقارنة بالأثر الذي تركه القرآن على اللغة العربية».(٨) إذا كان هذا اعترافاً من مفكِّر لبناني نصراني معروفٍ بعصبيته ضدَّ الإسلام، فإن ذلك يدل على ما لهذه اللغة من أهمية وقيمة في إصلاح المجتمع، مما يدعو إلى ضرورة الاهتمام بنشرها والعمل على تنزيلها المكانة اللائقة بها، وهي أن تكون اللغة الرسمية الثانية بعد الإنجليزية في نيجيريا.

مفهوم السياسة التعليمية:

للوصول إلى مفهوم السياسة التعليمية؛ أرى أن أجعل لفتة يسيرة لمعنى لفظ (السياسة) فأقول: السياسة لغة تعني القيام على الشيء بما يصلحه، يقال: ساس فلان قومه أو رعيَّته سياسة، إذا قام بإصلاح أمورهم وتدبيرها، فهو مصدر ساس يسوس سياسة.(٩) أما اصطلاحاً: فالسياسة العامة تعني استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل.... والسياسة البدنية: تدبير المعاش مع العموم على سنن العدل والاستقامة.(١٠) فالسياسة من منطلق هذين المفهومين المتلازمين: اللغوي والاصطلاحي؛ تعني حسن التدبير والإصلاح وأداء الحقوق والواجبات المفعم بالعدل والاستقامة عليه، وعلى هذا يرى علماء التربية أنّ السياسة: هي الخطوط العامة التي تقوم عليها عملية التربية والتعليم،(١١) فالسياسة التعليمية بهذا المفهوم يجب أن تتناول حقول التعليم بمراحله المختلفة، والخطط والمناهج، والوسائل التربوية، والنظم الإدارية، والأجهزة القائمة على التعليم، وسائر ما يتعلّق به، ولا تكون السياسة ناجحة وموفَّقة ومثمرة حتى تنعكس في تعريف الفرد بربه، ودينه، وإقامة سلوكه على شرعه، وتسعى في تلبية حاجات المجتمع، وتحقيق أهدافه.(١٢)

السياسة التعليمية النيجيرية تجاه اللغة العربية

إنّ المتتبّع لتاريخ التعليم في نيجيريا منذ أيام الاستعمار إلى ما بعد الاستقلال، عبر حكوماتها المتعاقبة المدنية منها والعسكرية، يستطيع أن يجزم بأنّ التعليم في نيجيريا تعليم علماني بحت، وأنّ السياسات التعليمية التي صيغت وتُصاغ لها حتى الآن سياسات تعليمية جدّ علمانية تخطيطاً وتنزيلاً، فالسياسة التعليمية النيجيرية منذ عهد الاستعمار لم تتغيّر في شيء من عقائدها النصرانية وفلسفتها العدائية في محاربة الإسلام واللغة العربية، عبر إصلاحاتها المتعددة وتعديلاتها المتكرّرة لسياسة التعليم ونظامه، وبخاصة خلال سنوات ١٩٨١م، ١٩٩٧م، ١٩٩٨م، ٢٠٠٧م، ٢٠١٤م،[١٣] ولم تحدث الوزارة شيئاً ملموساً تجاه تحسين وضع التعليم الإسلامي واللغة العربية في سياسة التعليم بمرحلتي التعليم الأساس والثانوي على غرار التعليم النصراني، بل تتعمد الحكومة الفيدرالية والولائية تنفيذ سياسة تضعف التعليم الإسلامي والعربي في هذه المراحل، ليسري هذا الضعف المعجِز في عروق الراغبين في مواصلة الدراسات الجامعية والعليا في هذين التخصصين، لعلمهم يقيناً أنّ الطالب إذا لم يستوعب من المعلومات الأساسية في التخصص الذي يرغب فيه ما يمكِّنه من النجاح في امتحانات الالتحاق بالجامعة؛ فإنّه يضطرّ إلى ترك ذلك التخصص إلى الآخر الذي فرشت له السجادات من الإستبرق للوصول إلى دراسته وفهمه واستيعابه والنجاح فيه، ولولا أن الله كلَّل مجهودات الأساتذة والدكاترة الموجودين حالياً في جميع أقسام الدراسات الإسلامية واللغة العربية وشعبهما بالجامعات النيجيرية؛ الذين بذلوا قصارى جهدهم في تحمُّل الإنجليزية حتى استطاعوا بذلك الالتحاق بالجامعات، لما وُجِد في تلك الشعب والأقسام اليومَ من يقوم بتدريس اللغة العربية والدراسات الإسلامية، ولما وُجِدتِ الأقسام ولا الشعب؛ فإنّهم خرّجوا أنفسهم في الإنجليزية بأنفسهم، ومجمل القول هنا أنّ معظم أساتذة الجامعات اليوم في الدراسات الإسلامية واللغة العربية ليسوا خرّيجي الثانويات الحكومية، وإنما تخرَّجوا من المدارس العربية الإسلامية قبل أن يدرسوا الإنجليزية. لقد خدعت الحكومة النيجيرية المسلمين – وما زالت تخدعهم – بأن سمحت بإدخال مادتي الدراسات الإسلامية واللغة العربية في امتحانات الثانوية العامة وما شاكلها من هيئات الامتحانات الوطنية للالتحاق بالمراحل فوق الثانوية، كما

وافقت للجامعات التي ترغب أن تفتح أقساماً أو شعباً للدراسات الإسلامية واللغة العربية، لكنها تنفِّذ مكيدة حرب باردة تجاه المادتين بقطع المدد الذي يمكن أن يغذِّي تلك الشعب والأقسام العلمية من الطلاب، لأنّها لا توفر للمادتين ما توفره لغيرها من المواد في المرحلتين الأساس والثانوية، بما يُحقِّق استيعاب الطلاب للمادتين ونجاحهم فيهما، لا الحكومة الفيدرالية ولا الولائية. أليست هذه سياسة تعسُّفية تمارسها الحكومة على التعليم العربي والإسلامي في نيجيريا؟ مع أنّ المسلمين مواطنون لهم حقوق لا ينبغي أن تنقص عن حقوق النصارى، ومن يطَّلع على ما سطّرته الحكومة في وثائقها عن سياسة التعليم الوطنية، ويقف على حقيقة ما تمارسه في التعليم العربي الإسلامي، لا يتردّد في أنّ الحكومة النيجيرية علمانيةٌ مصطلحًا نصرانيةٌ حقيقةً، وتمارس سياسة نصرانيتها على المسلمين على رغم أنوفهم، لأنّها تقرُّ في وثائقها أنّ التعليم حق لكل طفل نيجيري، وأن له حق حرية الدين كذلك، ولنتجول قليلاً في مضامين بعض وثائقها عن سياسة التعليم مما يأتي:

١-ففي قانون تعديل سياسة التعليم لعام ٢٠٠٧م (Education Reform Act 2007) ، جاءت الفقرة برقم (٧) من القسم الثاني الفصل الأول ما نصّ على أنّه «بناء على هذا القانون، فإن مادة القسم برقم (١٥) من حقوق الطفل في قانون عام ٢٠٠٣م تطالب بتحقيق النقاط الآتية:

أ- مسؤولية كل حكومة فيدرالية أو غيرها في نيجيريا أن توفّر الدراسة المجانية والإجبارية للتعليم الأساس لكل طفل في نيجيريا.

ب- مسؤولية كل والد أو ولي أمر طفل أن يتيقَّن أنّ ولده أو مُربّاه يذهب إلى المدرسة حتى ينهي التعليم الأساس.

جـ- حقّ كل طفل في سن التعليم في نيجيريا أن ينال التعليم الأساس في تفرُّغ مناسب لسنِّه ومقدرته واستعداده الطبيعي بالحضور المعتاد المستمر للمدرسة.(١٤)

هذا ما نصَّ عليه القانون من حيث التسوية والإقرار بحقوق التعليم الأساس لكل طفل نيجيري، بغض النظر عن دينه أو قبيلته، ولكنّ ما تطبِّقه الحكومة في الواقع المُعايَش هو حرمان الطفل المسلم من أن يتعلم لغة دينه العربية بمكيدة عدائية كما أشرنا إليه سابقاً، وكما يأتي:

١- أنّ معظم ما وعدت الحكومة النيجيرية بتوفيره للمواطنين في إصلاحاتها المتجددة في سياسة التعليم لا يتمتع به الطالب المسلم الذي يريد تعلُّم العربية، فضلاً عن المدرِّس الذي يدرِّسها.

٢- أنّ ما وعدت به الحكومة في الخطة العشرية الاستراتيجية لوزارة التعليم الفيدرالية (Federal Ministry of Education 10 years Strategic Plan) عام ٢٠٠٧م من إدخال برنامج المدرسة القرآنية في سياسة التعليم الأساس وتحليل مدى الحاجة إليها،[١٥] وما وعدت به كذلك للمرحلتين الابتدائية والمتوسطة من أنّها تطوّر استراتيجية السياسة التعليمية في عمل استمرار تدريب المدرسين وإعادة تدريبهم حسب تخصصاتهم وطنياً ودولياً،[١٦] إلا أنّ مدرِّسي العربية لا يتمتعون بهذه الحقوق في واقع سياستها.

٣- أنّها وعدت كذلك بمراجعة سياسة التعليم في اللغات؛ لتتناول جوانب القراءة والكتابة والكفاءة الشفهية في المراحل المختلفة[١٧]، إلا أنَّ هذه السياسة قد لا يتمتّع بها تعليم اللغة العربية لعدم العناية بها.

٤- أنّ من فقرات التعديلات في السياسة التعليمية النيجيرية الجديدة فقرةً وهي الفقرة (e) تقضي بوضع اللغة الفرنسية في مناهج المرحلتين الابتدائية والثانوية مادة إجبارية؛ باعتبارها اللغة الرسمية الثانية.[١٨]

أليس في هذا القرار من الحكومة تعسُّف وإجحاف واضح لحق اللغة العربية في هذا البلد، وإجحاف كذلك لحق المسلمين، سواء الجاهلون لحقوقهم منهم والمتجاهلون، فإذا كانت حجّة الحكومة أنّها اتخذت هذا القرار لأنّ الفرنسية لغة الدول المجاورة، فإنّي لم أرَ ذلك إلا مكيدة لإقصاء اللغة العربية والإجهاز عليها، بعد ما أماتها الاستعمار بما لا يخفى على العاقل الواعي من أساليب الإماتة المتنوعة التي سلكها المستعمرون قبل مغادرتهم البلاد، أليست العربية هي اللغة الرسمية التي أدركها المستعمرون في نيجيريا وفي تشاد والنيجر المجاورتين لها؟ وما زالت العربية هي لغة بعض القبائل النيجيرية في إنغالا وغيرها في ولاية بورنو حتى الآن، والعربية لغة عالمية أقرّت بعالميتها الأمم

المتحدة، ولغة علم وثقافة لا تقل درجة عن الفرنسية، إضافة إلى كونها لغة دين أغلبية سكان نيجيريا؛ وإن جحد ذلك الأعداء وعملاء الاستعمار. أليس هذا التصرف من الحكومة تغميساً للشعب النيجيري في الاستعمار الفرنسي الجديد بعد أن أنقذنا الله من الاستعمار الإنجليزي، وعلى أية حال، فإنّ الاحتجاج بكون الفرنسية لغة الجيران كسبب لهذا القرار تمحّل وخداع، والواقع أن ذلك كان نتيجة لما حدث من المشكلة الانفعالية السياسية بين حكومة نيجيريا برئاسة الرئيس العسكري ثاني أباتشة ودولتي أمريكا وبريطانيا، فتسلّى الرئيس النيجيري باللجوء إلى حكومة فرنسا آنذاك لتدافع عن نيجيريا، ولم توافق فرنسا على هذا الطلب إلا شريطة رفع نيجيريا قيمة اللغة الفرنسية وجعلها لغة رسمية ثانية؛ فوافق أباتشة على ذلك وقرّره، وهكذا باع الرجل جزءاً مهمّاً من حقوق دينه وحقوق المسلمين من شعبه بثمن بخس، إمّا عن جهل وإما عن تهاون بحق العربية، وليت غير مسلم فعل ذلك ليستحقّ اللعنة.

أما ما تُسوِّغ به وزارة التربية الفيدرالية هذا القرار في حق العربية؛ من أنّ العلّة في جعل الفرنسية لغة رسمية ثانية هي كونها اللغة الرسمية للدول المجاورة لنيجيريا لتيسير الاتصال بينها وبين نيجيريا،[١٩] فهو كذب وتمويه للحقيقة، فالسبب الحقيقي هو ما ذُكر، فحُقَّ لثاني أباتشة أن يتمثَّل قول الشاعر:

أسـدٌ علـيَّ وفي الحـروب نعـامـةٌ   فتخـاءُ تنفر من صفير الصافـرِ [٢٠]

فالواقع ما صرّح به البروفيسور أبو بكر بقوله: «... أما عند الإدانة العالمية للحكومة النيجيرية العسكرية الديكتاتورية تحت قيادة الجنرال ثاني أباتشة الراحل، وعلى رأس تلك إدانة الولايات الأمريكية المتّحدة وبريطانيا، وطلب الحكومة النيجيرية آنذاك الملجأ من الحكومة الفرنسية، وحصلت عليه، لكنّ ثمن ذلك هو تغيير قيمة اللغة الفرنسية إلى المستوى الرسمي، وظلّت به اللغة الرسمية الثانية بجانب اللغة الإنجليزية، الأمر الذي جعل دراستها إجبارية على كل طالب في المرحلة الثانوية».[٢١] وقد أفاد بهذه الحقيقة بعض من كتبوا عن عدم رضاهم بهذا القرار الجائر بحق اللغة العربية من قبل الحكومة، فهذا القرار حملهم في المنهج المدرسي النيجيري الجديد المراجَع ٢٠١٤م على أن قسّموا الابتدائية إلى مرحلتين: أولاهما المرحلة الدنيا ١-٣، والأخرى المرحلة الوسطى ٤-٦،

ثم الإعدادية ١-٣، ففي المرحلة الدنيا (١-٣) عشر مواد إجبارية، وثلاث اختيارية منها اللغة العربية، مع اشتراط أن يوجد لأيّ مادة اختيارية مدرّس يدرِّسها ووسائل التعليم لها، وألا يختار التلميذ أكثر من مادة أو مادتين يكمِّل بها أو بهما اثنتي عشرة مادة على الأقصى. طبعاً اشترطوا الشرط الأول ليقينهم أنّهم لا يعيِّنون للغة العربية مدرِّساً إلا في حالات نادرة، أما المرحلة الوسطى (٤-٦) فإحدى عشرة مادة إجبارية منها الفرنسية، وثلاث اختيارية منها العربية، ولا يجوز للتلميذ كذلك اختيار أكثر من مادة أو مادتين؛ لأنّ أقصى عدد المواد المسموح بها في هذه المرحلة ثلاث عشرة مادة؛ فالإنجليزية والفرنسية من المواد الإجبارية، أما العربية فجعلوها اختيارية كما ترى، مع أنّ الفرنسية والعربية في المنهج القديم مادتان اختياريَّتان، وليس للفرنسية أيّ ارتباط أو علاقة بثقافة سكان نيجيريا أو تاريخهم أو عاداتهم كما للعربية، ولم تكن فتنتهم هذه إلا لتنفير الطلاب المسلمين عن العربية وإهانة مدرِّسيها والتقليل من شأنهم في مدارسنا، وكل منصف يعلم أنّ أكثر من تسعين في المئة من المختارين لمادة اللغة العربية في المدارس مسلمون، والعربية لغة رسمية عالمية كغيرها من اللغات في العالم.[٢٢]

وقد يُستبشَر بالفقرة (g) التي تنصّ على إدخال برنامج التعليم الأساس في المدارس القرآنية، أو دمجهما لتحقيق فرصة الحقوق المشتركة لأبناء المواطنين، والتطبيق المؤثِّر لبرنامج التعليم للجميع،[٢٣] إلا أنّ ما يُخْشَى عليه أن يتحوَّل ذلك أحبولة يُصاد بها أبناء المسلمين في تلك المدارس؛ فيغطِّي جانب المواد العصرية التي تدرس بالإنجليزية على المواد الإسلامية والعربية التي تدرس بالعربية، وذلك بأساليب شيطانية مختلفة كانت تمارس في المدارس الحكومية تجاه مادتي اللغة العربية والدراسات الإسلامية كما تقدم، فتتلاشى المدارس القرآنية أو تضعف بهذه الطريقة ضعفاً تموت به العلوم العربية والإسلامية في تلك المدارس، أو تبقى صورة لا حقيقة لها، فكم من دعاة غيورين أسّسوا المدارس العربية الإسلامية في الجنوب، فلمّا لم يجدوا ما يموّلون به لدفع الرواتب وتوفير الكراسي والمكاتب والفصول الدراسية ونحوها حوّلوها إلى مدارس الحضانة والابتدائية العصرية الإنجليزية، وتركوا ما من أجله أسّسوا المدارس العربية الإسلامية، فرجاؤنا في هذا القرار أن تكون الحكومة فيه حسنة النية والتدبير ونزيهة الإدارة. وقد يظن ظانّ أنّ السياسة التعليمية الجائرة التي تمارس تجاه اللغة العربية إقليمية، ولكنّ

الواقع يؤكد أنّها سياسة استعمارية فيدرالية تشاركها فيها حكومات ولائية ومحلية بالتنفيذ، إلا أنّ بعض الولايات والمناطق قد تكون أشدّ حرباً على هذه اللغة من بعض، على حسب مدى حقد الحكام على الإسلام ولغته، فمع أنّ المتوقّع ألاّ تعاني شمال نيجيريا هذا الظلم السافر للغة العربية، فإنّه من الشَّيْن بمكان أن تمارس بعض حكومات الشمال مثل هذه السياسة، وقد أثبت التاريخ أنّ المستعمرين خضعوا لضغط الشعب الشمالي عند تأسيسهم مدارسهم فاضطّروا إلى إدخال تعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية في مناهج تلك المدارس الحكومية في كانو، وكتشينه، وسوكوتو، استجابة لرغبة الأفراد وإرضاء للآباء، وإن كانت هذه الاستجابة من المستعمرين مصحوبة بمكيدة (من يريد أن تأكل ولا يحبّ أن تشبع) كما في أمثال يوربا، وذلك:

١- أنّ المستعمرين دسّوا سموماً بأن جعلوا نسب حصص المادتين في الأسبوع غير كافية لإفادة التلاميذ وغير وافية لتقديم المعلومات الأساسية لهم، حتى يتخرَّجوا وليس معهم إلا بضاعة مزجاة في المادتين.

٢- أنّهم تعمّدوا وضعهما في الجدول الأسبوعي في مؤخر الساعة التي يكون فيها التلاميذ مرهقين لا يستطيعون استيعاب ما يلقى عليهم فيها من الدروس كما تقدم.

ومن البلوى بمكان أن يكون حكّامنا الذين ورثوا هذه السياسة الخبيثة من المستعمرين أكثر مهارة في تنفيذ خطط الاستعمار في شعبنا وهم من بني جلدتنا،[٢٤] مع تقديري لحكام بعض الولايات الشمالية الذين ينفِّذون خطط السياسة التعليمية الفيدرالية في ولاياتهم بلباقة واحترام لدين شعبهم، مثل ولاية صكوتو التي أنشأت إدارة اللغة العربية والدراسات الإسلامية بوزارة التربية، حيث شكّلت الوزارة في عام ٢٠٠٠م لجنة لصياغة المناهج المناسبة للمدارس الإسلامية، وقد قامت اللجنة بمهمتها فأعدَّت منهاجاً قدَّمتْه للوزارة فترجمتْه الوزارة فكان باللغات العربية والهوساوية والإنجليزية، وحاولت فيه اللجنة إدماج المواد العربية والإسلامية والعصرية معاً، وهذا الصنيع يضاهي ثنائية التعليم التي لها إيجابياتها وسلبياتها،[٢٥] ولكن يُشكَر للوزارة التي تبادر بمثل هذا التصرف شعورُها بالمسؤولية تجاه هذه اللغة، ونرى مثل هذه المبادرة من حكومة ولاية كوارا، فقد أصدر مجلس البرلمان للولاية قانوناً بإنشاء مجلس تعليم اللغة العربية

والدراسات الإسلامية بولاية كوارا؛ للقيام بمسؤولية وضع نظام لجميع الأمور المتعلقة بتعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في الولاية، وقد سمي المشروع بـ(مجلس تعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية لولاية كوارا، مشروع قانون٢٠١٠).[٢٦] وهذا المشروع القيِّم تُشكر عليه حكومة ولاية كوارا لهذه المبادرة الكريمة، التي تنبئ عن اهتمامها باللغة العربية والعلوم الإسلامية والسعي في رفع مستواهما، أمّا معظم ولايات الجنوب الغربي، ناهيك عن الجنوب الشرقي، فأكثر مكيدة في محاربة العربية من حيث تطبيق السياسة الحكومة التعليمية الفيدرالية العدائية، والله المستعان.

نموذج سياسة تعليم العربية في المرحلة الابتدائية

ظهر لنا من خلال الفقرات الماضية موقف السياسة التعليمية النيجيرية العامة لتعليم اللغة العربية بهذه البلاد، ولا يخفى من ذلك ما تعانيه هذه اللغة من اضطهاد وصنوف من أساليب المحاربة والإقصاء التي كان يمارسها المستعمرون قبل الاستقلال، وورثها عملاء الاستعمار فكانوا أبسل محارب وأعنف حاقد وأكثر متفنّن في هذه المحاربة، وقد قصدوا استئصال اللغة العربية من ألسنة الأجيال المتعاقبة في هذا البلد، كما حاولوا في غيرها من الدول الإسلامية المستعمرة، فكان من خططهم إضعاف مستوى التعليم العربي في المدارس الحكومية ابتداء من المرحلة الابتدائية، فمع أن أهداف التعليم بالمرحلة الابتدائية في قانون إصلاح نظام التعليم في نيجيريا عام ٢٠٠٧م (Education Reform Act 2007) تنصّ على:

أ-ترسيخ المعرفة المستقرة بالقراءة والكتابة والحساب وملكة التحدث والاتصال المفيد.

ب-وضع أساس متين للمعرفة والتفكير السليم.

جـ-التربية الوطنية على أنّها أساس للمشاركة المؤثرة والتعاون في حياة المجتمع.

د-التربية الخلقية والسلوكية وتطوير المظهر السليم.

هـ-تطوير الملكة في الولد لتغيير بيئته.

و-إعطاء الولد فرصة تطوير مهارات الإبداع التي تمكّنه من العمل المؤثّر في المجتمع في حدود قدرته.

ز- توفير الأدوات الأساسية لتحصيل التعليم الإضافي المتطوّر بما فيه الإعداد للتجارة والحرفة المحلية.(٢٧)

هذه هي أهداف السياسة التعليمية النيجيرية العامة للمرحلة الابتدائية، وهي في ظاهرها ممتازة، إلا أنّها عند التطبيق في مادة اللغة العربية جائرة لمن يحيط بما يجري في المدارس الابتدائية في البلد، فالهدف الأول مثلاً لا تسعى وزارات التربية الفيدرالية ولا الولائية لتحقيقه في مادة اللغة العربية، وهو الهدف الذي تنبني عليه بقية الأهداف، إذ إنّ إجادة القراءة والكتابة ومعرفة الحساب أساس المعارف كلها، وتحصيلها لا يمكن أن يتم بدون إيجاد مدرس كفء، ومنهج قويم، ومقرّر أو كتاب سليم ونحوها، وكل ذلك لا تبالي الوزارات المعنيّة بتوفيره للغة العربية في المدارس الابتدائية، حتى في بعض المدارس التي أنشأها المسلمون من أجل أبنائهم ثم سلبتها الحكومة منهم بمكر السياسة في محاربة الإسلام، وهكذا لو تناولنا بقية الأهداف بالتحليل والتفسير لوجدنا أنها لم توضع لصالح المادتين: اللغة العربية والدراسات الإسلامية، ومع ما وعدت به وزارة التربية الفيدرالية في خطّتها الاستراتيجية العشرية عام ٢٠٠٧ أيضاً من أن استراتيجيتها لتعليم الابتدائية والإعدادية تطوير تطبيق سياسة رفع مستوى المتابعة والتفتيش التربويين عن الإنجاز التعليمي، وكذلك ما وعدت به مما سبقت الإشارة إليه من تطوير السياسة لتحسين أداء المدرسين عن طريق تدريبهم باستمرار وطنياً ودولياً،(٢٨) إلا أنّ هذين الوعدين ضمن غيرهما من وعود عرقوب بالنسبة للمادتين لا تفي الحكومة بها، بل إنّ سياسات التعليم وتعديلاتها أو إصلاحاتها المتعاقبة، منذ ما قبل الاستقلال وما بعده حتى هذه الفترة، لم يصاحبها التطبيق، وإنّما هي سياسات تسوّد بها الأوراق، وتترك لوزراء التربية، وبخاصة النصارى المتعصبون منهم، أن يديروا الوزارة بأهوائهم، ويؤيدوا عمداء الكليات ومديري المدارس أن يتصرفوا بما شاءوا، وبخاصة تجاه اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وإن يطبِّقوا شيئاً من بنود سياسة التعليم الوطنية المعتمدة فلا يطبقون منها إلا جزءاً يكون في صالحهم.(٢٩)

نموذج سياسة تعليم العربية في المرحلة الإعدادية

إنّ سياسة التعليم النيجيرية تجاه اللغة العربية في هذه المرحلة لا تختلف في شيء عما هي عليه في المرحلة السابقة، فمع أنّ من أهداف التعليم الإعدادي والثانوي تطوير وتقدير ثقافة نيجيريا وفنونها وآدابها ولغتها، إضافة إلى التراث الثقافي العالمي، ومنها أيضاً إشعار الطلاب بضرورة الرغبة في حب الإنتاج والتطوير الذاتي حالة الدراسة وفي مستقبل حياتهم،(٣٠) ومع ما ضمّنوا الخطة الاستراتيجية العشرية لعام ٢٠٠٧ من تنفيذ بنود سياسة التعليم في المتابعة والتفتيش وتدريب المدرسين باستمرار وغير ذلك،(٣١) إلا أنّ تعليم اللغة العربية في هذه المرحلة لم يحظَ بعناية الحكومة النيجيرية كما ينبغي، ويُفهم من إهمالها لحق اللغة العربية غمط حق المسلمين في حرية التديُّن؛ لما للعربية من علاقة وطيدة لا تتجزأ عن أداء بعض فرائض الإسلام وشعائره، ويوضح الأستاذ الدكتور أبو بكر ديرمي ظلم الحكومة للغة العربية في مدارسها بما لخّصه في: «أن من ذلك عدم رصد الحكومة الحصص الكافية للغة العربية في الجدول الأسبوعي في مدارسها، ففي المرحلة الإعدادية مثلاً رُصد للغة الإنجليزية خمس حصص في الأسبوع والأدب الإنجليزي ثلاث حصص، في حين رُصدت للغة العربية ثلاث حصص فقط في الأسبوع، إضافة إلى أن الإنجليزية هي اللغة الرسمية وتدرس بها جميع المواد في المدارس، وأحرزت الفرنسية صفة اللغة الرسمية الثانية، فبقيت العربية مقصوصة الجناحين مع أنّها هي لغة الثقافة والسياسة الأولى في نيجيريا، وهي التي في طياتها تاريخ المنطقة وآدابها، ولكن الحكومة رفعت مستوى الإنجليزية والفرنسية عليها بقوّة القانون،(٣٢) ولذلك قررت إجبارية الفرنسية واختيارية العربية في هذه المرحلة، بشرط وجود مدرس يدرس العربية وتوافُر وسائل تعليمها قبل أن يختارها الطالب، كما سبق في الابتدائية، مع العلم بأنّ الحكومة لا تعيِّن مدرس العربية إلا لماماً.(٣٣)

هذا، ولا يخفى على جمهور الناس تعسّف السياسة التعليمية تجاه العربية بهذه المرحلة في المدارس الحكومية، من ندرة المدرسين لها، فالواقع الملموس في مدينة إلورن أنَّ مدرسة إلورن العالية Ilorin Grammar School يوجد بها في المرحلة الإعدادية مدرّس واحد للغة العربية، ولا يأتي للتدريس إلا مرّة أو مرّتين في الفصل الدراسي، في حين يوجد للإنجليزية أكثر من ثلاثة مدرسين. وفي مدينة إبادن مثلاً لا يوجد مدرّسو

اللغة العربية في معظم مدارسها الحكومية، ففي مجموعة Muslim Grammar School مثلاً توجد ثلاث مدارس للمرحلة الإعدادية؛ ويوجد مدرس واحد للغة العربية في مدرسة واحدة منها، هي المدرسة الثالثة (School 3)، ولا يوجد مدرِّس لها في الباقيتين، وفي مجموعة ثانويات زمرة الحجاج Zumratul-Hujjaj Grammar School توجد مدرستان للإعدادية، وفي واحدة منهما يوجد مدرس واحد للغة العربية ولا يوجد لها أيّ مدرس في الثانية، في حين يوجد أكثر من أربعة مدرسين للإنجليزية في كل مدرسة منهما، وهذا الواقع المؤسف هو السائد لتدريس العربية في معظم المدارس بجنوب البلاد، وحدّث ولا حرج في أسوأ حال لها في المدارس الخاصة.

نموذج سياسة تعليم العربية في المرحلة الثانوية

في المنهج الدراسي الجديد إصدار ٢٠١٣م، أتاحت الوزارة فرصة حق اختيار الطالب اللغة العربية مادة التخصص، ليدرسها ثلاث سنوات بهذه المرحلة بعدما حاربتها بوسائل شتّى لمدة تسع سنوات دراسية، والآن تفسح المجال للراغب في التخصص في اللغة العربية أن يدرسها بعد ما فاتته المعلومات الأساسية التي ينبغي أن يدرسها لتلك السنوات الطويلة، وذلك بسبب سياساتها المتسمة بالاضطهاد لهذه اللغة، من حيث: عدم توفر المقررات الدراسية لها، وندرة تعيين المدرِّسين لها، ووضع النصارى المتعصِّبين عمداء ومديرين بالمرصاد ليقوموا بدورهم في منع المدرّسين من تعليمها للطلاب، وتقليل حصص تدريسها لنسبة غير كافية، ووضعها في الجدول الأسبوعي في هامش الأوقات المقرّرة رسمياً بوقت يكون فيه الطلاب مرهَقين لا يمكِّنهم الجوّ والضوضاءُ من استيعاب ما يدرسون، وغير ذلك من وسائل المحاربة التي أورثت الطلاب الضعف الحتمي المتوقّع من الطالب الذي لم يتوافر له وسائل التحصيل الجيِّد، حتى إنك لترى من يلتحق بالجامعة من أمثال هؤلاء الطلاب ليدرس العربية قليل البضاعة من أساسيات مواد تخصُّصه؛ فيكاد لا يستطيع أن يكوِّن جملة صحيحة، أو يقرأ جملة أو سطراً بدون تلعثم، أو أخطاء لا تُغتفَر، اللهم إلا إذا كان قد درس بإحدى المدارس العربية الإسلامية من قبل. ثمّ إنّ الوزارة قد ضاعفت محاربتها للعربية في المرحلة الثانوية أشد مما هي عليه في مرحلة الأساس؛ لأنّها قد توفّر مدرِّساً أو مدرِّسَيْن للعربية في بعض مدارس المرحلة الإعدادية، ولكنّ السائد في المرحلة الثانوية

التي تعد بوابة للمرحلة الجامعية أنها لا تعيِّن فيها مدرِّسين للغة العربية إلا نادراً، فمثلاً في مدرسة Ilorin Grammar School بمدينة إلورن لا يوجد أيّ مدرس للغة العربية في سنة من سنواتها الدراسية الثلاث، مع وجود حوالي خمسة مدرسين للإنجليزية.

وفي إبادن بمجمَّع مدارس Grammar School Muslim يوجد في كل ثانوية من ثانويتَيْها مدرِّس واحد للعربية، وفي مجمَّع مدارس Zumratul Hujjaaj Grammar School أيضاً لا يوجد أيّ مدرِّس للعربية في ثانويتَيْها مع وجود عدد من مدرِّسي الإنجليزية في تلك المدارس، مع العلم أنّ هذه المجمَّعات المدرسية التي أجرينا عليها البحث مدارس للجمعيات الإسلامية في الأصل أدخلتها الحكومة تحت سيطرتها، وقد صادفَنا خرّيجو أمثال هذه المدارس في جامعة الحكمة بإلورن ممن قُبِلوا لدراسة اللغة العربية فيها، ولكنهم اضطرّوا إلى التحوُّل إلى قسم الدراسات الإسلامية لضعفهم الشديد في اللغة العربية، ولأن الدراسات الإسلامية تدرس بالإنجليزية. هذه النماذج اليسيرة جدًّا تكفي لإلقاء الضوء على الخطة الخبيثة التي تدبّرها الحكومات النيجيرية، وبخاصة في جنوب البلاد، لوأد اللغة العربية في مدارسها.

إيجابيات السياسة التعليمية النيجيرية لتعليم العربية بهذه المراحل

أكاد لا أرى أيّ سياسة إيجابية تجاه اللغة العربية من قبل وزارة التربية والتعليم سوى سماحها بوضع مادة هذه اللغة ضمن المقرّرات الدراسية بالمدارس، على الرغم من إبقائها حتى الآن مادة اختيارية، فإنّ ذلك هو الذي فتح المجال للتلاميذ أن يدرسوها مع توهينها بتلك المدارس، كما ساعد الذين درسوها بتعمُّق بالمدارس العربية الإسلامية الخاصة ممن عندهم إلمام باللغة الإنجليزية أن يواصلوا دراساتهم الجامعية أو العليا بالجامعات.

سلبيات السياسة التعليمية النيجيرية لتعليم العربية بهذه المراحل

مما تقدّم يمكن تلخيص مدى تعسُّف السياسات التعليمية النيجيرية تجاه اللغة العربية بمراحل التعليم المتدنية في أهمّ النقاط الآتية:

١- جمع مادتي اللغة العربية والدراسات الإسلامية في حصص مادة واحدة في المرحلة الابتدائية، يقوم بتدريسهما مدرس واحد، وتكون لهما حصة مادة واحدة من

المواد الأخرى، مع أنّ عدد الساعات التي تخصص لهما في هذه الحالة أربعون دقيقة مرّتين في الأسبوع، وهي لا تكفي لمادة واحدة منهما إذا أريد أن يستفيد منها التلاميذ ويحصّلوا المعلومات المناسبة، وهذا التصرّف من الوزارة ومسؤولي التربية وناظري المدرسين متعمّد؛ لإقصاء اللغة العربية وتنفير التلاميذ منها في هذه المرحلة الأساس.

٢- عدم توظيف المدرِّسين الأكفّاء للغة العربية، أو قلّة توظيفهم في المدارس الابتدائية، مع أنّ الوزارة اشترطت في المنهج المراجَع الجديد ضرورة وجود مدرِّس ووسائل التعليم لأيّ مادة اختيارية في أيّ مدرسة يريد التلميذ فيها اختيار تلك المادة، واللغة العربية مادة اختيارية،[٣٤] ولذلك إذا حان وقت حصتها في جدول الدراسة استبدل بها ناظر المدرسة غيرها من المواد التي يفضلونها، بحجّة عدم وجود المدرّس لها، وقد نتج من هذا التصرّف عدم مبالاة مؤسسي المدارس الخاصة بإدخال مادة العربية في برامجهم التعليمية، وعدم توظيف المدرسين لها أصلاً، إلا بعض الغيورين على الإسلام منهم وما أقلّهم عدداً.

٣ - عدم عناية الحكومة بتدريب مدرسي اللغة العربية على غرار تدريب غيرهم من مدرّسي المواد الأخرى، الأمر الذي نتج منه عدم كفاءة كثير من مدرسي اللغة العربية إذا قورنوا بأقرانهم في المواد الأخرى، وكان ذلك سبب زيادة ضعفهم، الذي نتج من إحساس التلاميذ به إعراضهم عن هذه المادة وعزوفهم عن تسجيلها ضمن مواد امتحانات الثانوية العامة.[٣٥]

٤- أنّها تكيد بواسطة مديري مدارس المرحلة الأساس وعمداء الثانويات؛ بمنع مدرِّس اللغة العربية من تدريس مادة تخصصِّه وتكليفه تدريسَ مادة أخرى كالإنجليزية ونحوها، محتجًّا بأنه لا يوجد لديه من يرغب في اللغة العربية أو الدراسات الإسلامية من بين تلاميذه، أو بأنّ لديه مواد إجبارية لم يجد لها مدرساً بعد، فإما أن يدرِّس هذا المدرس تلك المادة أو يفقد وظيفته.

٥- عدم توفر الكتب والمقررات المناسبة للمادتين في تلك المدارس على غرار ما توفر لغيرهما من المواد في المدارس الحكومية، اللهم إلاّ ما بدأت به بعض الولايات في هذه الآونة الأخيرة من تكوين لجنة وضع المقررات، أضف إلى ذلك أنه حيث يوجد للغة العربية مثلاً كتاب مقرر لا يوجد إلا كتاب واحد يدرسه التلاميذ في سنوات

الابتدائية الست، مثل كتاب (العربية الجديدة في نيجيريا) بأجزائها الثلاثة، فهل يكفي كتاب واحد لإعطاء التلاميذ معلومات كافية تمكِّنهم من التحدُّث بها على المستوى الذي يتحدّث الطالب الابتدائي باللغة الإنجليزية، كلا، وألف كلا !!! أليست جميع المواد التي يدرسها التلاميذ ماعدا مادتي اللغة العربية واللغة المحلية لمن يدرسهما تدرس كلها باللغة الإنجليزية، ثم إن هناك مواد إجبارية مساعدة للإنجليزية منها الأدب الإنجليزي، والإنشاء، والمحادثة، والكتابة، ونحوها، مما لا يتوافر أمثالها في دراسة اللغة العربية بتلك المدارس.

٦- أنّها جعلت المادة اختيارية حتى لأبناء المسلمين الذين ينبغي - عند الإنصاف - أن تجعل المادة إجبارية لهم، والغريب أن تجعل الدراسات الإسلامية إجبارية لأنّها تدرس بالإنجليزية وتبقى اللغة العربية اختيارية![٣٦] وكانت هذه السياسة تمارس منذ عهد الاستعمار، ولم تزل الحكومات المتعاقبة سواء الفيدرالية أو الولائية والمحلية على هذه السياسة حتى في تعديلاتها الأخيرة في سياسة التعليم هذا العام ٢٠١٤م، على عكس اللغتين الإنجليزية والفرنسية.

٧- أنّ سياستها تجاه المادة أن تتعمّد وضعها في الجدول الأسبوعي بالمدارس في أوقات يكون فيها التلاميذ مرهقين جدَّ إرهاق، لا يستطيعون استيعاب ما يدرسون، وهذه سياسة معتادة حتى في المدارس التي أسّسها المسلمون وتديرها الحكومة، وبخاصة في جنوب البلاد.

٨ - تنفير التلاميذ من تعلُّم العربية بسبب سوء السياسة التعليمية تجاهها بوسائل متنوعة سبق ذكرها.

٩-عدم وضع المنهج السليم الوافي بمتطلباته من حيث المادة العلمية وعدد الحصص الأسبوعية الكافية لها، بطريقة تمكّن المدرّس من إعطاء المعلومات الكافية لطلاب كل مرحلة من مراحل التعليم الأساس، حتى يستطيع التلميذ أن يحصّل ما يمكّنه من فهم العربية قراءة وكتابة وتحدّثاً، على غرار ما وفر للغة الإنجليزية وغيرها من المناهج.

١٠-إهمال اللغة العربية من المتابعة التعليمية والتفتيش التربوي وعدم توسعة الإشراف والمراقبة على سير تعليمها بالمرحلة الابتدائية، مما أدى إلى تراخي مدرّسيها وتهاونهم بواجبهم تجاه التلاميذ الراغبين في تعلمها.[٣٧]

١١ – ما ترتَّب على هذه السياسة من عدم عناية مؤسسي المدارس الخاصة بإدخال مادة اللغة العربية في المقررات الدراسية في مدارسهم، بل إن كثيراً من المدارس الخاصة لا تدخلها في المقررات أصلاً، إلا ما كان لبعض المسلمين الغيورين على دينهم من تلك المدارس.

هذا، ولا يخفى الضعف الحتميّ المترتِّب على تعليم اللغة العربية بهذه الطرق العشوائية وتهميشها على حساب العناية بالمواد الأخرى، بما سبب ضعف التحصيل لدى التلاميذ الذين يدرسونها في المدارس الحكومية، وكل ذلك محاولة للإجهاز على العربية بعد محاولات مختلفة يائسة لإماتتها.

التوصيات والمقترحات

١ – إيجاد إدارة للغة العربية والدراسات الإسلامية بوزارة التعليم الفيدرالي يتولاها متخصصون في المادتين من أصحاب الكفاءة الكاملة والخبرة الطويلة فيهما.

٢– جعل اللغة العربية مادة إجبارية لأبناء المسلمين في المراحل التمهيدية والابتدائية والمتوسطة والثانوية.

٣– تطوير منهاج اللغة العربية وتقويته بطريقة يستوعب بها تناول جميع المهارات اللغوية الأربع، وإلزام المدارس الحكومية والخاصة بتطبيقه في جميع المراحل قبل الجامعية.

٤– إعطاء مادة اللغة العربية حصصًا أسبوعية كافية على غرار ما تُعطى اللغة الإنجليزية؛ ليتمكّن المدرس من استيعاب المنهج وتقديم الدروس للتلاميذ بطرق خاصة بتدريس اللغات ناجحة.

٥– إدخال مواد مساعدة للغة العربية في المنهج كالمطالعة والإنشاء والأدب العربي ونحوها، على أن تستقلَّ كلّ من هذه المواد بحصصها في الجدول الأسبوعي.

٦– إمداد المدارس الابتدائية والثانوية بالمقررات المدرسية المناسبة في القواعد والنحو والصرف والأدب والبلاغة، وسائر المواد العربية التي تكوّن ملكة اللغة العربية في الدارسين منذ المرحلة الابتدائية والإعدادية.

٧– تزويد المدارس بالمدرسين المؤهلين المتخصصين الأكفاء في اللغة العربية، ودعمهم بوسائل التدريس المناسبة لتدريس اللغة العربية.[٣٨]

٨ – العناية بتدريب مدرِّسي اللغة العربية وتكوينهم تربوياً وعلمياً بطريقة تجعلهم أكفاء في مجال تخصصهم، على غرار العناية بتدريب غيرهم من أصحاب التخصّصات الأخرى.

٩ – إنّ المسؤول الأول عن القيام بتحقيق هذه المقترحات، وبالمطالبة بما ينبغي مطالبة الحكومة بتحقيقه منها، هي جمعية مدرسي اللغة العربية وآدابها في نيجيريا (نتال)، ولا يتوقع أحد أنّ هناك غيرها يقوم بهذا الواجب، أو أنّ الحكومة تتراجع عن هذه الممارسة ما دامت السلطة بأيدي النصارى، أو بيد عملائهم من بني جلدتنا.

الخاتمة :

تناول هذا البحث المتواضع دراسة بعض جوانب من سياسات التعليم النيجيرية تجاه اللغة العربية؛ مستعيناً في ذلك ببعض الوثائق المتعلقة بموضوع البحث، وبالوقائع المعايشة في المدارس الحكومية ذات العلاقة، وبخاصة في بعض ولايات جنوب البلاد، وافتتح البحث بالمقدّمة وبالإشارة إلى مدى تأثير اللغة في أي مجتمع ما، وإلى أهمية تعليم اللغة العربية في نيجيريا، ثم تناول بيان مفهوم سياسة التعليم، وركَّز في توضيح أوضاع تعليم اللغة العربية من جرّاء السياسة التعليمية النيجيرية التعسُّفية الظالمة في المراحل المتدنِّية، التي نعني بها المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية، مشيرا إلى سفور محاربة جريئة لهذه اللغة بصور وطرق متنوعة، مع تجنيد عدد من مديرين وعمداء نصارى وجُهّال مسلمين وملحدين لتنفيذ مخططاتهم الخبيثة في مدارسهم، وحاول الباحث أن يذكر نماذج يسيرة لتلك السياسة في كل من المراحل الدراسية المذكورة، ثم أشار إلى أنّ ما يمكن أن يعَّد نوعاً من الإيجابية في تلك السياسة هو مجرّد سماح الحكومة لتكون العربية من المواد المدرّسة في مدارسها، وأعقب ذلك الإشارة إلى أهم السلبيات الكثيرة التي نتجت وظلّت العربية تُعانيها من تلك السياسة الظالمة فيما يربو على عشر نقاط، منها: جعل العربية مادة اختيارية في جميع المراحل، عدم كفاية حصص تدريسها، وعدم تعيين مدرِّسين لها، وغير ذلك من السلبيات، ثم ختم البحث بإيراد مقترحات يرى أنها تعالج أكثر تلك السلبيات، أو جميعها بإذن الله تعالى.

الهوامش والمراجع:

١. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موصى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مقابلة خطية من الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٣، بتصرف يسير.

٢. سميع، أبو مغلي (الدكتور)، الأساليب الحديثة لتدريس اللغة العربية، نشر مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمّان- الأردن، ط١٩٩٧م = ١٤١٧هـ- ص١٩.

٣. نقله عنه الدكتور عدنان زرزور في كتابه (إنسانية الثقافة الإسلامية مدخل وتمهيد)، نشر المكتب الإسلامي بيروت ط٢، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م ص٨٥.

4. Abdul-Rahman، M. Oloyede، Inaugural Lecture 2011/2012 titled: (Illiterate Scholars and National Development: The Arabic Webs in Yoruba Looms) P.2، quoted from: Hunwick، John (2006) West Africa، Islam and the Arab World. Studies in Honour of Basil Davidson. Princeton: Markus Wiener Publishers P.53

5. Abdul-Ramon، M. Oloyede، abidPP.2، 3، quoted from Dike، Kenneth (1965) Opening Remarks in Hunwick J.O. Report of a Seminar on the Teaching of Arabic in Nigeria، Ibadan and Kano. P.2

6. Abdul-Rahmon، M. Oloyede، abid P.2

والإلوري، آدم عبدالله، نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي، نشر دار مكتبة الحياة، بيروت ط٢، عام ١٩٦٧م ص٥٣.

٧. عماد الدين، خليل (الدكتور)، قالوا عن الإسلام، نشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض، المملكة العربية السعودية ط١، ١٤١٢ه= ١٩٩٢م ص٥٤، نقلاً عن مارسيل بوازار، في كتابه إنسانية الإسلام ص٣٤٣.

٨. عماد الدين، خليل (الدكتور)، المرجع السابق، نقلاً عن فليب حِتّى في كتابه: الإسلام منهج حياة، ص ٢٨٧-٢٨٨.

٩. ابن منظور، علي بن مكرم، لسان العرب، تحقيق نخبة من الأساتذة بدار المعارف، نشر دار المعارف بمصر. ٤/ ٢١٤٩، والفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير، نشر مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح بيروت لبنان ص١١٢ مادة (سوس).

١٠. الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١٤١٣،٢هـ= ١٩٩٣م، ص٥١٠ .

١١. عيسى، أحمد عبدالرحمن (الدكتور)، سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية، نشر دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض ط١، ١٣٩٩ه = ١٩٧٩م، ص٩ .

١٢. عيسى، أحمد عبدالرحمن (الدكتور)، المرجع نفسه والصفحة نفسها بتصرف يسير.

13. The Current Policy on Education in Nigeria، http://getguide.blogspot.com/2008/08/current-policy-on-education-in-nigeria.html on the 04-03-2014، Education Reform Act 2007 P.8

14. Education Reform Act 2007، P.8

15. Federal Ministry of Education 10 Years Strategic Plan، P.11

16. Federal Ministry of Education ……………. abid P.12

17. Federal Ministry of Education ……………. abid P.15

18. The Current Policy on Education in Nigeria، abid P.1

19. The Current Policy on Education in Nigeria abid: P.5

٢٠. بيت من الكامل لعمران بن حطان الخارجي، ينظر الطيبي، الحسين بن عبدالله بن محمد، التبيان في علمي المعاني والبيان، تحقيق عبدالحميد أحمد يوسف هنداوي، نشر المكتبة التجارية بمكة المكرمة ١/ ٢٩١.

٢١. أفاد به إبراهيم أبوبكر إمام، المرجع السابق ص١٤٩ .

22. Councelling GUIDE on New Curriculum for 9 Years Basic Education Classes SUBJECTS TO OFFER MADE SIMPLE (For Effective Implementation) .Developed by ; Focus Councelling and Educational Consultancy Services. and The New Nigeria School Curriculum Review: Alienating Arabic And Muslim Students by Jibril Idris. Jibohoha2002@yahoo.com Source: http://www.gamji.com/article8000/NEWS8889.htm ، 04-03-2014. P.1

23. The Current Policy on Education in Nigeria، abid P.2

٢٤. المعلم، محمد تكر علي، مقالة بعنوان: أثر الاستعمار في التعليم العربي الإسلامي بالمدارس العربية والإسلامية في نيجيريا: دراسة وتحليل، في مجلة مالم لقسم اللغة العربية بجامعة عثمان بن فودي صكتو - نيجيريا، العدد السابع، ربيع الأول ١٤٣١ه، إبريل ٢٠١٠م، ص١٢٠ .

٢٥. ينظر: المعلم محمد تكر علي، المرجع السابق ص١٢٣-١٢٤ .

٢٦. وقد أرسل مجلس نواب ولاية كوارا نسخة من مشروع القانون المذكور بخطاب موقّع من رئيس لجنة التعليم في مجلس النواب باسم جايَيْأولا م٠ سليمان إلى جامعة الحكمة، إلورن للمشاركة بالرأي والمشورة في صياغة ذلك المشروع وذلك بالتاريخ ١٠/ ١١/ ٢٠١٠م، وبالرقم (KWHA/S/21/VII/851)

27. Education Reform Act 2007، Schedule 3، Primary Education، ibid PP. 90-91

28. Federal Ministry of Education 10 years Strategic Plan، ibid P.12

29. See: The New Nigeria School Curriculum Review: Alienating Arabic And Muslim Students by Jibril Idris. Jibohoha2002@yahoo.com Source: http://www.gamji.com/article8000/NEWS8889.htm ، 04-03-2014. P.1

30. Education Reform Act 2007، Schedule 3، Junior Secondary Education، ibid P. 91

31. Federal Ministry of Education 10 years Strategic Plan، ibid P.12

32. Razaq D. Abubakre، The Interplay of Arabic and Yoruba Cultures in South-Western Nigeria، Published by Darul-'Ilm Publishers، Iwo، September 2004، P443 .

33. Councelling GUIDE on New Curriculum for 9 Years Basic Education ....

34. Councelling GUIDE on New Curriculum for 9 Years Basic Education Classes SUBJECTS TO OFFER MADE SIMPLE (For Effective Implementation) .Developed by ; Focus Councelling and Educational Consultancy Services .

٣٥. انظر: علي، يعقوب (الدكتور)، مقال بعنوان (معوقات التعليم العربي الإسلامي في غرب إفريقيا الأسباب وسبل العلاج)، منشور في قراءات إفريقيا، مجلة ثقافية فصلية محكّمة في شؤون القارة الإفريقية يصدرها المنتدى الإسلامي بالرياض. العدد الثاني عشر، ربيع الأول – جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ = إبريل – يونيو ٢٠١٢م ص٢٧

٣٦. مهيب، محمد راجي (بويوايلولا) الدكتور. مقال بعنوان ((اللغة العربية وتقدير الحكومة لها في نيجيريا)) في مجلة الأصالة التي تصدر من قسمي اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة الحكمة إلورن، العدد الأول، الجزء الثاني شوال ١٤٣١ه ص١٨٧.

٣٧. إبراهيم، أبوبكر إمام، مقال بعنوان: «تحديات عريضة للغة العربية في نيجيريا»، نشر مجلة الأصالة بجامعة الحكمة، العدد الثاني الجزء الأول، ذو القعدة ١٤٣٢ه، ص١٤٥، ١٤٧.

٣٨. المعلم، محمد تكر علي، المرجع السابق ص ١٢٦.

ooo

الفصل الثالث:

اللغة العربية في التعليم العالي في نيجيريا

تدريس اللغة العربية في الجامعات النيجيرية شمال البلاد

البروفيسور محمد معاذ انغرو

الأستاذ بقسم الدراسات العربية والإسلامية، جامعة ميدغري، ومدير قرية اللغة العربية – نيجيريا

مقدمة:

تعتبر اللغة العربية لغة محبوبة في الكثير من الدول الإفريقية عامة، وفي نيجيريا خاصة، حيث يوجد في غربي إفريقيا دول الأغلبية فيها مسلمة كمالي والسنغال ونيجيريا والنيجر، وسائر دول جنوب الصحراء، فالمسلمون يدرسون هذه اللغة في مدارس المساجد أو المدارس في البيوت والشوارع والأسواق. لا غرو إذا قلنا إن العربية هي اللغة الأولى التي أعطتنا إنجازاتها العلمية والأدبية في إفريقيا جنوب الصحراء، أو ما يسمى ببلاد التكرور سابقاً، منذ أوائل القرون الإسلامية، قبل أن يتكلم أي شخص إفريقي باللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو غيرها. ويجدر بالذكر أنّ اللغة العربية ليست اللغة الأجنبية في نيجيريا كما يزعم بعض الباحثين، حيث يوجد كثير من النيجيريين يتكلمون بها كلغة أولى، وهم «شوا عرب»، لذا تعتبر اللغة العربية إحدى اللغات المحلية في نيجيريا، فاللغة العربية هي لغة الثقافة من الناحية الدينية والأدبية، حيث إنّ كثيراً من العلماء النيجيريين ألفوا أمهات الكتب بهذه اللغة، وبذلك أسهموا في نشر وتطور هذه اللغة؛ ومن هؤلاء العلماء الشيخ عثمان بن فودي ومحمد بللو وغيرهما.

بناء على ما سبق، لا عجب إذا كانت هذه اللغة «لغة الضاد» من أهم المواد الدراسية في مناهج التدريس في بعض المدارس والجامعات النيجيرية على وجه الخصوص، ليس المسلمون فقط هم الذين يقومون بتدريس هذه اللغة في نيجيريا، بل هناك مسيحيون أيضاً يشاركون المسلمين في ذلك، من أمثال البروفيسور إسحاق أوغُنْبِييه. وفي ما يلي – إن شاء الله – سنتكلم عن تدريس اللغة العربية والعلوم الشرعية في الجامعات النيجيرية عامة، وفي منطقة الشمال خاصة.

دراسة اللغة العربية:

تدريس اللغة العربية في الجامعات الإفريقية عامة وفي الجامعات النيجيرية خاصة يقوم على أساس ديني أكثر منه مهني، فالكثير من المسلمين يرون أن دراسة اللغة العربية وتدريسها مطلب ديني، حيث لا يستطيع المسلم أن يفهم دينه فهماً جيداً بدون فهم هذه اللغة، ولكن هذا لا ينفي أن يكون هناك من لا يدرسونها لأهداف دينية بحتة.

نبذة وجيزة عن الحضارة العربية في إفريقيا:

لقد تبادلت إفريقيا الخبرات، وأقامت العلاقات مع شعوب العالم المتحضر حولها في مراحل التاريخ القديم والحديث، ولم تحُل الصحارى والبحار دون امتداد الجسور الحضارية بين إفريقيا والعالم من حولها. وقد بلغت إفريقيا في القرون الوسطى مرحلة متقدمة في النشاط الفكري والسياسي والاجتماعي، فقامت فيها دول ذات حضارة، وظهرت الجامعات والمعاهد والمدارس التي كان لها الأثر الكبير في الفكر العالمي بنشر اللغة العربية والعلوم الشرعية، كالأزهر الشريف بمصر، وجامعة القرويين بالمغرب، وجامعة الزيتونة بتونس[١]، ولا يمكن الفصل بين اللغة العربية والثقافة الإسلامية وبين لغات إفريقيا وثقافتها. فالالتقاء العربي – الإفريقي هو التقاء تاريخي وحضاري قديم، وتعاونهما في هذا الوقت لبناء حياة حديثة ومعاصرة يقوم على أسس حضارية وتاريخية مشتركة[٢]، لذا أصبحت دراسة اللغة العربية وفهمها جيداً واجباً على كل طالب يتخرج في قسم اللغة العربية والعلوم الشرعية في بعض الجامعات الإفريقية.

انتشار المدارس النظامية الحديثة:

هذه المدارس النظامية بمعناها المعاصر بدأت في أوروبا منذ القرن السابع عشر، ولم تتطور تطوراً كاملاً إلا في القرن العشرين، ومنذ القرن التاسع عشر فقط عرفها العرب، ولم يأخذوا بها إلا في القرن العشرين، بل كان العرب يسيرون على نظام المدارس النظامية الأولى التي تمثّلت في القرن الخامس الهجري (٣)، وعرف العرب المدارس النظامية أولاً على أيدي المبشرين المسيحيين في سوريا ولبنان، وخصوصاً بواسطة الجامعة الأمريكية التي تأسست في بيروت حوالي عام ١٨٠٠م، وكانت مدرسة ابتدائية ثم تطورت حتى صارت جامعة، ثم انتشرت هذه الأنظمة في مصر في عهد محمد علي باشا، الذي بعث إلى أوروبا نخبة من علماء الأزهر ليقتبسوا منها أحسن وسائل التعليم والتربية المبتكرة، ثم أنشأت الحكومة المصرية أول إدارة خاصة في عام ١٨٣٥م، وكانت تُدعى ديوان المدارس لإصلاح أساليب التعليم ونشرها في البلاد؛ وأخذ الأزهر ببعضها بالتدريج، إلى أن انتشرت في مصر، ثم أخذت بها جامعة الزيتونة بتونس وجامعة القرويين بفاس (٤).

بلاد التكرور: البلاد المعروفة في التاريخ ببلاد التكرور هي التي تُدعى اليوم بغربي إفريقيا، وكان بعض أقطارها مجاوراً لبعض بلاد المغرب العربي، فالسنغال مثلاً مجاورة لموريتانيا، ومالي مجاورة للجزائر، وكانت هذه البلاد متأثرة بالثقافة الفرنسية إلى حد كبير، ومع ذلك فإن هذه البلاد لم تأخذ بالأنظمة التعليمية الحديثة إلا بعد وقت طويل، أما البلاد التي كانت خاضعة للاستعمار الإنجليزي فقد عرفت هذا النظام الحديث للتعليم على أيدي التجار العرب السوريين واللبنانيين وبعض المغاربة الرحالة، وعلى أيدي بعض الحجاج الذين اجتازوا مصر في ذهابهم وإيابهم من الحج، مع أنهم لم يعبأوا بهذا النظام في أول أمره. وأول من جمع الطلبة أو التلاميذ على المقاعد الدراسية وأمام السبورة في نيجيريا وغانا وسيراليون في سنة ١٨٩٠م هو الشيخ عبدالكريم الطرابلسي الرحالة المغربي، الذي طاف أقطار أوروبا وآسيا كما طاف الكثير من البلاد الإفريقية أيضاً، إلى أن تُوفّي في مدينة كنو النيجرية سنة ١٩٢٦م(٥). وكذلك كشف لنا التاريخ أنه أقيمت في كثير من بلاد إفريقيا المعاهد والجامعات لتدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية فيها، ومن هذه البلاد مصر وتونس والمغرب وليبيا ونيجيريا ومالي وغانا والسودان وغيرها، ويجدر بنا أن نعرف أنه قبل انتشار تلك المدارس، كانت هناك

حلقات التعليم التي تُعقد لا على طراز المدارس الرسمية المعروفة لدينا اليوم، بل كانت تُعقد في المساجد ومنازل العلماء ونحو ذلك [٦]، ولكن هذا القسم في أول الأمر كان موضوعاً على نمط أقسام الدراسات الغربية شكلاً ومضموناً، أي أن الدراسات تكون باللغة الإنجليزية، وعلى هذا الأساس، فإن أول مشكلة واجهت هذا القسم بعد افتتاحه هي عدم وجود الطلبة الأكفاء في اللغة العربية الذين يمكنهم الالتحاق بهذا القسم، وذلك لأن المنهج المتبع في المدارس الثانوية الذي يحصل به الطالب على مؤهلات دخول الجامعة لا يصل إلى مستوى إتقان اللغة العربية، وأما طلاب المعاهد الدينية الذين يملكون الكفاية اللغوية فإن الجامعة لا تقبلهم لعدم توفر الشهادات المؤهلة لديهم. فتدارك هذا القسم المأزق، وبناء على هذا الأساس أنشأ القسم نظام دراسة اللغة العربية لمدة سنة واحدة، يدرس فيها الطلاب الكتابة والقراءة باللغة الإنجليزية، إضافة إلى مواد الدراسات العربية والإسلامية والتربوية، وبذلك أعطي أمثال هؤلاء الطلبة فرصة الالتحاق بالجامعة، وبعدها يتخرجون بشهادة الليسانس؛ إما في اللغة العربية أو في الدراسات الإسلامية، وأوصت كذلك هذه اللجنة المذكورة سابقاً بإنشاء جامعة أخرى جديدة في شمالي نيجيريا، على أن يكون مقرها مدينة زاريا، وهي جامعة أحمد بللو، وبدأت الدراسات في هذه الجامعة الجديدة في عام ١٩٦٢م[٨]، وضُمّ إليها بعض الكليات والمعاهد التي كانت موجودة من قبل، وهي:

١. الكلية النيجيرية للآداب والعلوم والتكنولوجية بمدينة زاريا.

٢. كلية عبدالله بايرو بمدينة كنو.

٣. معهد الإدارة بمدينة زاريا.

٤. معهد الأبحاث الزراعية بمدينة زاريا.

بهذه الجهود أصبحت هذه الكليات النواة الأساسية لبناء هذه الجامعة الجديدة، وتفرّع من الكلية الثانية المذكورة أعلاه، وهي كلية عبدالله بايرو بمدينة كنو، قسمان هما: قسم اللغة العربية وآخر للدراسات الإسلامية أو العلوم الشرعية. فهاتان الجامعتان هما اللتان افتتحتا قسمي اللغة العربية والدراسات الإسلامية من جامعات الجيل الأول. وتبع هذه الجامعات جامعات أخرى، عُرفت بجامعات الجيل الثاني، وأصبحت تدرّس

فيها اللغة العربية والدراسات الإسلامية؛ ومن هذه الجامعات ما يلي:

١. جامعة بايرو بكنو.

٢. جامعة ميدغري بمدينة ميدغري.

٣. جامعة جوس بمدينة جوس.

٤. جامعة إلورن بمدينة إلورن.

٥. جامعة لاغوس بمدينة لاغوس.

فهذه الجامعات ما هي إلا امتداد لنمط جامعات الجيل الأول من حيث النظام والأقسام ومناهج تدريس اللغة العربية والإسلامية فيها، وذلك لأنها كلها تابعة للحكومة الفدرالية، ولذلك لا تختلف بعضها عن بعض في النظام المتبع، وهو نظام الفصل الدراسي والوحدات، وهو نظام نصف سنوي كما هو في الجامعات الأمريكية، ومع حلول فترة التسعينات طالعنا جيل جديد من الجامعات التي تدرس فيها الدراسات الشرعية واللغة العربية، وبعض من هذه الجامعات تابع للحكومة الاتحادية وبعضها تابع للحكومات الولائية، وهي كثيرة، وبعضها جامعات خاصة كالجامعة الإسلامية في كشنا وجامعة الحكمة في إلورن. ونود أن نشير إلى أن هذه الجامعات كلها، سواء كانت جامعات الجيل الأول أو الثاني أو الثالث، اتحادية كانت أم ولائية أم خاصة، فإن هناك جهة معينة تُعنى بأمورها وتقوم بعملية المتابعة والتسجيل واعتماد المناهج لإنشاء الجامعات الجديدة ووضع المناهج والنظام وسياسة التعليم فيها، وهذه الجهة هي «اللجنة القومية للجامعات»، فلهذا نرى أنه لا فرق بينها من حيث النظم والسياسة والمنهج، اللهم إلا في بعض الأشياء القليلة التي قد يختلف بعضها عن الآخر فيها.

عانت جامعات الجيل الأول من مشكلات في تعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، ويتعلق الكثير من هذه المشكلات بكون المنهج مستورداً من الجامعات الأوروبية التي لا تهتم بتعليم اللغة العربية كلغة مستقلة لها أساسها وكيانها، بل تضع لها مناهج على أساس أنها من اللغات المحلية العادية، ولذلك عانى طلبة الجيل الأول في هذه الجامعات صعوبات جمة. أما جامعات الجيل الثاني والثالث فإن معاناتها فيما يتعلق بالمنهج قليلة جداً إذا قورنت بمشكلات جامعات الجيل الأول، وذلك لوجود

جهة مختصة تقوم بوضع المناهج والمقررات والوحدات الدراسية، وهي اللجنة القومية للجامعات التي ذكرناها سابقاً، وذلك عن طريقة تكوين اللجان الوطنية الخاصة من العلماء والشخصيات العلمية التي لها الدراية الجيدة بمواد اللغة العربية والدراسات الإسلامية أو العلوم الشرعية.

مشكلات تدريس اللغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعاتنا النيجيرية:

من خلال تجاربنا اتضح أن التعليم العربي الجامعي في نيجيريا يواجه عدة مشكلات، وهذه المشكلات كثيرة تختلف باختلاف طبيعة الجامعات التي تدرس فيها، والبيئة الاجتماعية التي توجد فيها الجامعة؛ ويمكن تقسيم هذه المشكلات كالتالي:

١. مشكلات تتعلق بالمادة نفسها: من حيث كونها صعبة بعض الشيء، ومن حيث تشعُّب فروعها الكثيرة كالنحو والصرف والبلاغة والعروض والنصوص الشعرية والنثر، وما شابه ذلك كعلم اللغة وفقه اللغة، ولا يجيد الطالب هذه اللغة إلا إذا ألمّ بهذه الفروع كلها، وهذا مما يصعب على كثير ممن لم يتعود دراسة مثل هذه اللغة الثرية الغنية.

٢. المشكلة الثانية تتعلق بالطالب الدارس للغة العربية نفسه: من حيث كونه أولاً يتعلمها ويدرسها كلغة ثانية. أضف إلى ذلك أن البيئة المحيطة به لا تستعملها، وقلّما يسمع أو يجد أناساً يتخاطبون معه بها؛ لكي يتدرب على الحديث بها والنطق بها. فالصحف مثلاً كلها باللغة الإنجليزية، والإذاعة والتلفزة كذلك، وكل شيء خارج الفصل والمكتب غير عربي، فلذلك يواجه الطالب النيجيري صعوبة في التأقلم مع الدراسة العربية، اللهم إلا في ولاية برنو حيث توجد قبيلة شوا عرب. وكذلك تدرس المواد الشرعية في جامعاتنا باللغة الإنجليزية لا باللغة العربية؛ إلا ما ندر، وهذا النظام لا يوفر للطالب التمكّن التام في هذه المواد، حيث إنه لا يستطيع أن يراجع المصادر والمراجع الرئيسية التي ما زال معظمها مكتوباً باللغة العربية لم يترجم بعد، وحتى لو تُرجمت فإنها لا تعطي المعلومات الكافية والمطلوبة كما هي في أصلها العربي، وبعضهم لا يستطيع القراءة بالعربية حتى المراجع الثانوية باللغة العربية، فتجد الطالب أو خريج الجامعة من حملة درجة الليسانس في العلوم الشرعية لا يستطيع التحدث باللغة العربية، وبلغ هذا المستوى المتدني بعض من وصل إلى مرحلة الدكتوراه. فتعبيرات الطلبة سواء الخطية أو الشفهية أو التعاملات التواصلية

لا تكون إلا باللغة الإنجليزية، وهو أمر مؤسف للغاية في نظرنا لا يساعد على التحدث والتمكّن في العربية.

٣. المشكلة الثالثة تتعلق بالمحاضر العربي النيجيري: حيث تحيط به عراقيل شبيهة بالتي تحيط بطالبه، فوسائل البحث عنده قليلة، إذ إن الكتب التي في المكتبة العربية في جامعاتنا قديمة، وحتى هذه القديمة نادرة في بعض الجامعات، فأحياناً قلّما تكفيه هو وطلابه، والطبعات الجديدة والبحوث الجديدة في مجال تخصصه غير متوفرة، أضف إلى ذلك عدم توفر المختبرات اللغوية وأجهزة الكمبيوتر، وكثير من الوسائل الإيضاحية والأفلام والبرامج التعليمية وغيرها.

٤. المشكلة الرابعة هي عدم وجود وظيفة مناسبة: فمما يضعف همة الطالب دارس اللغة العربية أو العلوم العربية أنه إذا تخرّج في الجامعة لا تتوفر له فرصة الحصول على وظيفة حكومية غير التدريس في المدارس، لأن لغة الدولة الرسمية هي اللغة الإنجليزية، ولكن هذه المشكلة أخذت في الانحسار الآن كما سنرى في ما يلي.

مستقبل اللغة العربية والدراسات الإسلامية في الجامعات النيجيرية:

رغم ما قلناه وذكرناه من المشكلات التي تواجه اللغة العربية والدراسات الشرعية، إلا أن لهذين المجالين مستقبلاً مبهراً جداً في الجامعات النيجيرية، كما يمكن تلخيصه في الآتي:

أولاً: كون نيجيريا أغلبية سكانها من المسلمين، وهؤلاء المسلمون يحتاجون إلى من يعلّمهم أمور دينهم ولغة كتابهم الكريم، وليس هناك من يستغني عن تعليم هذه اللغة والاسترشاد بهدي هذا الدين القيم، وليس ثمة في الوقت الراهن من يقوم بتدريب الوُعّاظ والأئمة ومدرسي اللغة العربية إلا جامعاتنا المحلية، وذلك لما يلاحظ من أن مدارسنا التقليدية التي كان الاعتماد عليها في تخريج الأئمة والمدرسين والأساتذة أخذت في التدهور والتراجع والتلاشي أحياناً؛ فكثير من مدارسنا التقليدية المشهورة أصابها الوهن، لهذا لا مناص لهذا الكم المتزايد من المسلمين إلا الاعتماد على من يتخرجون من جامعاتنا الحديثة.

ثانياً: البعثات الخارجية بدأت تتقلّص وتتراجع في الآونة الأخيرة، وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر والحرب على ما يسمى بالإرهاب، فمن هذا لابد لجامعاتنا من أن

تسد هذه الفجوة التي تركها التراجع في إرسال البعثات إلى الخارج.

ثالثاً: هذا الكم الكبير من المدارس الإسلامية، الابتدائية منها والثانوية، التي أصبحت تتضاعف في كل يوم، ليس لخريجيها إلا أقسام اللغة العربية والدراسات الإسلامية، فقلّما تجد أقساماً أخرى تقبلهم، اللهم إلا ما نجده لدى بعض الجامعات، فلذلك فإن الحاجة كبيرة جداً إلى فتح المزيد من أقسام الدراسات العربية والإسلامية في جامعاتنا.

رابعاً: الأمر اللافت للانتباه هو الاهتمام بالإسلام وعلومه في العالم اليوم، فالأمم، وخاصة الأوروبية، قد زاد اهتمامها بمعرفة المزيد عن الإسلام وتعاليمه، فهي في حاجة إلى من يرشدها إلى حقيقة هذا الدين المتسامح، ومن هنا يمكن لجامعاتنا أن تقوم بدور فاعل في تخريج الكُتّاب والمترجمين الذين يمكن أن يقوموا بدور التعريف بالإسلام وتعاليمه وحقيقته كما يجب. (٩)

خامساً: أصبح طلاب اللغة العربية والدراسات الشرعية يحصلون الآن على الوظائف المتعددة في الحكومة إضافة إلى التدريس، فمنها العمل في السلك الدبلوماسي، والعمل بالترجمة في وزارة الخارجية وفي الجامعات والمحاكم ذات الطابع الإسلامي، وخاصة في الولايات التي فيها أغلبية مسلمة، وهم يعملون هناك كقضاة ومسجلين، وقد أُنشئت في بعض الولايات ذات الأغلبية المسلمة وزارات للشئون الدينية، والغالب في هذه الوزارات أن يكون الوزير ممن درس اللغة العربية والعلوم الدينية، وكذلك الموظفون فيها يكونون من الذين درسوا اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وفي الولايات يُعيَّنون مستشارين للشئون الدينية لحكام الولاية، كما هو الحال في ولاية يوبي. وأما في الجامعات، فإن المحاضرين في قسم العربية والدراسات الإسلامية يبدأون من البداية كمعيدين ثم يصلون إلى درجة الأستاذية (البروفيسور)، ولهم الحقوق والاعتبارات والتقدير التي يتمتع بها سائر الأساتذة في الجامعة؛ وفي بعض الجامعات أصبحوا مديرين لهذه الجامعات (Vice Chancellor)، كما هو الحال في جامعات صكتو وميدغري وبايرو وإلورن، وجامعة الحكمة. وأما في مجال المحاماة، فإن الذين درسوا العلوم الشرعية يعملون محامين في المحاكم بمهارة أكثر من الذين تخرجوا في الجامعات وحصلوا على درجة الليسانس في الحقوق على النمط الغربي فقط، لأنه يتعين في جامعاتنا على الذين يدرسون العلوم الشرعية أن يدرسوا أيضاً القانون الغربي ويدرسوا أيضاً اللغة العربية.

سادساً: الاهتمام بدراسة اللغة العربية والعلوم الشرعية في نيجيريا وصل إلى درجة أن إحدى الولايات أنشأت جامعة إسلامية، وهي ولاية كشنا.

الخاتمة:

في نهاية هذه المقالة، كمحاولة من المحاولات المبذولة في تطوير دراسة اللغة العربية والعلوم الشرعية في الجامعات النيجيرية خاصة. أوضح أنّ هذه المقالة نتيجة تجارب طويلة نسبياً في تدريس اللغة العربية والعلوم الشرعية، الأمر الذي شارك فيه الباحث مدة من الزمن في هذه الجامعات؛ فلكل شيء مزايا وعيوب، حيث إننا نستفيد من المزايا ونعتبر العيوب مرآة للوصول إلى حال أفضل وأمثل. لقد استعرضنا العديد من المشكلات التي تعترض عملية تدريس اللغة العربية والعلوم الشرعية في جامعاتنا، ولكننا لا ننحني أمام هذه الصعوبات، بل نقتحمها بالحلول التالية:

١. الاهتمام بتدريس إنتاجات علمائنا المحليين.

٢. الاهتمام بالدراسات المقارنة سواء الأدبية أو اللغوية أو الشرعية.

٣. بذل مزيد من الجهد لفتح آفاق طالب الدراسات العربية من حيث معلوماته العصرية والتكنولوجية.

٤. إيجاد فرص الوظيفة الحكومية وغير الحكومية لخريجي هذين المجالين (الدراسات العربية والإسلامية).

٥. إيجاد المكتبات الغنية بالكتب والمجلات الحديثة.

٦. إحياء عملية إرسال البعثات إلى الخارج، وخاصة إلى الدول العربية والإسلامية.

على الرغم من هذه المشكلات، لا نكون متشائمين أو محبطين بل يجب أن نكون متفائلين، لأنه كما رأينا فإن للغة العربية والدراسات الشرعية مستقبلاً مشرقاً ومبهراً في الجامعات النيجيرية، وذلك لأن نيجيريا أكبر الدول الإفريقية من ناحية السكان وعدد المسلمين، ولهذا ركّزنا في هذه المقالة على الجامعات النيجيرية التي يبلغ عددها أكثر من خمسين جامعة، بعضها تابعة للحكومة الاتحادية وبعضها الآخر تابع للحكومات الولائية، ومن هذا المنظور نكتفي بالحديث عنها بصفة عامة.

الهوامش والمراجع:

١. حافظ عبدالمجيد أبو رحمة، القراءة والنصوص الأدبية، مطبعة مكتبة الجماهيرية، طرابلس، ط١، ١٩٩٠م، ص: ٤٨.

٢. المرجع السابق، ص: ٤٩.

٣. آدم عبدالله الإلوري، نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٠م، ص: ٥٦.

٤. المرجع السابق، ص: ٥٧.

٥. المرجع السابق، ص: ٥٧.

٦. عبدالحميد شعيب أغاكا، مشاكل اللغة العربية لدى الطالب النيجيري، مطبعة ترايمف، كنو، ١٩٨٣م، ص: ٣٧.

٧. غلادنشي شيخو أحمد سعيد، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٨٢م، ص: ٢٦٨.

٨. المرجع السابق، ص: ٢٧.

٩. مقابلة شخصية بتاريخ ٩/١١/٢٠٠٩م مع المعلم عمر يونس، أستاذ اللغة العربية في جامعة ميدغري، وكان المدير الأسبق لمدرسة ديربي للغة العربية والعلوم الإسلامية، وله خبرة طويلة في تدريس اللغة العربية.

١٠. أبوبكر، علي (الدكتور)، (١٩٧٢): الثقافة العربية في نيجيريا (١٩٧٥م – ١٩٦٠ م) عام الاستقلال، بيروت: مؤسسة عبدالحميد البساط.

١١. انغروا محمد معاذ، اللغة العربية أم الفصاحة والبيان.

Fafunwa، A.B. (1982)، History of Education in Nigeria، London.

George Allen Ltd.، WCIA، UK.

التعليم العربي في الجامعات النيجيريّة
جنوب البلاد

البروفيسور عبدالرزاق ديريمي أبوبكر

أستاذ اللغة العربية وآدابها، جامعة إلورن - ومدير جامعة الحكمة سابقاً، نيجيرياً

مقدمة: مدخل تاريخي: منطقة غرب أفريقيا وعلاقتها بالتعليم العربيّ

يمكن تقسيم غرب أفريقيا، من حيث الكيان الجغرافي والتباين الثقافيّ للمنطقة التي كانت تُعرف عند الدارسين العرب بغرب وسط السّودان،[١] إلى إقليمين عريضين هما: إقليم المنطقة البطحاء وإقليم غابة غينيا. لقد نشأت في كلّ من الإقليمين إمبراطوريات وممالك وسُلالات حاكمة، وحتى نوسّع دائرة هذه المحاضرة سنتناول الأحداث السياسية التي سبقت عهد الحكم الاستعماري في هذين الإقليمين بشيء من الدراسة. إنّ الإمبراطورية الأولى التي نشأت في إقليم المنطقة البطحاء هي إمبراطوريّة غانا،[٢] التي كان المرجّح أن يكون تأسيسها في القرن الخامس والسادس الميلاديّيْن. أمّا ما ذهب إليه كلّ من السّعدي وغيره من أنّ قوماً بيضاً هم الذين أسّسوها[٣] فليس بمقنع لكثير من الباحثين المعاصرين.[٤] والمحقّق أنّ هذه الإمبراطورية قد بسطت سلطانها وامتدّت سيادتها فيما بين المحيط الأطلسيّ وبحر نيجيري جنوباً وحدود جمهورية موريتانيا المعاصرة شمالاً، وكانت تربط بينها وبين دول شمال أفريقيا علاقات تجاريّة قامت على أساس تبادل ثرواتها، أمثال الذهب والعاج والعبيد بالملح والسيوف والخيل

والملابس والكتب؛ التي تُستورد عبر مدن مثل أود غسط وتودن وتغازا إلى المغرب[٥] والعالم المتوسّطي. ولكنّ سلطان غانا – التي كانت بأيدي سلالة سُونِنْكَي الحاكمة في مدينة كُمْنِي – قد خضع لنفوذ المرابطين المغاربة[٦] في عام ١٠٧٦م، وقد سيطرت سلالة سوننكي الساكنون في مدينة كَنْتَبي على عرش آبائهم من جديد في عام ١٢٠٣م.[٧] هذا، وقد ساء المسلمين الغانيين سقوط دولة المرابطين وهاجروا إثر ذلك إلى موقع قرب الماء يسمّى ولاتة. لقد غلب غانا ودمّرها في عام ١٢٤٠م ملك الملنكنيّين الذي اسمه سُنْدِ أتا (الذي كان حكمه فيما بين ١٢٣٠–١٢٥٥م). وبعد ذلك اعتنق الإسلام وأسّس عاصمته الجديدة في مالي. ومن أجل المميّزات الفريدة التي كان يتمتع بها من شجاعة وإقدام استطاع أن يرسي دعائم قوية لدولته الفتيّة، وعلى هذا الأساس القويّ كان خلفه البررة، أمثال مَنْسَى كَنْكَنْ مِوسى ومَنْسَى سُلَيْمان اللذين كانا حفيدين لشقيقة سند أتا، حيث بلغت مالي ذروة مجدها في عهدهما.[٨] وقد أصبحت مالي عاصمة تجارية تحوّلت كبرى مدنها مثل نِيَني وتمبكتو وجينيْ وغَاوْ (المسماة بكوكو أيضاً) إلى مراكز علمية وتجارية يشار إليها بالبنان، وكان يزورها كبار العلماء ومشاهير التجار من شمال أفريقيا. وكذلك كانت معادن الملح التي توجد في تغازا، ومعادن النحاس التي توجد في تَكِدَّا، ووفرة الذهب في ونغرا، كلّ هذه الثروات قد أحلّت الإمبراطورية مكانة اقتصادية مرموقة، وهذا الوضع الاقتصاديّ الممتاز قد ساعد في استقرار إدارة البلاد من جانب، وأدّى إلى ازدهار التطور التجاريّ من جانب آخر. ولقد بدأ عصر التدهور لإمبراطورية مالي بوفاة منسى سليمان في عام ١٣٥٩م، ولكن في الوقت الذي أفل فيه نجم مالي انبثق فجر إمبراطوريّة سُونْغَي في مدينة غَاوْ (كَيْكَا) التجارية، وقد تولّى أمر توسعة هذه الإمبراطورية الجديدة رجلٌ يدعى سُنَي عَليّ (١٤٦٥–١٤٩٢م)، الذي استغلّ أمر سقوط مالي أيّما استغلال. وقد بنى على إنجازات سُنّي عليّ خلفُه المسمّى أسْكيَا محمّد الأكبر (١٤٩٣–١٥٢٩م)، ولكن انحطّت أمور إمبراطوريّة سُونْغَي بعد عهده، واستمرّ هذا الأمر حتّى سقطت إثر اجتياح المغاربة لها في سنة ١٥٩١م. ومن الجدير بالذكر أنّ سلطة سونغي قد امتدّت في أوج مجدها إلى تكرور[١٠] غَرْبًا، وإلى كانو (في نيجيريا) شرقاً، وتغازا شمالاً، ومملكة مُوْسِي جنوبًا. ومن أهمّ الإمبراطوريّات التي نشأت في هذا الإقليم إمبراطوريّة كَانَمْ بُرْنُو، التي يقال إنّها كانت من أطوَل الإمبراطوريّات بقاءً في العالم. وذلك لأنّها تأسّست في القرن الثامن الميلادي ودامت

حتّى أوائل القرن التاسع عشر الميلاديّ، وذلك في عام ١٨١٠م على وجه التحديد، حين تعرّضت سلطتها الإمبرالية لانتكاسة غزو الفلانيّين. وكان عصرها الذّهبيّ في عهد السلطان إدريس أَلُوْمَا (١٥٧٢-١٦٠٣م). ويرجع الفضل في نشأة سلالة حاكمة أخرى لهذه الإمبراطوريّة إلى الشيخ محمّد الكَنَيْمِي، الذي استطاع بمقدرته الحربية وحنكته السياسيّة أن يقاوم الغزو الفلانيّ حتّى بقيت إلى آخر القرن التاسع عشر. ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أن سيطرة هذه الإمبراطوريّة قد وصلت إلى قبيلة نُوبِّيْ المجاورة لشعب يوربا من جهة الشمال.(١١)

علاوة على الازدهار السياسي والاقتصادي المذكور أعلاه لشتّى الإمبراطوريّات، لقد كان أيضاً تقدّم علميّ ملموس. ونعني بالتقدم العلميّ في شأن دول غرب أفريقيا أنّ الديانة الإسلامية نالت قبولاً وانتشارًا لدى شعبها. وقبل أن يتلفظ أيّ شخص من غرب أفريقيا بأيّ كلمة إنجليزية أو فرنسيّة أتقن كثيرون من أهلها اللغة العربية، وكتب الأكثر لغاتهم المحليّة بالحروف العربية، كما كان كلّ من الإنجليزية والفرنسية مكتوبًا بالحروف الرومانية.(١٢) والسّبب الرّئيس لانتشار العربيّة المنقطع النظير هو العلاقات التجارية والعسكرية التي كانت تربط بين هذه الإمبراطوريات ودول شمال أفريقيا، وقد رافق هذه العلاقات انتشار للعربية واعتناق للدين الإسلامي. ولم تَمْضِ فترة طويلة حتّى أصبحت معظم المدن مراكز للثقافة الإسلامية والحياة العلميّة الزاهرة. وقد انعكست هذه الحياة العلميّة في مسجد سَنْكُرَيْ الذي نبغ فيه علماء في اللغة والأدب والعلوم الإسلامية الأخرى. وقد كانت جَيْنَيْ عاصمةً إسلاميّةً أخرى نافست مدينة تِمْبَكْتُو التي كانت عامرة بالوافدين.(١٣)

ماضي اللغة العربية في بلاد اليوربا

بين كلّ من اللغتين العربية واليوربا – لغة الكاتب ولغة سكان غرب جنوب نيجيريا وبعض أقاليم جمهوريّة بنين المجاورة – وجوه التباين أكثر من وجوه الائتلاف، بينما العربية لغة لها جذورها في الشرق الأوسط من قارة آسيا فإنّ اليوربا يسكن أهلها في الجنوب الغربي من صحراء قارة أفريقيا. ويربط كلاًّ من أصحاب اللغتين علاقات مع جيرانهما ممّا جعلهما متميّزين في تكوينهما الثقافي. ولا عجب – بناءً على ما سلف – أن

تستفيد كلّ منهما من جيرانها، وتعطيا اللغات المجاورة في محيطهما الثقافي استفادة وعطاء يجعلانهما تزيدان بعدًا عن الأخرى. وفي علم التصنيف تُعَدُّ العربية من اللغات السّامية. وقد عُنِيَ بعض علماء فقه اللغة بدراسة أوجه التشابه التي توجد بين العربية وبين سائر أخواتها الساميّة من ناحية الأصوات والتراكيب والدلالات، والتي من أجلها استحقّت العربية أن تلحق بالفصائل السامية. وإن أردنا أن نوسّع دائرة البحث، يمكننا الاستفادة من تاريخ الحركات التي أصبحت جزءًا لا يتجزّأ من العربية في شتّى مراحل نشأتها وتطوّرها منذ عهودها الجاهليّة التقليدية والإسلاميّة التقليديّة وغير التقليديّة. وهذه الدراسة المستفيضة تشمل اللهجات العربيّة القديمة واللغات الدارسة والسبئية والحميريّة والعربيّة الشمالية التي لا تقارب العربيّة الحديثة في مفرداتها وتراكيبها فحسب، بل تشابهها في قواعدها النحوية. وهذا التحقيق لبعض اللغات الدارسة لا يشمل اللهجات العربية الجنوبيّة الحديثة المنتشرة بين مدينتي حضرموت وعمان، تلك البقعة التي لا يزال يبقى فيها باقية من العربية القديمة. وتنشأ هذه النزعة من محبّة اللهجات العربية الجنوبية القديمة التي دلّت عليها النقوش التي يرجع تاريخها إلى ما قبل ميلاد المسيح حتّى سقوط الإمبراطورية الحميرية في القرن السادس الميلادي. وهذه الدراسة الصوتية للعربية قد تثير الاهتمام إلى معرفة أوّليّة العربية:

إن المصطلح (أي: أوّليّة العربيّة) هو المستعمل لنعني به المواد المنقوشة التي تدلّ على وجود اللغة قبل مراحل العربية القديمة المنقسمة إلى: اللحيانية والسافاتية والثمودية.[١٤]

إنّ الجهود النادرة التي بُذِلت في سبيل دراسة بلورة العربيّة القديمة (العربية الشمالية) كانت ممكنة لأنّ الشعر الجاهليّ قد وصل إلينا عبر الحكاية أوّلاً ثمّ عبر التدوين ثانياً، وهذا الشعر هو لبنة ما يعرف بالعربية الفصحى اليوم. وقد ساعد نزول القرآن الكريم وما صاحب هذا النزول من السنة النّبويّة الشريفة على انتشار لهجة قريش وتوحيد العرب على هذه اللهجة. وقد دَعَمَ الخلفاء الراشدون ثمّ الذين أتوا من بعدهم من خلفاء بني أميّة هذا الاتجاه؛ حينما جعلوا هذه العربية لغة رسمية لكلّ الأقطار الّتي دخلت في دين الله أفواجًا. وهذه الدول التي اعتنق أهلها الإسلام قد حملت مع دينها الجديد اللغة العربيّة كلغة الدين والتجارة والإدارة. وتشمل هذه الدول شمال أفريقيا وبلاد الأندلس ومحيط غرب أفريقيا ووسطها وشرقها، بل قد أصبحت العربية – بعد

ذلك – لغة معتادة لدى أهل تركيا في شرق أوروبا وأهل الهند وإندونيسيا وماليزيا والصين في الشرق الأقصى.

وليس هذا الانتشار المنقطع النظير للإسلام، الذي كان يحمل معه القرآن واللّهجة القرشية التي بها نزل بدءًا من القرن السابع الميلاديّ، عاملاً مساعدًا على هيمنة القرشية على بقيّة شقيقاتها في الأسرة اللغويّة من الفصيلة السامية فحسب، بل جعلها تحلّ محلّ الأمهريّة في كونها اللغة الرسمية لأهل المنطقة.(١٥) فغلبة العربية على بقية لغات المنطقة أو استيعابها لها لم تقتصر على الحدود الساميّة فحسب، بل امتدّت إلى بقيّة ديار الإسلام التي لم تصمد لغاتها المحليّة أمام قوّة العربية وعراقتها من جانب، واتصالها بالدين وصاحب الرسالة محمّد صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم من جانب آخر. وبناءً على هذه الحقيقة تعرّبت دول شمال أفريقيا التي أسلم أهلها إلى يومنا هذا.١٦ وقد تشمل دراسة الأصوات اللغوية التطورات الدلالية التي حصلت للهجات الإقليمية – أو ما اشتهرت باللغات العاميّة – التي تعدّ في المنزلة السفلى من العربية التقليدية الفصحى.(١٧) وقد يُعنى في هذه الدراسة للأصوات اللغوية بالتطوّرات والتحوّلات التي حصلت للغة الفصحى المعاصرة (Contemporary Standard Arabic [C.S.A]) منذ أوائل عهدها إلى يومنا هذا، الذي تتبوّأ فيه مكانة مرموقة كونها لغة الدين والثقافة والعلوم التي يتجاوز نفوذها حدود الدول العربيّة والإسلاميّة. إنّ استعمال القنوات البريطانية والهولندية والأمريكية العربية لبثّ الأخبار الدولية لأكبرُ شاهدٍ على هذا. وكذلك ما يُبثّ في القسم العربي من إذاعة صوت نيجيريا (The Voice of Nigeria) والنظير العربي من قناة (Cable Network News [C.N.N]) الجزيرة يؤيّد صحّة ما قلناه. وهذه النتيجة التي توصّلنا إليها تؤيّد أنّ الفصحى هي اللغة العليا خلافاً للغة الدّارجة (العاميّة) وما تفرّع عنها من اللهجات الإقليمية.

أهميّة اللغة العربية لقارة أفريقيا

لقد قامت علاقة وطيدة بين اللغة العربية وقارة أفريقيا سبقت دخول الإسلام إلى القارة. وكان الذهب الإفريقيّ هو الذي لفت أنظار المستكشفين أكثر من تجارة الرقيق منذ أقدم العصور، بدْءًا من القرطاجيين حتّى العرب الذين خلفوهم في هذه الرحلات

المتابعة إلى ديار أفريقيا.[١٨] وقد ساعد قرب بعض الدول الإفريقيّة من الجزيرة العربية هذه العلاقة إلى حدّ بعيد. وكانت الثورة الزراعية التي حدثت في جنوب الجزيرة في عهد ملكة سبأ بلقيس، واللقاء الذي تمّ بينها وبين نبيّ الله سليمان «عليه السلام»، قد ساعدا هجرة الأفارقة إلى تلك البقعة، وقوّيا حركات الرحلات منها وإليها. ومن الدول التي استفادت من هذا القرب الجغرافيّ إثيوبيا والصومال والسودان. وكانت الهجرة نحو الشمال هي التي سلّمت العرب من الانقراض بعد انهيار السّدّ في اليمن. ومع انتشار الإسلام واتخاذ العربية لغة رسميّة للأمّة الإسلامية؛ أصبح للعربية قبول واعتراف وانتشار في كافة أرجاء الدول الإسلامية. لقد حلّت العربية محلّ اليونانيّة في شمال أفريقيا في كونها اللغة الرّسميّة، حتّى أصبح اليونان أنفسهم يتكلّمون بها، وأجادها - كذلك - الرومان والبرابرة؛ ليس كلغة كريبوليّة (إضافيّة) بل كلغة أساسيّة، أدّت - بعد ذلك- إلى أن تنشأ لها لهجات عدّة تبعًا للمجتمعات والبيئات الجغرافيّة في هذه الدّول وفي موريتانيا في غرب أفريقيا. ومع اقتحام الإسلام لأوروبا حلّت العربيّة محلّ اليونانيّة في إسبانيا وجنوب البرتغال، حتّى أصبح المسلمون والمسيحيّون الساكنون في هذه الديار يتعاملون ويتفاهمون بالعربيّة على حدّ سواء.[١٩]

ولم يأت القرن التاسع الميلاديّ حتى قويت شوكة العربية واتسعت رقعتها، وتأسّست لها خمسة مراكز تُعنى بدراستها في العالم. وذلك حيث أُسّس في بغداد عاصمة الدولة العباسيّة معهد الترجمة في ٨٣٢م لنقل علوم الحضارات الأخرى وثقافاتها إلى العربية. وكان هذا نتيجة تبرّع إبراهيم بن الأغلب مؤسّس الدولة الأغلبية (٨٠٠-٩٠٩م) بمبلغ قيمته أربعون ألف دينار (٤٠,٠٠٠ دينار). وكانت السلطة الأخرى التي تمسك زمام الأمور في شمال غرب أفريقيا قد أنشأت جامعة القيروان بمدينة فاس في المملكة المغربية. وكذلك أسّس الفاطميّون جامعة الأزهر في مصر. وفي أوروبا كانت قرطبة مدينة علمية تشدّ إليها الرّحال، بينما كان جامع سنكُوْرَيْ في تمبكتو متمتعاً باعتراف العلماء كجامعة علمية في غرب أفريقيا. وكذلك كان مركز الْحَمْبِرَا في غِرَانَدَا ومساجد القرطبة وما حولها من المدن والقرى كمدينة الزهراء مراكز للتعليم العربيّ في أوروبا. وقد كانت العربية لغة التعليم والبحث والنشر في كلّ ما سبق من المساجد والجوامع والجامعات، وبقاء الألفاظ العربية في المصطلحات العلمية في كثير من العلوم التجريبية إلى يومنا هذا أكبر شاهد على قولنا هذا.[٢٠] وقد صاحب كلٌّ من اللغة العربيّة ودين

الإسلام التّجّار المسلمين إلى غرب أفريقيا،(٢١) وكانت وفادتهم عبر قنوات الصحراء في المغرب وموريتانيا والسنغال. وكانت قناة العبور الأخرى هي طريق سِجِلْمَسَة وتَغَازَا وتوْدّيْنِي حتّى منعطف نهر نيجر. وكان الطريق البديل عنها هو طريق تونس إلى طرابلس حتى كتشينا قرب مدينة كانو. أمّا من الشّرق فكانت الرحلات تقع من مدينة فزّان في ليبيا إلى كَنَمْ بُرْنُو وتشاد أو مصر مرورًا بدارفور (في جنوب السودان) حتّى وادَيْ وصولاً إلى كنم برنو.(٢٢) وقد أصبح من الحقائق التّاريخية أن البعض قد هاجروا من دمشق في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز حوالي مائة سنة بعد الهجرة (١٠٠هـ) إلى كنم برنو شمال شرق نيجيريا.(٢٣) وكان محمّد بن مانع من مدينة الفأس قد هاجر إلى كنم برنو سنة ١٠٦٧م، وكان عالمًا مشهورًا بتعليم كثير من البرناويين عامّتهم وحكّامهم اللغة العربية والدراسات الإسلاميّة؛ قبل عهد حُمُّ جِلْمِي الذي حكم كنم برنو فيما بين ١٠٨٥م و١٠٩٧م.(٢٤) ولمّا اعتنق أمير مدينة كانو ياَجِي دَانْ إِسَامِيَا – الذي حكم فيما بين ١٣٤٩م و١٣٨٥م – الإسلام أغدق عطاءه على العلماء تشجيعًا لهم،٢٥ علمًا بأنّ بعض أولئك العلماء كانوا قضاة أو كتّابًا أو مستشارين، علاوة على كونهم معلّمين لمن نزلوا بين أظهرهم.(٢٦) وكان من بين أولئك العلماء الأعلام عبدالكريم المغيلي من تلمسان في الجزائر، وجلال الدين السّيوطي الذي كان على اتصال دائم بغرب أفريقيا بتبادل الرسائل من مقرّه في مصر، وعائدة أحمد التكريتي تلميذ المغيلي، وأحمد العقيط جدّ أحمد بابا التمبكتي، وأحمد بابا نفسه، ومحمّد بن مسني الكشناوي. وكانوا علماء رحّالاً يتنقّلون للتعليم في نئَاني، وجَيْنَي، وتمبكتو، وكَاوْكَا (غَاوْ)، حتّى وصلوا واستوطنوا كلاً من كتشينا وكانو وكنم برنو وبلاد يوربا، ولا سيّما عاصمتها أُوْيُوْ إِلَيِّ حيث تقرّر وجود علماء ومسجدٍ حوالي سنة ٩٥٧هـ الموافق ١٥٥٠م.(٢٧)

اللغة العربية والاحتكاك الغربيّ

نتيجة لانتشار اللغة العربية والثقافة الإسلاميّة في أوروبا الغربيّة عن طريق شمال أفريقيا؛ كان اعتناق بعض المسلمين للديانة المسيحيّة كما اعتنق بعض المسيحيّين الإسلام. وعلى كلّ حال، فقد احتفظ كثير من المسيحيّين بدينهم في المناطق ذات الأغلبيّة المسلمة. وغيّرت الأندلس لغتها ودينها من اللاتينية والمسيحية إلى العربية والإسلام. وكان عن طريق إتقان العربية أن انتقل كثير من العلوم المترجمة عن الرومانية واللاتينيّة إلى الغرب.

وكان جدّ ابن حزم (ت ١٠٦٤م) الذي كتب رسالة عن الإسلام ودَحْض الإنجيل نصرانيًّا اعتنق الإسلام. وكان كتاب ابن حزم في دَحْض الإنجيل مثيرًا لردّ رِقْلدُوْ الْمُنْتِقْرُوسيّ (Ricoldo of Montecroce) المتوفى سنة ١٣٢٠م على القرآن الكريم. أمّا مصنّف الإمام الغزاليّ (ت ١١١١م) فقد كان نقداً إيجابيًّا (سِلميًّا) مشابهاً لعمل نقولاَسْ كريبس (Nicholas Krebs) من كوسَا (ت ١٤٩٤م). ولاشكّ أنّ المسلمين قد تفوّقوا على نظرائهم وبزّوهم في العلم، حتّى مكث خصومهم عدّة قرون من الزمن قبل أن يستطيعوا الرّدّ عليهم.(٢٨) وهذه الحقيقة هي التي أكدّها التقرير التالي:

لقد تأثر المتديّنون بالنشاط والعزم اللذين بهما كان يمارس المسلمون دعوتهم في الأندلس، وذلك حيث كانت الإنجازات الثقافية والعلميّة التي حقّقها المسلمون الأندلسيّون مثيرة استطلاع الغرب اللاتينيّ وغبطتهم. وقد تحيّر البابا غراغوري السابع (Pope Gregory VII) في سبيل ردّ المغاربة الأندلسيّين عن دينهم.(٢٩)

وعلى الرغم من الفوائد الجمّة التي تحقّقت للبشرية نتيجة نقل العلوم والثقافات إلى ديار الغرب عن طريق اللغة العربية، كان الغرب وخلفاؤهم الأفارقة يعاملون النّيجيريين المثقفين بالثقافة العربية معاملة الجهلاء، ويهدفون إلى ارتداد المسلمين عن دينهم.(٣٠) وكانت الاستراتيجية المستعملة ضدّ العربية والإسلام مكوّنة – على حدّ تعبير بابس فافنوا (Babs Fafunwa) – من ثالوث الإنجيل والتجارة والرصاصة، علمًا أنّ الآخرين قد جعلوا هذا الثالوث هو المسيحيّة والتجارة والاستعمار.(٣١) وعلى سبيل المثال، قتلت أيدي الاستعمار سلطان مدينة صوكوتو الطّاهر أحمد سنة ١٩٠٣م في مدينة برمي، وتمّ عَزْل أمراء آخرين كأمراء مدن بِدّا وزَارِيَا وكُوْتَنْغُوْرًا وبرمي، الذين نُفِّذ خَلْعُهم ونفيهم عن البلاد.(٣٢) ومع كلّ هذا كان المنصفون والمعنيّون بشأن العلم من أهل الغرب لا يزالون يواصلون دراستهم للغة العربية والثقافة الإسلامية، التي كانت – ولم تزل– اللغة العربية وعاءً لها. وكان الألمان في طليعة هذه الكوكبة؛ حيث كان الغربيّون الآخرون لهم تبعاً. ولم تزل معظم الجامعات التقليديّة في أوروبا وأمريكا تدرس اللغة العربية كوسيلة للتعليم أو البحث إلى يومنا هذا. ونتيجة لهجرة العرب من لبنان وسوريا إلى الغرب؛ للاشتغال بالحرف وتوفير العمالة الرخيصة لأهل الولايات الأمريكيّة المتّحدة وأمريكا الجنوبيّة، نشأ الأدب العربي في المهجر. وذلك حين أنشؤوا

الرابطة القلميّة في عام ١٩٢٠م. وكان معظم المهاجرين مسيحيّين، ومنهم جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، وإيليا أبو ماضي، ورياض المعلوف، ورشيد أيّوب، وندرة الحدّاد،[٣٣] وكان لهم نشاط ودور في ازدهار الأدب العربيّ الحديث في تلك الديار.

مقاومة المسلمين للتعليم المدنيّ

ليس قصدي هنا أن أخوض في تاريخ المعاناة التي كابدها المسلمون في المدارس التي أسّسوها[٣٤] والمدارس الحكومية أو المدارس النصرانية، وذلك لأنّي لا أرى لزوم هذا التفصيل؛ لأنّ الغرض ليس متعلقاً بالدراسات الإسلامية، وإن كانت اللغة العربية – من حيث الأصل والواقع – لا تتجزّأ عن الدراسات الإسلامية. ولهذا كان من الطبيعي أن تتأثر إحداهما بما تأثّرت به الأخرى. ومن اللافت للنظر أنّ كلّ بقعة من بقاع غرب أفريقيا المسلمة قد أبدت مقاومة للتعليم الغربيّ. فالمجتمعان المتشابهان في ردود فعلهما في هذا الصدد هما مسلمو سيراليون ومسلمو بلاد اليوربا. وكان كلّ من المجتمعين يشعرون بأنّ أولادهم مظلومون في المدارس المدنيّة نتيجة الأنشطة التنصيرية التي تجري فيها. وكان رجل اسمه أحمد عبداهادي من سيراليون، خلال كلامه في مؤتمر[٣٥] في شهر سبتمبر من عام ١٩٥٨م في كليّة فورا بي (Fourah Bay College)، قد حكى الاضطهاد الذي مارسه الحاكم دوحاتي (Governor Doherty) ضدّ جدّه الذي بنى مسجدًا فهدمه ذلك الحاكم الجائر.[٣٦] وكان الوضع في بلاد اليوربا لا يختلف عن هذا؛ قبل أن يستطيع رجال مسلمون أفذاذ أمثال شيتا بي (Shitta Bay)، وتنوبو (Tinubu)، وأُوْسُوْدِي (Osodi) أن يقلبوا الواقع، حتّى اضطرّت الحكومة الاستعمارية إلى مراجعة تعاملها مع المسلمين في هذا الصّدد. وقد تقارب الوضع في العهد الاستعماريّ في كلا البلدين؛ حتّى ليظنّن الظّانّ أن سيراليونيًا هو الذي كان يتكلّم عن أوضاع بلده لمّا صرّح يوربيّ قائلاً:

قد استهزئ بالمسلمين المتعلّمين العاملين في أوساط المسيحيّين كثيرًا، بل ضُويق بعضهم حتى استبدلوا أسماء مسيحيّة بأسمائهم الإسلاميّة.[٣٧] وقد كانت الاتّهامات نفسها قد وُجّهت إلى البيض الموجودين في المستعمرات في معاملتهم مع القبائل من الجزء الداخليّ.[٣٨]

أسباب إبعاد المواد المدنيّة عن مناهج المدارس العربيّة وآثارها في التعليم العربي في الجامعات النيجيرية

قد أبى الشيخ آدم عبدالله الإلوري – وهو أحد حملة لواء التعليم العربيّ في بلاد اليوربا خاصة وفي غرب أفريقيا عامّة – أن يدرّس أيّ مادة باللغة الإنجليزيّة والمواد ذات العلاقة بها في مركزه المعروف، لأنه يرى أنّ هذا الأمر من شأنه أن يُضعف اكتساب اللغة العربية التي من أجلها أسّس مدرسته. وقد طالب مرّة باتّخاذ العربيّة لغة رسميّة لنيجيريا،[٣٩] ولعلّه قد غيّر رأيه في هذا فيما بعد. وهو في هذا التوجّه يختلف عن المصلحين المحليّين أمثال الشيخ عبدالباقي محمّد من مدينة إيوو، والعالم لانسَيْ والحاجّ بَامِيدَيْلَي من إبادن، الذين ينادون بألاّ تتجاوز ثقافة الناشئ المسلم المرحلة الابتدائية.[٤٠] لقد اكتسب الشيخ الإلوريّ المقدار الذي أهّله للقراءة وفهم الحقائق التاريخية من اللغة الإنجليزيّة، بل قد تحوّل من موقفه الازدواجيّ تجاه العربية من جانب وكلّ من الإنجليزية والفرنسية من جانب آخر، إلى موقف أكثر وضوحًا وأدقّ دراسة في المرحلة المتأخّرة من عمره. يقول: «أما التعليم المدنيّ فيؤخذ من المدارس الإنكليزية أو الفرنسيّة الّتي تثقّف المواطنين وتؤهَلهم للوظائف الرسميّة والمناصب المدنيّة، وهو بمنزلة الفرض العينيّ على كلّ مسلم كإنسان مواطن، وعليه إلى جانب ذلك أن يتعلّم مبادئ دينه الضرورية فيكتفي بها في خاصة نفسه. أمّا التعليم الدينيّ فيؤخذ من المدارس العربية والمعاهد الإسلامية التي تخرّج المتخصصين وتؤهّلهم للمناصب الدينية، وهو بمنزلة الفرض الكفائيّ إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وعلى من قام به أن يتعلم مبادئ علوم دنياه الضروريّة فيكتفي بها. يجب الاعتقاد بضرورة هذا التقسيم، والاهتمام بالتعليم الديني حتّى لا يطغى عليه التعليم المدني، وإلاّ فلا يمضي قرن واحد من الزمان حتّى ينقرض من يتحمّل المسؤوليّة الإسلاميّة عن بصيرة وجدارة، فيخلو الجوّ للذين لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلاّ رسمه، فتكون الطامة الكبرى».[٤١]

ويستنبط من النّصّ السابق أنّ الشيخ آدم يجعل حدًّا فاصلاً بين ما هو كماليّ وما هو ضروري من التعليم المدنيّ، ويجعل حكم اكتسابه فرض عين لكافة شرائح المجتمع. ولا يتردّد في أن يعلن بأنّ ما هو ضروريّ من التعليم المدنيّ يُكتسب في المؤسّسة التعليميّة التي تستعمل الإنجليزية أو الفرنسيّة كأداة التعليم فيها. أمّا الذين يريدون التخصص

في اللغة العربية والمجالات ذات العلاقة بها فيوصيهم بالالتحاق بالمدارس العربية والمؤسّسات الإسلامية العليا، ويبيّن أنّ مهمّتهم هذه واجبة، إذ تُسْلَك في إطار الفرض الكفائيّ الذي لا غنى لطائفة من المجتمع أن يُعْنَوْا به. إنّ نظريّة الإلوري السالفة الذكر وإن كانت تحلّ مشكلة فإنّها تثير أخرى. فإنّ المشكلة التي تحلّها النظرية هي أنها قد وضعت حدّاً للمتخصّصين في اللغة العربية، الأمر الذي لم يكن محدّداً لدى كثير من مسلمي اليوربا. إنّه من الواجب على كلّ مسلم أن يتعلّم مبادئ دينه بأيّ لغة يتيسّر له ذلك، ولكنّ العربية لابدّ أن ترتبط بالإسلام ارتباطاً وثيقاً، وهذا أمرٌ من البداهة بمكان. فمعرفة العربية معينة لأداء شعائر دين الإسلام، كالنطق بكلمة الشهادة (لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله)، وأداء الصلوات الخمس (وغيرها من الصلوات)، وأداء نسبة لا يُستهان بها من مناسك الحجّ.

وخلاصة النظرية أنّه لابدّ لكلّ مسلم أن يكتسب العلوم المدنية إلى حدٍّ ما. ولا بدَّ لكلّ مسلم أن يتعلّم أمور الإسلام، وإن لم يلزمه أن يوصل ذلك إلى حدّ المتخصّص المتعمّق. ولكن يجب على معظم المسلمين أن يتعلّموا العلوم المدنيّة إلى حدّ المتخصّصين حتّى يستطيعوا أن يشاركوا غير المسلمين في مهمّة بناء الدولة وتطوير الاقتصاد وتوفير الخدمات الاجتماعية. ومن جانب آخر، يجب أن يتعمّق بعض المسلمين في اللغة العربية والدراسات الإسلاميّة حتّى يتقلدوا بها المناصب الدينيّة. وينبغي أن يكون لهذه النخبة إلمامٌ يسير بالعلوم المدنيّة ليتمكّنوا به من التواصل مع سائر المواطنين. وعلى هذه الخليّة المختارة يُعتمد في فهم حقائق الدين ونشر الدعوة الإسلامية. وقد كثُر في أرجاء بلاد اليوربا أحبّاء الشيخ آدم الإلوريّ وأتباعه المعجبون به والمكبرون لبعد نظره ومعرفته الواسعة، وقد عضّوا – ولا يزالون يعضّون – على هذه النظريّة بالنواجذ.

نقاط التلاقي بين التعليم العربيّ والتعليم المدنيّ في الجامعات النيجيرية:

إنّ المحور الذي جمع بين أنصار التعليم العربيّ والتعليم المدنيّ هو برنامج التأهيل (Certificate Programme) الذي كانت جامعة إبادن (في غرب نيجيريا) تنظّمه. ولا يختلف البرنامج عن منهج ما اصطُلح على تسميته بالمدارس الحكوميّة، وهي عبارة عن المدارس التي كانت الحكومة الفرنسيّة تنظّمها للعناية باللغة العربية في القرن

العشرين، والتي كان المتخرّجون منها يُمْنَحُون شهادة الدبلوم من جامعة الجزائر.[٤٢]
وقد كان انطلاق برنامج التأهيل التابع لجامعة إبادن في عام ١٩٦٣م. ويبدو أنّ واضعي البرنامج قد رَاعَوْا مواقف كلّ من مدرستي التأهيل في الحسبان حين كانوا يخطّطون مناهجه وشروط القبول فيه، وحتى يراعى جانب الطلاب الذين درسوا العربية في المدارس الحكوميّة المدنيّة؛ كانت شهادة المجلس الأعلى لشؤون الاختبارات في غرب أفريقيا (West African Examinations Council) أو شهادة الاختبارات العامة (General Certificate Examination) هي المؤهّل الأساسي للقبول في البرنامج، وحتى لا يُجْحَفُ بحقوق الطلاب المتخرّجين من المدارس العربية الأهليّة؛ كانت امتحانات معرفة المستوى العلميّ في كلّ من اللغتين العربية والإنجليزيّة تنظّم لهؤلاء الفئة، ويتأهّلون للقبول إثرها. وكأنّ هذا الصنيع رسول إنذار لحملة شهادات المدارس العربيّة ألاّ يتهاونوا باللغة الإنجليزية في سبيل تخصّصهم في اللغة العربية. وكان قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة إبادن يُساعد المتخرّجين من المدارس العربية بهذا البرنامج ذي مدّة سنةٍ لما يزيد على عَقْدَيْن من الزمن (أي من ١٩٦٣م حتى ١٩٨٦م). ولم ينته من مواصلته إلاّ لقرار قضى به المجلس الوطنيّ لشؤون الجامعات الوطنيّة (National Universities Commission) بعدم السّماح للجامعات بعرض البرامج التي لا يرقى المحصول فيها إلى الليسانس، وحينئذ أُلغي البرنامجان (في كلّ من تخصّصي اللغة العربية والدراسات الإسلاميّة. ولكنّ القسم قد سعى - بدل ذلك - إلى إيجاد نظام التّتبّع أَوْ الضّمّ (Affiliation) بينه وبين المدارس العربية الرّاغبة. وقد كان هناك أوجه تشابه بين هذا البرنامج وبين المدارس العربية التي أسّستها الحكومة الفرنسيّة وألحقتها بجامعة الجزائر، كما سبقت الإشارة إليه، علمًا بأنّ خريجي تلك المدارس كانوا يُمنحون شهادات الدبلوم وأخرى جامعيّة من قبل جامعة الجزائر. وقريبٌ من هذا التدخل الجدير بالثناء من جامعة إبادن التعاون القائم بين كليّة غردون في السودان ومدرسة الدراسات الإسلاميّة الّتي أُسِّسَتْ في مدينة كانو قبل بضع سنوات؛ نزولا على رغبة أمراء مدن شمال نيجيريا الذين مارسوا الضغط على المسؤولين في المطالبة به. وقد كان لكليّة عبدالله بايرو (جامعة بايرون فيما بعد) بمدينة كانو٤٣ دور رياديّ في إنشاء برنامج جَامِعيٍّ في اللغة العربية. ولكنّها تختلف عن برنامج جامعة إبادن في كونها تشترط إتقان اللغة العربية على الطلاب المتقدّمين للقبول فيها، وفي كون أغلب

الطلاب المقبولين للدراسة فيها من خريجي المدارس العربيّة الذين قد اجتازوا مدرسة الدراسات الأساسية التابعة للكليّة أو إحدى كليّات المعلّمين أو الثانويّات العليا. وكانت لغة التلقّي للمواد العربية هي العربيّة نفسها في هذه المنشآت التعليمية بمدينة كانو.٤٤ وكان هذا الوضع هو السائد في جامعة عثمان بن فوديو في مدينة صوكوتو، ويشاكله – إلى حدّ كبير– الوضعُ في قسم اللغة العربية من جامعة إلورن في مدينة إلورن، ولاسيّما بعد أن اعتمد مجلسها التنفيذيّ قرار إنشاء قسم خاصّ للعربية، بينما كانت شعبة في قسم الأديان سابقاً، وكان هذا القرار في عام ٢٠٠٤م. والتعليم العربي في جامعة جوس وجامعة ميدغوري كلتيهما في شمال نيجيريا، وجامعة ولاية لاغوس وجامعة ولاية كوغي وجامعة كوارا، على نفس الوضع. لقد تفوقت جامعة الحكمة في مدينة إلورن في هذا النظام، إذ جعلت لغة التدريس ليست للمواد العربية فحسب بل هي لغة الأداء لمعظم مواد الدراسات الإسلامية كالمألوفة في الجامعات الإسلامية في العالم. هذا، وقد واجهت هذه الجامعة المعارضين لهذه القضية ظلماً من الذين درسوا الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية.

أما بالنّسبة لجامعة إبادن، فقد كانت بضاعة الطلاب المقبولين في برنامج تأهيلها مزجاة، حيث كانوا بين من لا يجيد العربيّة أو من لا يعرفها إطلاقاً، وكانت الجامعة أول نقطة للتلاقي بينهم وبين العربيّة، على أنّ بعضهم كانوا أذكياء، تمكّنوا من الاستفادة منه وإجادة العربيّة في هذا الوقت المحدود. يقول الأستاذ الدكتور بَالُوْغُنْ: «إنّ هناك فئة جادّة من هؤلاء الطّلاب، بذلوا قصارى جهدهم حتّى تمكّنوا من إرساء أقدامهم في الدراسات اللغوية، وهذا على الرغم من كونهم جهلاء بها لمّا شرعوا ينتسبون إلى الجامعة».[٤٥]

هذا، ومن دواعي السرور أنّ بعض الذين درسوا في المنهج البديل (Syllabus B) - وهو المنهج الموضوع للمبتدئين في تعلّم العربية – قد نجحوا في جعل اللغة العربية ميدان تخصّصهم، ولكنّ المؤسف أنّ الأغلبية الساحقة منهم لم يستطيعوا النجاح في ذلك، نظراً لصعوبة اللغة لهم. وقد انتهى الأمر بهؤلاء أن أصبحوا مدرّسين في المواد الإضافيّة في المدارس المتوسطة والثانوية. وقد أدّت هذه الظاهرة إلى فقدان العربيّة لأهلها في المتوسطات والثّانويات الحكوميّة، حيث أصبحت العربية – التي من أجلها وُظِّف

هؤلاء – يتيمة لم تجد من يدرّسها للطّلاّب. والجدير بالذكر أن مسؤولي جامعة إبادن قد تفطّنوا إلى هذه الظاهرة غير المرجوّة، وعملوا في معالجتها بتكثيف دراسة العربية للطلاب المشاركين في البرنامج من جانب، وحثّهم وتذكيرهم بضرورة الالتحاق بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية من الجامعة، بعد انتهائهم من البرنامج، من جانب آخر. ولقد نجحت هذه الخطوة الثنائية الجانب أيّما نجاح، إذ انخرط حملة شهادات البرنامج في سوق العمل فترة من الزمن، تمكّنوا خلالها من التحسين من مستوياتهم العلميّة، وخاضوا ونجحوا في اختبارات الشهادة العامة (General Certificate Examinations) ، وبذلك تأهّلوا بجدارة للالتحاق بالمرحلة الجامعية، وحصلوا – بعد كلّ ذلك – على شهادة الليسانس في اللغة العربية. نعم، إنّ المنهج الأساسيّ (Syllabus A) الموضوع للذين كان لهم إلمام قويّ باللغة العربية قد طُوّر وكثّف، وألغت الجامعة بعد ذلك المنهج البديل (Syllabus B) الذي أنتج أمثال أستاذنا الحبيب آسيف أديجوجو أغنبيي. وبعد إلغاء برنامج العربية للمبتدئين أوجدت الجامعة بديل برنامج الليسانس في الدراسات الإسلامية لمن ضعفت مستوياتهم في اللغة العربية. وقد حصل بالمنهج الأساسي هذا خير كثير وإرواء لتعطُّش المدارس المتوسّطة والثانوية المدنيّة (الحكوميّة) إلى الذين يدرّسون مادّة اللغة العربيّة، وذلك حين أصبحوا يتولّون تدريسها فيها بكفاءة ولباقة ملموستين.

دور خريجي الجامعات العربية من أبناء اليوربا في تعزيز وضعية اللغة العربية في الجامعات

إنّ الحديث عن مستقبل اللغة العربية في بلاد اليوربا – وفي نيجيريا عمومًا- لا يتمّ إلاّ بإعطاء العناية اللائقة للطّلاّب اليورباّويين، أي المتخصّصين في الدراسات العربيّة في جامعات شتّى من منطقتي الشرق الأوسط وشمال نيجيريا. وذلك حيث نال – ولا يزال ينال- كثير من أبناء اليوربا القبول في جامعات عربيّة، أمثال جامعة الأزهر في القاهرة والجامعة الأمريكية في القاهرة والجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة وجامعة الملك عبدالعزيز في جدّة. ومؤسّسات تعليمية أخرى في المملكة العربية السّعودية وليبيا وسوريا والكويت ومصر والعراق. ولهذه الجامعات شروط قبول للطلاب مختلفة عن المؤهّلات والشروط التي بتوفّرها يُقبل الطلاب في الجامعات النيجيرية. بناءً على هذا،

قد يُلزم الطالب المقبول في إحدى هذه الجامعات بالدراسة في إحدى مدارسها الثانوية أو المدارس الثانوية الأهلية المعترف بها لديها قبل انتمائه إلى المرحلة الجامعيّة فيها. ويكوّن المتخرّجون منها طاقة بشريّة بديلة لتدريس اللغة العربية في المدارس المدنيّة، ولكنّ هناك مشكلة نجمت في هذا الأمر، وهي مستحقّة للدراسة. إن معظم هؤلاء المتخصصين في اللغة العربية من جامعات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا قد تلّقوا جميع معلوماتهم باللغة العربية. وحينما يعودون إلى أرض الوطن نيجيريا للتدريس في المدارس المدنيّة التي تكون الإنجليزية هي لغة الخطاب السائدة فيها، حينئذ يتعرَضون لشيء من الازدراء والاستخفاف والنظرة الدّونية، الأمر الذي يجعلهم يشمّرون عن سواعد الجد، ويسارعون إلى اكتساب هذه اللغة التي من أجل عدم طلاقة ألسنتهم فيها يهانون ويُزْدّرَى بهم، ولا يلبثون أن يتأقلموا مع هذا الوضع الجديد، ويتغلّبوا على هذه الصعوبة، لما كان لأكثرهم من الإلمام الأساسيّ باللغة الإنجليزيّة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن لكثير من حملة الشهادات الجامعية من هذه الدّول أهليّة في تدريس اللغة العربية أكثر منها في تدريس الدراسات الإسلاميّة، ولكن نظرًا لقلّة الطلاب الراغبين في دراسة اللغة العربيّة في هذه المدارس، أو نظرًا لقلّة المدرسين المتمكنين في الدراسات الإسلاميّة، أو من أجل الغرضين مجتمعين، يُكلّف هؤلاء المتخرّجون من الخارج بتدريس الدراسات الإسلامية التي تتطلب قدراً من إجادة اللغة الإنجليزية. ويشكل تعامل بعض الوزارات الإقليميّة في الولايات الناطقة بلغة اليوربا مشكلة أخرى لهؤلاء القادمين من دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. وذلك حيث تطالب معظم هذه الولايات هؤلاء المتقدمين للعمل بشهادات تثبت رسوخ أقدامهم في اللغة الإنجليزية قبل أن يتمّ تعيينهم فيها.[٤٦] وهذا الأمر هو الذي جعلهم يتوجّهون نحو الولايات الشمالية التي هي أكثر اعترافاً بهم تعاطفاً معهم، وهذا التّصرّف هو الذي جعل اليورباويّين يفتقدون خبرات هذه النخبة من أبنائهم. وفي حال توظيفهم في هذه الولايات اليورباويّة، عدا ولاية كوارا (التي تعدّ من الولايات الشمالية في الاعتبار السياسيّ)، فإن مرتباتهم الشهرية لا تعادل الشهادات العلمية التي يحملونها.[٤٧] ولكنهم يراعون بعض المراعاة إذا قدّموا شهاداتهم إلى قسم اللغة العربية في جامعة إبادن أو نظيره في جامعة إلورن للترجمة والتقييم. وقد أدّت هذه المشكلة إلى أن يطالب الطلاب المتخرّجون من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة مسؤولي جامعتهم بإعطائهم الترجمة

المعتمدة باللغة الإنجليزية عن أصل شهاداتهم المكتوبة بالعربية، لكنّ المسؤولين لا يزالون غير راغبين في تلبية هذا الطلب المقدّم منذ شهر مايو من عام ١٩٧٩م.[٤٨] وقد يبدو هذا التردّد من قبل المسؤولين غير متعاطف، ولكنّه في الحقيقة متولّد عن الشعور بأنّ الترجمة قد تصيّرُ أصلاً يساوون بها - أو يلغون بها - الأصل العربيّ من الشهادة. والمسلك الآخر الذي اتّخذه المتخرّجون من جامعات دول الشرق الأوسط عامّة، ومن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة خاصة، هو طلب التعيين داعية في نيجيريا أو في خارجها من قبل حكومة المملكة العربيّة السعوديّة. وهذا الأمر وإن كان يحسّن المستوى المعيشيّ لهؤلاء الدعاة إلى حدّ بعيد فإنّه لا يحلّهم المكانة الاجتماعية التي يستحقونها.

والتدبير الآخر الذي بدأ يتخذه المجتهدون من هؤلاء المتخرّجين منذ عقد الثمانينات من القرن الماضي مواصلتهم دراستهم في المراحل العليا في الجامعات النيجيرية أو الجامعات الأجنبية بعد إتمامهم مرحلة الليسانس مباشرة، وكانت الجامعات التي تحظى باختيار في أكثر الأحايين هي جامعات بريطانيا والولايات الأمريكيّة المتّحدة وكندا. وكانت الحكمة وراء هذا التدبير، علاوة على رغبتهم في نيل الشهادات العليا، هي رغبتهم في توسيع أفقهم وتطوير معارفهم وتتويج دراستهم العربيّة بالتثقف في الدول الغربية التي يتكلّم أهلها باللغة الإنجليزية، والتي تتيح الفرصة للتخصّص في اللغة العربية فيها. وأثناء رحلاتي الميدانيّة الكثيرة التي أجريتها إلى كلّ من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا لإعداد هذا البحث، والتي كانت في سنة ١٩٧٩م، و١٩٩٩م، و٢٠٠١م، ٢٠٠٣م، تبيّن لي أنّ كلّ طالب من بلاد اليوربا أُجريت له المقابلة في الجامعات السعودية كلّها، عدا جامعة الملك عبدالعزيز في جدّة التي أسّست على غرار الجامعات الأمريكيّة، قد أبدوا استعدادهم لمواصلة دراستهم في مرحلتي الدراسات العليا، بعد انتهائهم من المرحلة الجامعية التي كانوا يدرسون فيها.

الخاتمة

لقد كانت تجربتي في البحث والمشاركة الميدانية والاعتبار في حياة العربية العلمية في بلاد اليوربا لمدّة أكثر من ثلث القرن (١٩٧٤م-٢٠١٠م) مثيرة إلى أبعد الحدود، وقد شهدت هذه المدّة تطوّراً وازدهارًا ملموسين للغة العربية وأدبها في هذه البقاع من

جمهوريّة نيجيريا الفيدراليّة. وذلك لأنّه تمّ خلال هذه المدّة إتمام أبناء اليوربا الدارسين في مختلف الجامعات النيجيريّة والأجنبيّة لدراستهم في شتّى المراحل، وشاركوا إثرها في وضع بصماتهم على المجتمع. وقد أوجبت جامعات مثل جامعة إلورن وجامعة بايرو بمدينة كانو وجامعة أحمد بللو في زاريا وجامعة مَيدُغُرِي وجامعة جُوسْ وأكاديميّة الدفاع النيجيريّ في مدينة كَدُونَا وجامعة الحكمة إلورن أن يكون البحث في العربية باللغة العربيّة ذاتها. وقد أدّى هذا القرار إلى كثرة البحوث والدراسات والرسائل العلميّة التي أُنجزت لغرض الحصول على شهادات الليسانس والماجستير والدكتوراه في هذه المؤسّسات التعليمية العليا. وخلال هذه المدّة نشر الأدباء الموهوبون من أبناء اليوربا دواوينهم الشعريّة. وقد شهدت هذه الفترة المشاركة الفعّالة من قبل اتّحادات خريجي جامعات الدول العربية في الأنشطة الأدبية العربية في ميادين المؤتمرات والندوات والمحاضرات وإنشاء المجلاّت العلميّة والدوريّات، وأصبحت - نتيجة مجموع ما سبق- العربية مألوفة في شوارع مدن اليوربا وأسواقها وميادين ألعابها، وتجمّعات المناسبات على وجه الخصوص. وتسدّ العولمة بعض الفجوات الموجودة، إذ بدأت القنوات الفضائية العربية تروي ظمأ عشاق العربية في التواصل الثقافي واللغوي بينهم وبين العرب. والحقيقة أنّه ليس بمجرد المصادفة أن أصبح العلماء اليورباويّون المتخصّصون في اللغة العربية كبار المسؤولين في كلّ من: جامعة إبادن، وجامعة أحمد بللو في زاريا، وجامعة جوس، وجامعة إلورن، وجامعة عثمان بن فودي في مدينة صوكوتو، وجامعة ولاية لاجوس في مدينة لاجوس. وكان هذا هو النتيجة الحتمية لجهود علميّة استمرّت لأكثر من مائة وخمسين سنة، كُرِّسَت فيها هذه الجهود لاكتساب اللغة العربيّة وثقافتها. والآن وقد سنحت الفرصة لتأسيس مدرسة عربيّة أو جامعة ذات طابع عربيّ وميول إسلاميّة، ظهر تحسّن ملموس في هذه المؤسّسات التعليميّة في الكم والكيف، وكذلك قد تمّ إلحاق بعض المدارس العربية بالجامعات، وتمّ تأسيس بعض الجامعات الإسلامية وكليّات المعلّمين باعتراف المفوضيّة الوطنيّة لشؤون الجامعات (National Universities Commission [NUC]) والمفوضيّة الوطنية لشؤون كليّات المعلّمين (National Commission for Colleges of Education [NCCE]). والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: هل باستطاعة التعليم العربيّ أن يتعايش مع التعليم المدنيّ بالمؤسّسات التعليمية الأساسية والمؤسّسات العليا في نيجيريا بصفة عامّة وفي ولايات اليوربا بصفة خاصة؟ بل السؤال الأكثر إلحاحًا من ذلك هو: هل تستطيع

محبّة اليورباويّين وسائر النيجيريين للغة العربية وإجلالهم لها أن يرسيا أقدام العربيّة ويعزّزا مكانتها في الساحة رغم تخلّي الحكومة عنها وقلة أو عدم دعم الدول العربيّة لها؟

وبناءً على ما يتطلّبه هذان السؤالان الملحّان، ومعايشتي للغة العربيّة دراسة وتدريسًا لما يزيد على نصف قرن من الزمن في نيجيريا، أختم هذه المحاضرات بوجهات النظر والاقتراحات والحقائق الآتية:

١ -في نيجيريا إحدى وأربعون جامعة أهلّية (غير حكوميّة) حاليًّا، وعدد الجامعات الإسلامية منها خمسة فقط.

٢ -قد جعلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م المسلمين الأثرياء والحكومات العربية والإسلامية يتوجّسون خيفة من الغرب وكيده، حتّى بدأوا يتردّدون في دعم المشاريع الإسلاميّة. وهذا الموقف متفهّمٌ بناءً على واقع أوضاع المسلمين الراهنة.

٣ -إنّ دول الغرب لا تمانع من تأسيس الدّول والجمعيّات للجامعات في خارج بلادهم؛ لأنّ تلك الجامعات تكون معلومة المعالم والمناهج لدى الدّول المؤسّس فيها، بل تكون هيئات أو مفوّضات وطنيّة تشرف عليها وتتابع أمرها في أغلب الدّول، كما هو الحال في نيجيريا. وبذلك تزول شكوك دعم الإرهاب ويصفو الجوّ لدعم العروبة والإسلام في دول ليس أكثر أهلها من أهلهما.

٤- أنا مستعدّ للتعاون مع المملكة العربية السعودية حكومة وجمعيّات وشعبًا لتأسيس ثلاث جامعات تخدم اللغة العربية والدّين الإسلاميّ، تقع واحدة منها في كلّ من أقاليم نيجيريا الرّئيسة، التي هي: شمال نيجيريا حيث يسكن الهوساويّون وقبيلة فلاتة، وغرب نيجيريا الذي هو بلاد اليوربا، وشرق نيجيريا الذي هو عبارة عن ديار قبائل الإيبُوْ.

٥ -إن سعى المسؤولون في المملكة العربيّة السعودية في تلبية الطلب السابق فستساعد هذه الخطوة شباب المسلمين النّيجيريّين في تحقيق أمانيهم العلميّة من جانب، وتساعد نشر الدعوة الإسلاميّة السلفيّة من جانب آخر.

٦ -الحقيقة المؤسفة أن أكثر خريجي المدارس العربية الأهلية لم يستطيعوا مواصلة

دروسهم في المرحلة الجامعية في أكثر جامعات نيجيريا الحكومية والأهلية لأجل عائق اللغة الإنجليزية؛ التي تشترطها هذه الجامعات والتي لا يتقنها أكثر هؤلاء الخريجين.

٧ -إنّ من دأب الدول الغربية أن تؤسّس الجامعات في نيجيريا وغيرها من الدول النّاميّة – وإن كانوا يخفون دعمهم وسعيهم في تأسيسها في أكثر الأحايين–، ويتركوا هذه الجامعات يديرها ويدرّس فيها من قد درسوا في ديارهم. وليست مثل هذه الخطوة بعزيزة على المملكة العربية السّعودية التي قد علّمت ودرّبت المئات بل الألوف من العلماء والدعاة والأكاديميّين النّيجيريّين، الذين أعرف كثيرًا منهم وأستعدّ للتعامل معهم في هذا المجال.

الهوامش والمراجع:

١. ينظر: ج.س. ترمنغم (J. S. Trimingham)، الإسلام في غرب أفريقيا (Islam in West Africa)، مطبعة جامعة أكسفورد (لندن)، ١٩٥٩م. وبعد ذلك استعملت كلمة (تكرور) التي كانت اسم مملكة على شاطئ نهر السنغال ليُعنى بها الأكثرية من بلاد غرب أفريقيا. وبناء على ذلك عنون محمّد بن بللو كتابه الذي حكى فيه حوادث جهاد ابن فودي بـ(إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور). انظر أيضًا: ن. ليفتيون (N. Levitzion)، اعتناق الإسلام (Conversion to Islam)، مطبعة نيويورك ولندن)، ١٩٧٩م، ص ٢٠٨.

٢. كان اسم غانا مشهورًا لدى الجغرافين العرب الذين عاشوا في مملكة سُونِنْكَيْ التي كانت في شرق جنوب موريتانيا وغرب مالي. وقد ذهب نهيميا ليفتيون (Nehemia Lexitzion) في كتابه (غانا ومالي القديمتان)، ط، لندن، عام ١٩٧٣م، ص٣ إلى أن أوّل من أطلق اسم «غانا» رجل عربيّ جغرافيّ اسمه الفزاريّ.

٣. ينظر: تاريخ الإسلام في غرب أفريقيا، ط، لندن، عام ١٩٦٣م، ج.س. ترمنغم (J. S. Trimingham)، نقلاً من تاريخ السودان للسّعدي، عام ١٦٦٥م، ص٩، وانظر أيضًا: رحلات في آسيا وأفريقيا، لابن بطوطة، ص ١٣٢٠–١٣٥٤، بالترجمة إلى الإنجليزية التي قام بها ح.أ. ر. غبّ (H.A.R. Gibb)، ط، لندن، عام ١٩٢٩م، ص٣٨٠، وهامش رقم ٢١.

٤. ينظر: تاريخ الإسلام في غرب أفريقيا، مرجع سابق، ص٤٨.

٥. ينظر: جمهورية نيجيريا الفيدرالية، برنامج خدمة الشباب للوطن

(National Youth Service Corps [N.Y.S.C.])، محاضرات للتوجيه والتكييف، (Lectures for the Orientation)، يولين ١٩٧٣م، ص٢٦.

٦. ينظر: ن. ليفتيون (N. Levitzion)، عام ١٩٧٩م، أشكال الأسلمة في غرب أفريقيا (Patterns of Islamization in West Africa)، ص٢٠٩.

٧. ولم يحدّد ليفتيون تاريخاً معيّناً لاستقلال غانا من المرابطين، وإنّما اكتفى بأنّ ذلك كان في أوائل القرن الثاني عشر الميلاديّ. ينظر: غانا ومالي القديمتان، ص٤٦ .

٨. يرى ليفتيون في المرجع السابق أنّه يمكن أن يقسّم تاريخ إمبراطورية مالي إلى أربعة أجيال تتراوح بين العظمة والتدهور، بدءًا من النصف الأول للقرن الثالث عشر الميلادي.

٩. ينظر: محاضرات للتوجيه والتكييف (Lectures for the Orientation)، مرجع سابق، ص٢٨.

١٠. يقال إنّ هذه المملكة هي دولة نيغرُوْ المسلمة الأولى، ولأجل هذا يعدّ كثير من الكتّاب العرب كلّ نيْغرُوْ تكروريّاً. وفي الواقع، فإن الاسم صادق على تكوْلُوْ (فوتا السّنغاليّة) فقط. ينظر الهامش رقم ١١ السابق. وانظر أيضًا: تاريخ الإسلام في غرب أفريقيا (A History of Islam in West Africa) ، مرجع سابق، ص٤١-٤٢.

١١. ينظر: ح. برث (H. Barth)، رحلات واكتشافات في شمال ووسط أفريقيا (Travels and Discoveries in Northern and Central Africa)، ١٨٥٧-١٨٥٩، لندن، طبعة عام ١٩٦٥م، ص٤١-٤٢.

١٢. ينظر: و. ريد (W. Read)، تجوّلات اللَّغَم في السنغال وغمبيا (the Wanderings of Mina in Senegambia)، لندن، عام ١٨٧٣م، الطبعة الأولى، ص٣١١. وينظر أيضًا: مقدّمة البروفيسور (م.س. الغار (Professor M. S. Elgarh) لكتاب أ. أجيتنمابي (A. Ajetunmobi) الذي عنوانه: اللغة العربية للمرحلة الثانوية (A School Certificate Arabic)، إبادن، عام ١٩٧٣م.

١٣. ينظر: تاريخ الإسلام في غرب أفريقيا، مرجع سابق، نقلاً من: تاريخ السودان للسعدي، ص٩٣.

١٤. ينظر: إ. أُلَيَنْدوف (E. Ullendorf)، دراسة اللغات الساميّة المقارنة (Comparative Semitics) في مجلة «الأفريقية الآسيوية» (Afro-Asiatic) التي حرّرها ش. ت. هُدج (C. T. Hodge)، سلسلة ١٩٦٣، طبعة هاغو بباريس، عام ١٩٧١م، ص٣٢.

١٥. المرجع السابق، ص٣٢-٣٣ .

١٦. ينظر: ح. ج. بلُوتْسِكي (H. J. Polotsky) ، الدراسات الساميّة والمصريّة (Semitics and Egyptian)، ضمن مجموعة مقالات حرّرها إ. أ. سبيسي (E.A.Speiser) بعنوان التاريخ العالميّ لليهود (The World History of the Jewish People)، ١/ ٩-١١ و١/ ١٢١-١٣٤، لندن.

١٧. لتفصيلات أوفى لهذا التقسيم ينظر: س. أ. فاغسون (C.A. Ferguson)، وغلوسيا("Diglosia") في مجموعة مقالات حرّرها د. حائمْسِ (D.Hymes)، بعنوان: اللغة في الثقافة والمجتمع: دراسات في اللغة والأنثروبولوجيا (A Reader in Linguistics and Anthropology)، نيويورك ولندن، ١٩٦٣م، ص٤٢٩-٤٣٩، وس. أ. فاغسون (C.A. Ferguson)، اللهجة العربية (The Arabic Koine) ، عام ١٩٥٩م، ص٦١٦-٦٣٠ .

١٨. ينظر: إ. و. بوفيل (E. W. Bovil)، تجارة المغاربة الذهبية (The Golden Trade of the Moors)، لندن، عام ١٩٧٠م، ص٢١-٢٣ .

١٩. ينظر: ج. س. مون (J. S. Moon)، إسلام الرجل اللذيذ والعقيدة النصرانية (Sweetman's Islam and Christian Thelogoy)، مركز دراسات الإسلام والعلاقات الإسلاميّة المسيحيّة (Centre for the Study of Islam and Christian-Muslim Relations)، في بامنغم (Birmingham)، ص٤٩-٥٠.

٢٠. ينظر: ر. د. أبوبكر (R. D. Abubakre)، بقاء المصطلحات العربية في العلوم الحديثة (Survival of Arabic Terms in Modern Science)، في مجلة علميّة حرّرها إ.أ. أودموييوا (E. A. Odumuyiwa)، وكانت بعنوان: الدين والعلم والثقافة (Religion، Science and Culture)، عام ٢٠٠١م، ص٢٥-٢٦، حيث ذكر الكاتب عدّة كلمات عربية في المصطلحات العلمية في كلّ من علم

التنجيم وعلم النباتات، والكيمياء والرياضيّات والطّبّ.

٢١. ينظر: ج. أو. حُنْوِيك (J. O. Hunwick)، أثر اللغة العربية في غرب أفريقيا (The Influence of Arabic in West Africa)، ضمن مجلّة بعنوان: محضر جلسة الجمعيّة التاريخية بغانا (Transaction of the Historical Society، Ghana)، المجلد الثامن عام ١٩٦٤م، مادة Passion.

٢٢. ينظر: أ. م. لَيْوِيس (I. M. Lewis)، الإسلام في أفريقيا الاستوائيّة (Islam in Tropical Africa)، لندن، عام ١٩٦٦م، ص٣٣ .

٢٣. ينظر: إبراهيم صالح، تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطوريّة كَنَمْ برنو، مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ (القاهرة)، عام ١٩٧٦م، ص٦٢-٦٦ .

٢٤. ينظر: م. حسكيت (M. Hiskett)، تطوّر الإسلام في غرب أفريقيا (The Development of Islam in West Africa)، لندن ونيويورك، عام ١٩٨٤م، ص٦١ .

٢٥. المرجع السابق نفسه، ص٤٦ .

٢٦. ينظر: ن. ليفتزيون (N. Levtzion)، عبدالله بن يس والمرابطون (Abd-Allah b. Yasin and the Almorovids)، في مجلّة علمية قام بتحريرها ج. ر. وِلِيس (J. R. Willis)، وكانت بعنوان: دراسات في تاريخ غرب أفريقيا الإسلاميّ (Studies in West African Islamic History)، المجلّد الأوّل المعنون بـ«رعاة الإسلام» (The Cultivators of Islam)، طبعة فرانك كأس (Frankcass) بلندن، عام ١٩٧٩م، ص٧٨-٨٠ .

٢٧. ينظر: ر. د. أبوبكر (R. D. Abubakre)، القرآن والسنة أساسان للعلاقات الإسلامية - النصرانية المثاليّة (The Qur'an and Sunnah as the basis of Muslim-Christian Relations)، في النشرة عن الإسلام والعلاقات الإسلامية - النصرانية في أفريقيا (Bulletin on Islam and Muslim-Christian Relations in Africa)، عام ١٩٨٧م، ص٨-٢٢ .

٢٨. ينظر: ج. س. مون (J. S. Moon)، مرجع سابق، ص٥٥ .

٢٩. السابق.

٣٠. ينظر: س. أغورئدس (S. Agourides)، تحامل اليونان البيزنطيّة ضدّ

الإسلام: آثار العوامل الوطنيّة والاجتماعيّة والثقافيّة (Greek Byzantine Bias about Islam: The Influence of National، Social and Cultural Factors)، ورقة مؤتمر غير منشورة في مؤتمر «حوار الصداقة والتفاهم الإسلامي - النصرانيّ» (Dialogue for Muslim-Christian Friendship and Understanding) ، نظّمه المجلس العالميّ للأديان الذي عقد في إستنبول، تركيا، عام ١٩٩١م.

٣١. ينظر: أ. ب. فافنوا (A. B. Fafunwa)، تاريخ التربية في نيجيريا (History of Education in Nigeria)، طبعة شركة جورج حوويل وأون بلندن، عام ١٩٧٤م، ص٧٤ .

٣٢. ينظر: أ. مصطفى (A. Mustapha)، التخريب في المناصرة: التعليم الإسلاميّ في عهد السلطة الاستعمارية في نيجيريا (Sabotage in Patronage: Islamic Education under Colonial Rule in Nigeria)، في مجلة نقابة معلّمي اللغة العربية والدراسات الإسلاميّة في نيجيريا (نتائس)، ٦/ ١، عام ٢٠٠١م.

٣٣. ينظر: أ. ك. ج. جامنوس (A. K. J. Germanus)، الأدب العربي في أمريكا، في مجلة الأدب الإسلاميّ، ١٢/ ٢، عام ١٩٦٦م، ص٢١ .

٣٤. كان من أهمّ المشكلات التي واجهت المسلمين لمّا بدؤوا في تأسيس مدارسهم الخاصة وجود أصحاب الكفاءة للتدريس فيها. وذلك لأنّ لغير المسلمين اليد العليا في الثقافة الغربيّة، وكان أولئك النصرانيون هم المؤهّلين للتدريس في مدارس المسلمين هذه. ونتيجة هذا السيناريو أنّه حصل في كثير من الأحايين أن يكون المؤسّسون مسلمين بينما كانت الإدارة والمدرسون غير مسلمين. بل قد حصل أن أسّس مسيحيّ مدرسة إسلاميّة! وسبب ذلك أنّ المؤسّس لما لاحظ أنّ أكثر من يسكنون المدينة مسلمون جعل مدرسته إسلاميّة، سعيًا في استمالة المسلمين إليها. واسم المدرسة ثانويّة المسلمين العالية بمدينة شاغامو (Muslim High School، Shagamu) وشاغامو هذه مدينة في منطقة إَجَيْبُو رَيْمَيْ (Ijẹbu-Rẹmọ) من بلاد اليوربا وتبعد عن لاغوس بحوالي خمسة وستّين كيلومتراً.

٣٥. للاطّلاع على ورقة هذا المؤتمر ينظر: ر. برَوْدفوت (R. Proudfoot) وج.س.

ولسون (J. S. Wilson)، مواقف المسلمين تجاه التعليم في سيراليون (Muslim Attitudes to Education in Sierra Leone)، مجلة العالم الإسلامي (Muslim World)، المجلة ٥٠، يناير عام ١٩٦٠م، ص٨٦-٩٨.

٣٦. المرجع السابق، ص٩٠ .

٣٧. ينظر: ت. ج. أو. بدماصي (T. G. O. Gbadamosi)، تأسيس التعليم الغربيّ بين المسلمين في نيجيريا من ١٨٩٦م حتّى ١٩٢٦م، (The Establishment of Western Education among Muslims in Nigeria 1896-1926)، في مجلّة الجمعيّة التاريخيّة في نيجيريا (Journal of the Historical Society of Nigeria)، المجلّد الرابع، الرقم أ، ديسمبر ١٩٦٧م.

٣٨. ينظر: ر. برودفوت وج.س. ولسون، مواقف المسلمين تجاه التعليم في سيراليون، مرجع سابق، ص٩٠ .

٣٩. نادى الإلوري بهذا الأمر في تصريح صحفي في فترة من عام ١٩٧٣م.

٤٠. يعدّ هؤلاء الدعاة المحافظون عند بعض الناس شوّاذ، إذ هم- علاوة على تحريم اكتساب التعليم المدنيّ في مستوى أعلى من المرحلة الابتدائية - ينادون بفصل النساء عن الرجال في المراكز والمكاتب والمرافق العامّة ويلزمون النساء الحجاب الكامل بستر جميع أبدانهنّ.

٤١. ينظر: الشيخ آدم عبدالله الإلوري، الإسلام في نيجيريا، بيروت، عام ١٩٧١م، ص١٥٣-١٥٤.

٤٢. ينظر: ح.ج. فيشار (H. J. Fisher)، التعليم الإسلامي والإصلاح الدينيّ في غرب أفريقيا (Islamic Education and Religious Reform in West Africa)، في مجلة حرّرها ر. جولي (R. Jolly) والتي عنوانها: التعليم في أفريقيا؛ البحث والأداء (Education in Africa: Research and Action)، ناتروبي (جمهورية كنيا)، عام ١٩٦٩م، ص٢٢٥.

٤٣. لقد تغيّر اسمها إلى جامعة عبدالله بايرو في عام ١٩٧٦م.

٤٤. ينظر: منسلي جبريل (Munsali Jibril)، مذكرة في اللغة العربية في الجامعات النيجيرية (A Note on Arabic in Nigerian Universities)، وقد تمّ توزيعها في عام ١٩٧٥م، وذلك حيث ورد في ص٢ منها قوله عن جامعة بايرو:

«كانت العربية تعلّم عن طريق العربية نفسها، وكانت محادثات المؤتمرات تُجرى بالعربية، والطلاب ينشئون بالعربية، وحتّى الإعلانات الصادرة من القسم تُنشر بالعربية في كثير من الأحايين».

٤٥. ينظر: أ. أ. ب. بالوغن (I. A. B. Balogun)، الدراسات العربية في نيجيريا: فحص المشكلات في المدارس الثانوية والجامعات مع الحلول المقترحة (Arabic Studies: A Survey of the Problems in the Post-Primary Institutions and Universities، with suggested solutions)، ورقة سيمنارية، ص٨.

٤٦. كذلك اشتكى خريجو جامعة الأزهر العائدون إلى وطنهم سيراليون في عام ١٩٦٠م من عدم إعطائهم الوظيفة والمكانة الاجتماعية اللائقتين. ينظر: ر. برودفوت وج.س. ولسون، ردود فعل المسلمين..، مرجع سابق، ص٩١. ومن هذا القبيل أيضًا شكوى السنغاليين المتخرجين من جامعة الأزهر من هذه المعاملة غير اللائقة. انظر: ص٢٦١ من المرجع السابق.

٤٧. فإنّ حالة الاستثناء الوحيدة في هذا الأمر هي الذين درسوا في الجامعة الإسلامية في ليبيا، وأولئك هم الذين استطاعوا أن يثبتوا وجودهم وينافسوا نظراءهم في سوق العمل.

٤٨. اكتسبت هذه المعلومات من زياراتي المتكرّرة إلى المملكة العربية السعودية، والتي وقعت في أعوام ١٩٧٩م، و١٩٩٩م، و٢٠٠١م، و٢٠٠٣م، ومن محاوراتي للمتخرّجين العائدين من تلك الجامعة حتّى عام ٢٠٠٤م.

ooo

الفصل الرابع:

اللغة العربية في العمق الثقافي النيجيري
(الأدب/ الإعلام/ الثقافة)

تأثير اللغة العربية وثقافتها الإسلامية في الأدب النيجيري

البرفيسور مشهود محمود جمبا

أستاذ اللغة العربية وآدابها جامعة ولاية كوارا – نيجيريا

مقدمة:

من المعلوم أن الإسلام إذا دخل أرض قوم حمل معه اللغة العربية التي هي لسان نبيه ولغة قرآنه، وسيلةً لتوحيد لسان أمته، وأداة لتبليغ رسالته، ومحو الأمية، فيبدأ بتعليم الناس نطق الحروف وتعليم القرآن الكريم، وما يلبث أن يروقهم جمال العربية ويخلبهم سحرها، فيقبلوا على حفظ أشعارها، وقصار نثرها وحكمها وأمثالها، ثم يحاولوا محاكاتها، أو ربما هجروا لغتهم طوعاً واستبدلوا بها العربية، لقد حدث كل ذلك في بلاد فارس، والهند، والأندلس، وتركيا، وشمال أفريقيا، وغرب أفريقيا. لم تختلف الحال عندما دخل الإسلام المنطقة التي تعرف اليوم بنيجيريا[1] في القرن الحادي عشر الميلادي، فقد علّم أهاليها القراءة والكتابة لأول مرة في تاريخهم، وقوّم ألسنتهم؛ حتى نبغ بينهم شعراء وكتاب وخطباء وعلماء، بلغوا في العلم شأواً عظيماً، وألفوا أسفاراً ضخمة من الكتب في شتى العلوم والمعارف الإنسانية، وبنوا دولة حضارية عظيمة كانت العربية لغة رسمية فيها قبل حلول المسيحية بينهم بعدة قرون. ولما استعمر الإنجليز البلاد في مستهل القرن العشرين تعاون معهم النصارى «المبشّرون» على تقويض الحضارة الإسلامية، وطمس معالمها، وفرض الإنجليزية لغة رسمية في البلاد.

من هذا المنطلق تشعّبت بالدولة الألسن؛ فسادت اللغات المحلية في المعاملات غير الرسمية، والعربية في الدوائر الإسلامية، والإنجليزية في المعاملات الرسمية، وكان الصراع عنيفاً بينهما. وقد كانت هناك تقسيمات لآداب الشعب النيجيري تبعاً للتقسيم اللغوي؛ فكان هناك الأدب المكتوب باللغات المحلية (الهوسوية، واليوربوية والإيبوية، والفلاتية، والنوفوية، وغيرها)، والمكتوب بالعربية (إما المكتوب بالعربية حرفاً ومعنى، أو المكتوب بالحروف العربية فقط وهي الكتابة المشهورة بالعجمية)، وأخيراً المكتوب بالإنجليزية، وهو الذي تنتجه الطبقة المثقفة ثقافة غربية أمثال الأديب الحاصل على جائزة نوبل وولي شوينكا وتشنوا أتشيبي وغيرهما. لقد تأثر كل من الطوائف الثلاث بالأدب العربي الإسلامي بدرجات متفاوتة، وبغية هذه المقالة كشف اللثام عن تداعيات هذا التأثر وأبعاده ونتائجه؛ في إطار العلاقة بين الأدب العربي والآداب الإفريقية.

التعريف بالأدب النيجيري

وردت للأدب النيجيري تعريفات مختلفة، نورد منها ما يلي:

«الأفكار الثقافية والاجتماعية والشخصية (الخاصة بالأديب النيجيري)[٢] المعبر عنها في لغة جميلة»،[٣] و«مجموعة مختلفة من آداب اللغات النيجيرية الأهلية كالهوساوية، والإيبوية، واليوربوية، المنسوجة على منوال الأدب الإفرنجي وفي لغته في كثير من الأحيان، لتصوير الحياة النيجيرية الحديثة القائمة على الوعي القومي»،[٤] وقد عرّفناه بأنه: «الأدب الذي يعبر عن الفكر النيجيري والفلسفة النيجيرية، مكتوباً كان أم شفاهياً، أنتجه أي أديب يقطن في البيئة النيجيرية، سواء باللغات النيجيرية أو بغيرها».

أدب عربي أم أدب نيجيري؟

دأب الكُتّاب النيجيريون والعرب على إطلاق مصطلح «الأدب العربي النيجيري» على الأدب الذي ينتجه النيجيريون باللغة العربية، وشاع هذا الاستعمال في البحوث العلمية وغيرها، بحكم أن هذا الأدب ليس فقط يدوّن بالعربية؛ بل لأنه أيضاً يعبر عن الفكر العربي والثقافة العربية. لقد قام الدكتور محمد نجيب أحمد، المحاضر بآداب جامعة المِنيا، ببحث بعنوان «الأدب العربي النيجيري ١٨٠٥-١٩٨٠»،[٥] وكتب

الدكتور شيخو أحمد غلادنثي «حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا»،[٦] وقد استُعمل المصطلح في أماكن كثيرة منه، والسيد شعيب بخاري «الأدب العربي في بلاد يوربا»،[٧] والدكتور حمزة عبدالرحيم «تحليل بلاغي للأدب العربي من مؤلفات علماء يوربا»،[٨] والدكتور عثمان محمد عبدالسلام الثقافي «الحماسة في الشعر العربي النيجيري»،(٩) والدكتور مشهود محمود جمبا «فن الوصف في الشعر العربي النيجيري»،[١٠] وغيرهم من الكُتّاب والباحثين النيجيريين والأجانب. وفي الآونة الأخيرة أخذ بعض الكُتّاب يلاحظون قصوراً في تعميم الأدب بهذه التسمية، حين تنبهوا لحركة التجديد والنهضة التي تجري في حقل الأدب المكتوب بالعربية في نيجيريا، فنادوا إلى مصطلح «الأدب النيجيري في اللغة العربية» جنباً إلى جنب مع «الأدب العربي النيجيري». ولعل أول من قام بهذا النداء هو الأستاذ مسعود راجي، الذي لاحظ أن العرب قد جددوا أدبهم عندما اتصلوا بالغرب، وثاروا على أدبهم القديم عندما رأوا أنه لم يعد يصور حياتهم القومية الحديثة. وأضاف أن هذا التجدّد لم يتحقق في نيجيريا وغيرها من البلاد الإسلامية العجمية بشكل تحقّقه بين العرب...،[١١] ورأى أنه بقيام القومية العربية في عزلة عن القومية العجمية، وانقسام الأمة الإسلامية الواحدة إلى الأمتين العربية والإسلامية، لم يعد الأدب العربي اليوم تصويراً للحياة الإسلامية العجمية، أو ينطبق عليها في نيجيريا مثلاً، لأن البلاد وأمثالها لا تضم بين طياتها العرب، وليست لغة أهلها العربية.[١٢] ويلخّص الفرق بين المصطلحين في قوله:

يتشابه الأدب النيجيري في اللغة العربية والأدب العربي النيجيري؛ لأنهما يشتركان في استعمال اللغة العربية لتصوير الحياة النيجيرية في حالتيها الإسلامية القديمة والقومية الحديثة. ولكن يصطبغ الأدب النيجيري في اللغة العربية بصبغة الحضارة الغربية لأنه تصوير الحياة القومية النيجيرية الصادرة منها، بينما يصطبغ الأدب العربي النيجيري بالصبغة الإسلامية لأنه تصوير الحياة الإسلامية في نيجيريا.[١٣]

ويذهب الدكتور حمزة عبدالرحيم هذا المذهب، ويرى أن استعمال «الأدب العربي النيجيري» استعمال مناسب، لأن ثقافة العرب ومنهجهم وعقليتهم هي السائدة على هذا الأدب، لدرجة أنه يصعب التفريق بين شعر أنتجه نيجيري وآخر قرضه عربي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن القرآن الكريم بلغته ومعانيه هو المصدر الأول

للغة العربية، مما جعل الإنتاج الأدبي القديم لدى النيجيريين حافلاً بالمصادر الدينية.[١٤] ويرى حمزة أيضاً أنه على الرغم من السابق؛ فقد آن الأوان لأن يُعزى الأدب الذي ينتجه النيجيريون بالعربية إلى الأدب النيجيري، لأسباب منها أن العربية لم تعد – كما كانت سابقاً – ملكاً لطائفة من علماء الدين، بل قد صارت لغة التعلم والتعليم في المدارس، ولغة التخاطب محلياً ودولياً، ولم يعد تعلمها حكراً للمسلمين. ومن الأسباب أن كثيراً من الكُتّاب الأفارقة قد ركنوا إلى اتخاذ اللغات الأجنبية لتسجيل خواطرهم وتدوين أدبهم، فحريّ بالنيجيري المتخصص في العربية أن يُرى أديباً نيجيرياً كنظيره المتخصص في الإنجليزية، لا أديباً عربياً.[١٥] ولا نريد أن نخوض كثيراً في خضم هذه الإشكالات كي لا تفضي بنا إلى قضية أخرى أكثر إشكالاً؛ ألا وهي قضية «اللغة العربية النيجيرية»، بل لنا مع ذلك شأن في مناسبة أخرى. وعلى هدى التعريفات والمناقشة السابقة يمكن تصنيف الأدب النيجيري المكتوب باعتبارين مختلفين؛ اللغة والبيئة. أما باعتبار اللغة فيمكن تصنيفه أيضاً إلى:

- الأدب المكتوب باللغات المحلية.
- الأدب المكتوب بالعربية.
- الأدب المكتوب بالإنجليزية.

وأما باعتبار البيئة فيصنف تصنيفات عِرقية عديدة، فنجد على سبيل المثال:

- الأدب الهوسوي.
- الأدب اليوربوي.
- الأدب الإيبوي.
- الأدب الفلاتي.
- الأدب النوفوي.

ومما يجدر بالذكر في هذا المضمار أن في نيجيريا أكثر من ٣٠٠ عرق، تتكلم لغات مختلفة وتجمعها قومية واحدة. وأبرز الأعراق ثلاثة: هوسا، ويوربا، وإيبو، وتحتها تندرج الأعراق الباقية. وستتناول الأدب النيجيري في هذه المقالة من حيث اللغة،

ولكن في إطار بيئي خاص بخارطة انتشار الإسلام في البلاد.

روافد الأدب النيجيري

وقبل الخوض في غمار الموضوع، يحسن بنا الإشارة إلى أن للأدب النيجيري أربعة روافد أساسية هي:

•الثقافة المحلية: وتنبع من العادات والتقاليد وتراث الأجداد والأسلاف، وتنتقل عبر الأجيال، وهي أوسع الروافد، ومنها ينشأ الأدب الشفاهي.

•الثقافة العربية الإسلامية: يستقي الأدب النيجيري من الثقافة الإسلامية، إما مباشرة أو بعد أن صارت جزءاً لا يتجزأ من عوائد الشعب، ومنهل هذه الثقافة القرآن والحديث وكتب العقيدة والقصص الإسلامية، وهذا شائع في شمال البلاد.

•الثقافة الغربية: وتتضمن أعمال شكسبير وكرستوفر مرلو وحكايات ألف ليلة وليلة (المترجمة إلى الإنجليزية)، وهذه واضحة في بواكير الأعمال المدونة – خاصة عند يوربا – في الثلاثينات من القرن العشرين الميلادي.

•الثقافة المسيحية: كان للكنيسة أثر قوي في نشأة الدراما الموسيقية، والدراما والرواية المكتوبتين في جنوب نيجيريا عامة، وفي المجتمع اليوربوي خاصة، في أوائل القرن الميلادي الماضي، وقد تبنّت الكنيسة القصص الإنجيلية وقدمتها للشعب في صبغة محلية.

مظاهر تأثير الإسلام في الأدب النيجيري المكتوب

أولاً: الأدب النيجيري المكتوب باللغات المحلية

هذا اللون إما مكتوب بالحروف اللاتينية أو بالحروف العربية، ومن نماذج المكتوب بالحروف اللاتينية قصيدة الشيخ سلمان أَكَيْ في الوعظ والإرشاد:

Asalatu ti ko ni pekun

Ati ‘ke at‘ola Oluwa mi

(Ko lo ba Muhamma Akehinde (2x

Ati kadara ati sababi

(Oba loro won po lori eda (2x

Bi o si t'emi kolee je

Bi o si temi ko leemu

Oluwa lo fio se sababi

Baba dakun ma so bee mo

Iya dakun ma so bee mo

(Oluwa lofi o se sababi (2x

Bi o si oni waasu to n pede

Ibaje ibarin iba si yan

Sugbon nigbati oniwaasu n pede

(Ibaje koleerin koleeyan (2x

ومعناها:

صلاة دائمة

ورحمة ربي وسلامه

كلا القدر والسبب

خلطهما الله (وطبقهما) على الخلق (٢X)

(يا قائل): لولا فضلي لما أكل (هذا)

ولولا عوني لما شرب

لقد جعلك الله سببا (لأكله وشربه)

فيا أيها الرجل أرجوك ألا تكرّر ذا (القول)

ويا أيتها المرأة أرجوك ألا تكرّريه

لولا الواعظ الذي يعظ على الملأ

لسار الفساد فخورا

ولكن عندما نصح الناصح الملأ

لم يقدر الفساد أن يسير مختالا فخورا(١٦)

وأثر الإسلام في هذا اللون واضح في اللفظ والموضوع، كما يؤثر فيه الأدب العربي من حيث الوزن والقافية، كما في قول حمزة تشاجي:

Wata rana kai na Dela

Wata rana sai a maida zance،

Jiki da jini na Dela

«Yau fa an taba «Madugun Samari

Ku maroka ‘yan kasan nan،

Kan na mutu kun asara،

«Tun da kun rasa «Madugun Samari

فقد استعمل الشاعر بحر الوافر المجزوء في القصيدة لكن بطريقة خاصة، حيث أضاف «فاعل» في السطر الثاني.(١٧) والمتتبع لهذا النمط الأدبي يجد أنه في الآداب الشمالية (شمال نيجيريا) أكثر تأثراً بالإسلام والعربية منه في الأدب الجنوبي (جنوب نيجيريا)، كالأدب اليوربوي مثلاً حيث ينحصر التأثير في أعمال العلماء المسلمين، أما غير العلماء فلا يعدو الأسماء والألفاظ العربية التي دخلت لغة يوربا، بل الحقيقة أن هذا الأدب يشنّ حملة ظاهرة أو خفية على الإسلام على نحو ما نجد في مسرحية Idamu Paadi Mikailu «محن القسيس ميكائيل» للمسرحي Adebayo Faleti ، وليس هنا مجال مناقشة ذلك.

أما المكتوب بالحروف العربية فعبارة عن أشعارٍ وعظية وأغانٍ شعبية قُيّدت بالحروف العربية (المعروف بعجمي أو أنجم) أي الكتابة العجمية، وهذا اللون كثير كثرة مطلقة،

وسيتناول حديثنا أكثر ثلاث لغات تأثراً وهي: الهوسوية، والفلاتية، واليوربوية. وتتشابه أوجه التأثير تشابهاً كبيراً، وقد رصدنا منها حوالي خمسة هي: اللفظ، والمعنى، والاقتباس، والوزن، والقافية، علماً بأن اللغات لا تتساوى في درجة التأثّر بل تتفاوت، فالهوسوية والفلاتية أكثرها تأثراً، تليهما اليوربوية، وفي السطور التالية عرض موجز لأوجه التأثّر مع النماذج.

١-الحروف العربية: ونعني بذلك استخدام الحرف العربي لتدوين الأدب، وقد استُخدم قبل الحرف اللاتيني بقرون عدة، والأمثلة التي نقدمها في السطور التالية تكفي للاستشهاد.

٢-المفردات العربية: لقد تسربت كمية كبيرة من المفردات العربية إلى هذه اللغات منذ فجر الإسلام في البيئات التي يُنطق بها فيها، ودواوين أشعارها وعاء لعدد ضخم منها. ومثال ذلك قول الشاعر سعد زُنْغَرُ:

زُوأبُــوا كــا إمــا بُــشَــرا　　　كَــجِى واقــاتَ تــنــصــرا

يَــنْ عُــوا دُكْ زاسُ ريــرا　　　دُونْ يــبــومٌّ غَمِــيــدَ شُــكْــرا

غَسَــــدَوكَى سُــجــا أَسْكــراوا

والمعنى:

أيها الصديق أصغ إلى إنشاد شعري

مباهيا بانتصار جوشنا

وسينشدها الإخوة (بعدي)

هدية ثنائهم وتقديم شكرهم الجزيل

للجيش الذي فاز بالنصر[١٨]

والكلمات التي تحتها خط لا تزال تحتفظ بأصولها العربية.

ومن الفلاتية قول السيدة أسماء بنت الشيخ عثمان بن فودي:

فالله تعــالى جُــومْ قُــدُرا	تــا حَـوْتَــنْ الله جَحـا سَقَـرا
أطـأَنْـدِ أغُـعْــتُ أُبــاوْدُ حِـدُو	كَــلَ جُـعْـدِ كَمـالَ أتِنْـدِ تَــرا
نُــفَ الله جُمُجْــر مَعــكُّ كِبــا	خَيرُوجِ دِ مَعــكُّ حِـدُودِ تَــرا
مُــيْ تَشَّــتَ غِـكَّحِــأ لله ولا	دَغَ مــنَ جَـهَـلاَ سَـيْ مَـنْ كَفـرا [٩١]

والمعنى:

اللهم أنت القادر، ومن أشرك بالله سيصلى سقرا

وأعلم بأن الله هو الواحد القادر على كل شيء المتصف بالكمال

تقرب إليه لتفوز فوزاً عظيماً وتنال خيراً كثيراً

وأنه لا يخيب الظن في الله إلا من جهل أو كفر [٢٠]

أما في اللغة اليوربوية فنمثّل بقول الشيخ بوصيري أبومو:

وكَـنَـهْ جَــوَعـظُ فمُــومِنــي	عُجــإرثُ فــو عُنـي تَـكَــبُرا
عَنِي تــو بَتَـلـكَ نِنُــو عيَنــي	حقَــا حَقِيــقَ عُتَــلَى سيــد الـورا
مَبِــوَ لَيَ رَي منــــاقشة	سَبَـشِرِ عــوا بُـدِلاخِــرا [١٢]

والمعنى:

إن هذا الشعر وعظ للمؤمن

وإنذار للمتكبر

ومن عمل بشيء منه

فإنه حقا قد اتبع سيد الورى

لا تناقشنا (يارب)

بل استرنا يوم الآخر[٢٢]

٣-الشكل العمودي:

نظر العرب في تركيب أوزان شعرهم إلى تركيب بيوتهم، ووضعوا الأولى على غرار الثانية.[٢٣] يقول حازم القرطاجني في منهاج البلغاء:

ولما قصدوا أن يجعلوا هيئات ترتيب الأقاويل الشعرية ونظام أوزانها متنزلاً في إدراك السمع منزلة وضع البيوت وترتيباتها في إدراك البصر، تأملوا البيوت فوجدوا لها كسوراً وأركاناً وأقطاراً وأعمدة وأسباباً وأوتاداً...، وجعلوا الوضع الذي يُبنى عليه منتهى الشطر وينقسم البيت عنده نصفين بمنزلة عمود البيت الموضوع وسطه.[٢٤]

افتُتن الشعراء النيجيريون بهذا الشكل فوضعوا أشعارهم العربية والمحلية على صورته، بحيث يصعب التفريق بين الشكلين، وجعلوا العمود الشعري جزءاً لا يتجزأ من مظاهر ثقافتهم، وإن لم تكن هناك علاقة بينه وبين تركيب بيوتهم،[٢٥] والأبيات التي نستشهد بها تكفي نموذجاً لهذه الظاهرة.

٤- الوزن والقافية

نظم شعراء هوسا وفلاتة على بحور الشعر العربي الستة عشر، واستخدموا القافية العربية بنوعيها المطلقة والمقيدة بحروفها وأسمائها،[٢٦] ومن الأسماء: Badawiliya، Bamadidiya، Basidiya، Bawafiriya لبحر الطويل، والمديد، والبسيط، والوافر.[٢٧] ومن شعرهم ما هو على سطرين، (Yar Tagwai)، وما على ثلاثة (Yar Uku)، وعلى أربعة (Yar Hudu) وعلى خمسة (Yar Biyar)، والتخميس.[٢٨]

أما شعراء يوربا فلم يقرضوا على البحور العربية لاستحالة قرض الشعر اليوربوي على البحر العربي، إذ طبيعة اللغتين من حيث الوقف متباينة، فعلى حين يقف العربي على السكون في مثل «قمْ وخذْ» فإن ذلك لا يرد في اليوربوية، (إلا في نطق بعض الحروف الأنفية المحدودة)، بل يجب فيها زيادة صائت في آخر الكلمة للتمكّن من الوقوف عليها. فاليوربوية مثلاً ينطق قُلْ= قُلِ، ولم يأكلْ = لمُ يَأَكُلِ،[٢٩] ومعنى ذلك أن التفاعيل تتكون في الشعر العربي من الحركات والسكنات (/ هـ)، أما في الشعر اليوربوي فتتكون من الحركات فحسب (/ /).[٣٠]

أما القافية، فإذا أخذنا بتعريف الأخفش والفراء وابن السراج لها (أي أنها آخر

كلمة في البيت، أو حرف الرويّ، أو كل ما يلزم الشاعر إعادته في سائر الأبيات)،[٣١] فإنهم يعرفونها ويطبقونها كما يطبقها إخوانهم من هوسا وفلاتة. ومما يلاحظ على قوافي شعراء يوربا أن حوالي خمسين في المائة من رويّ القصائد التي وصلتنا من حرف الراء، وأن الشعراء افتقروا إلى الكلمات ذات النهايات المتشابهة – وهي قليلة في لغة يوربا– فحملهم ذلك على تكرار لفظ واحد أكثر من خمس مرات في قافية قصيدة واحدة.[٣٢] ومما ورد من قصائدهم على روي الكاف قول الشيخ بدماصي أبجي:

مسلـــم عكـــر عبـــر مسلمـــات	**عفــت سدومي عيسى في سرومى**
عــَنِي عُـوُعُجابَـمِي تُجُكُـولـُكَى عَبَى	**عَيْــبَ نِيُبَــوَادا لَـهِى بَعبَـاكُــوا**
عُــوبَ تُوفِــواب يُــسي مُواكُنِــبَ	**عَنـِي عَجَــورَ بِنْــبَ عَوْسِيــبُ بكُــوا**
يُبــواتـــا يُسيجِــوَ يُســى بـِوَلـِرَى	**عِــوَ يُــوعُ تـاهُونــِبَ كاتُوكُــوا**[٣٣]

ومعناها:

أيها المسلمون ذكوراً وإناثاً

اسمعوا قولي، وعوا كلامي

أيّ مخلوق يعيش فوق الثرى

فإنه صائر تراباً بعد الممات

الله الذي أوجدنا في الدنيا يفنينا فيها

فمن جاء أجله نسمع بموته

يحيينا بعد أن يميتنا ثم يحاسبنا

على أي شيء فعلناه قبل الممات[٣٤]

٥-الاقتباس من القرآن والحديث ونقل معنى الشعر

كثر اقتباس الشعراء من آيات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ومعاني

الشعر. مثال الأول قول الشاعر الهوسوي معاذ حَطَيجا:

كَـــسَنِي دُكْ أَبِنْـــدَ مُتُـمْ يـــاي   كَـــنْسَـــا زَى هَوْ بـــابُ رُوَنْ وَنِى
إن خيـــــر زَى غَـــنِـى   إِنكُـــو شِـــيرى شِـــيرى زى غـــنى

المعنى:

واعلم أن المرء ينال جزاء عمله

ولا تزر وازرة وزر أخرى

ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره،

ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.[٣٥]

ومثال الثاني ما ورد في شعر الشيخ عثمان بن فودي في اللغة الفلاتية:

إِنْـدُعْ الله هَـنْـدُ لَـسْـدِ هَوْسـا   غَـمْ بُـرُو بِـيـطُـو اللهُ هَـنْـدُ دَوْسَ
إِنـدُعْ اللهُ هَـنْـدَ لَـسْـدِ هَـوْسَ   دِيـــنَ مُـمَـيرِتَـدَّ كُـفْـرُ لَـسَ

والمعنى:

فلندع الله يهدي أهل هوسا،

كما هدى أهل دوس بدعوة حبيب الله محمد (ص)

فلندع الله يهدي أهل هوسا

ويظهر الدين الإسلامي على ملة الكفر[٣٦]

ففي البيتين إشارة إلى قصة دعاء النبي (ص) لقبيلة دوس؛ لما أسلم أميرهم والتمس من النبي أن يدعو لقومه لعلهم يؤمنون برسالته صلى الله عليه وسلم، فأسلم القوم كلهم ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم لهم.[٣٧]

والشاعر اليوربوي الشيخ عيسى سارومي يقول:

عُي نِي دَمــلَـــوجُـو مُــي مَـنــآمِي　　　عُـوعُـو تِـيـعَـوْ سِـوَضى لا الله لُــوْيَى

ومعناه:

إني على يقين من يومي وأمسي

أما ما يصيبنا غداً فعلمه عند الله(٣٨)

مقتبساً من قول زهير:

وأعــلم عــلــم الـيوم والأمـس قبـلـه　　　ولـكـنني عـن علـم مـا في غـدٍ عَـمِي

تمثل النماذج المعروضة جانباً من الأدب النيجيري المكتوب باللغات المحلية، إما بالحروف العربية أو اللاتينية، ونتقل إلى الرواية والمسرحية المكتوبة باللغات المحلية.

ظهرت الرواية والمسرحية المكتوبة باللغات المحلية في وقت متأخر جداً، وذلك حين أنشأت الحكومة الشمالية مكتبة الأدب «LiteratureBureau» وكلفتها بجمع قصص خيالية تقرر في المدارس، فشارك الكُتّاب في مسابقة انتهت إلى اختيار خمس روايات قامت الحكومة بنشرها عام ١٩٣٣م، والروايات كلها بالهوسوية، وهي:

١-Ruwan Bagwaja «ماء الحياة» لأبي بكر إمام.

٢- Gandoki «متلهف» لبلّو كَغَرا.

٣-Idon Matambayi «عين السائل» لمحمد غوزو.

٤- Shehu Umar «الشيخ عمر» للرئيس أبوبكر تفاوا بليوا.

٥- Jiki Magayi «جِكِي مَغَيِ» لجون تافدا، والدكور إيْسْتْ. (٣٩)

وقد اقتبست الروايات – خاصة الأولى – كثيراً من الروايات العربية.(٤٠)

وفي عام ١٩٣٨ نشرت جمعية التبشير الكنسية رواية Ogboju Ode Ninu Igbo Irunmale «الصياد الجريء في غابة العفاريت» للروائي اليوربوي دي. أو. فَاغُنْوا.(٤١) وبعد هذا العام توالى ظهور الروايات والمسرحيات خاصة عند يوربا. هذا؛ وإذا كان تأثير

الإسلام والعربية واضحاً جلياً في الإنتاجات الأدبية في الشمال المسلم، فإنه يكاد يكون معدوماً في الإنتاجات الجنوبية، والسبب راجع إلى تمسّك الشمال بالتعليم الإسلامي ورفضه للتعليم الغربي في البداية، وأسبقية الجنوبيين إلى التعليم الغربي العلماني، مما أدى إلى تطبّع الأدب اليوربوي إلى اليوم بالطابع المسيحي. ومع ذلك فقد وجدنا لقصة ألف ليلة وليلة بعض التأثير في كتابات فاغنوا، أبرزه ما ورد في رواية «الصياد الجريء في غابة العفاريت» حيث نقرأ:

حدث ذات يوم أن خرج أبي للصيد، ولما تعب بعد طول التجوال جلس مستريحاً على بقية شجرة هامدة، ولم يجلس طويلاً عندما لاحظ أن الأرض أخذت تنشق ويخرج منها الدخان، الذي سرعان ما غطى الأجواء مما منعه من رؤية أي شيء، إذ أظلم في عينه كل شيء، وأثناء محاولته النجاة بدأ الدخان يتجمّع، وما بين طرفة عين تحوّل إلى رجل عملاق يحمل سيفاً ويقدم على أبي. ولّى هاربا فأوقفه الرجل وقال:...[٤٢]

يلاحظ أن هذه الفكرة مستوحاة من حكاية «الصياد والعفريت» في ألف ليلة وليلة. وهذا التأثير غير مباشر، لأن أكبر احتمال أن الكاتب استوحى الفكرة عن طريق الترجمة الإنجليزية لألف ليلة وليلة «The Arabian Nights» لا عن طريق الأصل العربي.[٤٣]

ثانياً- المكتوب بالإنجليزية

بدأ التعليم الإنجليزي في نيجيريا على أيدي المسيحيين والعبيد السود المحررين الذين رجعوا من فريتاون عاصمة سيراليون، وسرعان ما انتشر في جنوبي البلاد، في حين عارضه الشماليون معارضة شديدة خوفاً وغيرة على الإسلام وثقافته. ويذكر أن التعليم العربي قد ترسّخت أقدامه شمالاً وجنوباً قبل حلول المبشرين والمستعمرين بينهم بقرون عدة.

وفي العصر الحديث أظهر النيجيريون براعة وتفوقاً في اللغة الإنجليزية، ولمعت نجومهم في العالم قاطبة بفضل أعمال الروائي تْشِينُوا أَتْشَيـبَي، مؤلف أشهر رواية في أفريقيا Things Fall apart «الأشياء تتداعى»، وولي شوينكا، أول أفريقي ينال جائزة نوبل في الأدب، وأوْلا رَوْتِمِي، وغبرائيل أوكارا، وكريستوفر أوكيغو، وكلهم من أصل مسيحي. أما المسلمون فقد تأخروا في اللحاق بهذا الركب، وقد لمع بينهم: أبوبكر غِمْبا،

وأدمو كيوكا عثمان، ومريم علي علي، وموسى دَنْ كنو، وغيرهم.

أما الطائفة الأولى – وهم رواد الأدب الإنجليزي في نيجيريا – فهم خارج نطاق هذا البحث، إذ لم يتأثروا قليلاً أو كثيراً بالإسلام والأدب العربي. وأما الطائفة الثانية فهم مدار حديثنا. وهم كتاب مسلمون تثقفوا بالثقافة الإسلامية، أو – على الأقل – لهم خلفية إسلامية، معظمهم مدرسون في الجامعات والمعاهد العليا، وقد اكتسب بعضهم شهرة كبيرة، في حين ظل بعضهم مجهولين. وجدير بالذكر أن تأثير الإسلام والعربية في أعمال هؤلاء لم يُعطَ اهتماماً لائقاً به من الدراسة، مع أنه خليق بدراسة مستفيضة. وسنعرض عن طريق التلميح ثلاثة نماذج من إنتاجاتهم لنرى مدى تأثير الإسلام والعربية فيها.

النموذج الأول: The Word or the Sword «الكلمة أو السيف»

هو ديوان الشاعر الشاب محفوظ دِيمَيجِي، مدرس اللغة الإنجليزية بجامعة إلورن، أصدره عام ١٩٩٨م ضمن منشورات جمعية الطلبة المسلمين النيجيرية، فرع ولاية كوارا، وعدد صفحاته ١٢٠، ويشتمل على ٩١ قصيدة بين طويلة ومتوسطة وقصيرة، وهي مقسمة إلى تسعة عناوين هي: Restoration، Evolution، Conviction، Observation، Reformation، Revolution، Exploration، Distinction، Inspiration. وعنوان الكتاب نفسه مستوحى من بيت المتنبي الخالد:

السيف أصدق إنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

ونظرة عجلى في الديوان تكشف عن أفكار شاعر واعٍ متحمس للإسلام، اطلع على أمهات كتب العقيدة والفلسفة والتصوف الإسلامي وتأثر بها، كما استقى من نبع القرآن الصافي، والحديث النبوي الطاهر، وصاغ قصائده في لغة إنجليزية راقية، شهد بقدحها المعلّى المتخصصون في الإنجليزية. ويحتوي الديوان على المواضيع الآتية: توحيد الله وتقواه، والتمسّك بالإسلام وتعاليمه، والجهاد في سبيل الله، وصحوة المسلمين، والفلاسفة المسلمون، ونكبة المسلمين في فلسطين، وغيرها من المواضيع الإسلامية الحساسة. وكل صفحة بل وكل بيت في الديوان ناطق بإسلاميته، ولا أدل على ذلك من افتتاح الديوان بقول الشاعر:

Seeking refuge with you O Allah Ar-Rahim

Against As-shaitan، Ar-Rajim

We start our ship on this sea

With Your name، the Supreme Lord [44]

المعنى:

العياذ بك يا الله يا الرحمن

من الشيطان الرجيم

بدأنا إرساء سفينتنا على هذا البحر

باسمك، يا ربنا العلي.

صاغ الشاعر أفكاره بإنجليزية مطعّمة بألفاظ عربية مثل: Subhanallahi، Allah، tacala، Takbir، Sujud، Walcasr، Imam، Iman ... إلخ، بل تقرأ له أحياناً وتحسبك تقرأ ترجمة لمعاني آيٍ من القرآن الكريم، على نحو ما نجد في مثل قوله:

?Who is Allah

Allah is One without any companion

He is a Unit، He is not a union

Only He is without a rival

In His majesty

Free He is from all the trivial

Attributes to His unity

Ever existing

Ever lasting

No beginning to His being

And no end to His reign

The first and the last

The overt، the covert، the present، the pat

The future: He created everything

.But was uncreated by anything

The command of all

In the heavens and earth

Is with His “be” call

And “being” is automatically، the result 45

المعنى:

من هو الله؟

الله واحد لا شريك له

إنه فرد، ليس مشاركاً

هو الوحيد الذي لا منافس له في سلطانه

هو منزه من كل الرذائل والتفاهة

من صفات وحدانيته: الدائم الوجود، الخالد

لا بداية لوجوده

ولا نهاية لملكه

الأول والآخر

الظاهر والباطن، الحاضر، والماضي، والمستقبل

خلق كل شيء ولم يخلقه شيء

الآمر لكل شيء في السماوات والأرض

أمره «كن» فيكون الشيء، لا محالة.

أو تخالك تقرأ بعض الأدعية الإسلامية من كتاب «دلائل الخيرات» كما في قوله:

All thanks and glory be Yours

The Owner of my breath، the Cause

Of my life for your bounteous

.....

;Thank you Allah، the number of stars

;Thank you Allah، the number of sands

Thank you Allah، the number of leaves

Thank you Allah، the number of hairs

Thank you Allah، the number of every living being 46

المعنى:

الحمد والشكر كله لك

مالك حياتي وسبب وجودي

على نعمائك علي التي لا تُحصى

.....

حمداً لك يا الله عدد النجوم

حمداً لك يا الله عدد التراب

حمداً لك يا الله عدد الأوراق

حمداً لك يا الله عدد الشعرات

حمداً لك يا الله عدد كل شيء حي

النموذج الثاني: كتيّب بعنوانFood for Thought «غذاء الفكر»

وهو مجموعة من ثلاث وستين قصيدة للشاعر عبدالمؤمن أحمد ألاوِيَي Alawiye الزكوي، قرضها في تعليم الأخلاق، ويظهر أثر التصوف الإسلامي في مثل قصيدة Nature of man «طبيعة الإنسان»، حيث يقول:

You may not know what makes a man

Man is made up of body and soul

The latter is brought from the heaven

Because it is naturally spiritual

While the former is derived from the earth

In that it is merely material

If the soul is present in the body

The body is known as a man

If the soul is then missing

One is no more a man

Man does live on the earth

From where his body is derived 47

لعلك لا تدري ما يجعل الإنسان إنساناً

الإنسان يتكون من الجسد والروح

لقد أحضر الثاني من عالم الذرة

لأنه بالطبيعة شيء روحي

أما الأول فمأخوذ من الأرض

لأنه مجرد شيء مادي

إذا وجدت الروح في الجسد

فإنه يكون إنساناً

أما إذا غابت الروح

فإنه لم يعد إنساناً

والإنسان يعيش فوق الثرى

من حيث صنع جسده.

كما يظهر تأثره بالمدائح النبوية في الشعر العربي في قصيدة The paragon of virtures «المثل الأعلى»، يقول فيها:

Shed your tears my eyes

Down the land that housed

The corpse of the best creature

The servant and the messenger

Of Allah to the whole world

The model for all

The leader and commander

In speech and action

The caller to the path

That leads to paradise 48

يا عينيّ اسكبا الدموع

على الأرض التي تأوي

قبر خير مخلوق

عبد الله ورسوله

إلى العالم كافة

أسوة الأنام طراً

القائد الآمر

بالقول والعمل

الداعي إلى السبيل

الذي يقود إلى الجنة.

النموذج الثالث: مسرحية White rope in stained Hands «الحبل الأبيض في الأيدي الملطخة» للسيد سعيدو سليمان. تتألف من أربعة فصول، وتعالج المشكلات التعليمية والأزمات التربوية التي تواجه المسلمين في نيجيريا، فهي تصوّر العلم طاهراً نقياً تلطخه الأيديولوجيات الكاذبة والانحراف الخلقي الساري في المجتمع الإسلامي. وقد نشرها المعهد الدولي للفكر الإسلامي، مكتب نيجيريا، عام ٢٠٠٣م.

ومن خلال هذا العرض السريع لطائفة من الإنتاجات النيجيرية المنشورة بالإنجليزية نلاحظ ما يلي:

١ -أن الإسلام والأدب العربي لم يؤثّرا في أعمال الرواد الأوائل للأدب الإنجليزي في نيجيريا، وكلهم مسيحيون وأتباع الديانات المحلية.

٢ -أن الفريق الثاني الذين تأثروا بالإسلام والعربية طبقة مثقفة ثقافة إسلامية، أو لها على الأقل خلفية إسلامية قبل تثقفها بالثقافة الإنجليزية، وهم مسلمون.

٣ -أن الفريق الأول أكثر عدداً وأغزر عملاً وأكبر شهرة، إذ بينهم المسرحي العالمي وولى شوينكا الفائز بجائزة نوبل في الأدب عام ١٩٨٦، وقد تُرجم عدد من أعماله إلى العربية، وتشنوا أتشيَبى الذي كتب أشهر رواية أفريقية Things fall apart المترجمة إلى أكثر من ٢٠ لغة؛ من بينها العربية.

٤ -أن الحافز للفريق الثاني إما عامل ديني وبيئي كما نرى لدى أدباء الشمال المسلم، أو وازع ديني كما نرى لدى الشباب المسلمين الذين يمثّلون صحوة ووعياً جديدين في

حياة الإسلام في جنوب البلاد.

٥- أن هذا النمط من تأثير الإسلام والأدب العربي يعد اتجاهاً بكراً في الأدب النيجيري المكتوب بالإنجليزية، لكنه كما نرى أدب هادف ومقصود، ومن هذا المنطلق يستمد قوته.

ثالثاً: الأدب النيجيري المكتوب بالعربية:

وينقسم هذا إلى أربعة هي:

- المكتوب أساساً بالعربية شعراً ونثراً.
- المكتوب بالحروف العربية (العجمية).
- المترجم من اللغات المحلية إلى العربية.
- المترجم من الإنجليزية إلى العربية.

أ- المكتوب بالعربية:

هذا النوع أكثر أنماط الأدب النيجيري تأثراً بالإسلام والأدب العربي. فإذا رجعنا إلى تاريخ هذا الأدب نجده قد بدأ في القرن الرابع عشر الميلادي، أي بعد قرنين من دخول الإسلام البلاد إثر زيارة الوفود والأفراد من الونغريين والتمبكتيين لبعض ممالك الهاوسا مثل كنو وكتسنة، وعودة الحجيج ببعض الكتب والمصادر الأدبية. أما ما انتشر في البلاد قبل تلك الفترة فلا يمثل نيجيريا ولا يصور بيئتها، بل يصور الحياة والبيئة العربية. قام نفر من العلماء بدراسة ما وصلهم من الكتب دراسة وافية، فتذوّقوه وحاولوا محاكاته، ولكنهم لم يكونوا يدرسون الأدب مستقلاً بذاته، بل على أنه جزء من تلك الثقافة الدينية التي يهدفون إليها، وذلك لأن لسانهم ليس عربياً، ولكن تمسكهم بالدين كان يدفعهم إلى تعلّم العربية وإتقانها.[٤٩] وبحلول القرن التاسع عشر كان الأدب قد تطور تطوراً ملموساً، وقد صور لنا الأستاذ أحمد سعيد غلادنث حال الشعر والشعراء في هذا القرن قائلاً:

إن أكثر العلماء في نيجيريا لم يعرفوا في تلك الفترة عمر بن أبي ربيعة ولا الأخطل ولا جريراً ولا الفرزدق، ولم يسمعوا عن أبي تمام والبحتري والمتنبي، ولا عن أبي نواس

وأبي العتاهية وأمثالهم، ولكنهم قرأوا لامرئ القيس والنابغة وزهير وطرفة وأمثالهم من فطاحل الشعراء الجاهليين، كما عرفوا شيئاً عن كعب بن زهير وحسان بن ثابت، ويرجع السبب في ذلك إلى أن دواوين أولئك لم تصلهم، ودواوين هؤلاء وصلتهم... ولعل الذين جاوروا الأزهر من علماء نيجيريا ودرسوا فيه رأوا تغليب جانب العلوم الدينية واللغوية في دراساتهم على الجانب الأدبي، وإيثار مقامات الحريري والقصائد الجاهلية من بين النماذج الأدبية.(٥٠)

ومن أجود ما قيل في ذلك العصر الجيمية التي مدح بها علامة السودان عبدالله بن فودي شيخه جبريل، وشقيقه عثمان بن فودي، ومنها قوله:

عُجْ نحو أضواج الأحبة من مَجِ	**واشرب من الإنشاج ماء الزِّعْبِجِ**
قف عندها سل من بها فعسى تجب	**حوجاء أو لوجاء ترضى من شج**
وإذا مررت مرةً حيِّ حيَّهم	**وانشر عليهم لؤلؤاً وزبردج**
كم لي أخٍ بأبأته فيهم وكم	**خلماء لم أكُ بينهم بمزلّج**
ومدارس أضنى بحب شهودها	**فيها نجاح حوائج المتحوج**
وجحاجح علماء يحلب رفدهم	**كلٌّ كبحر في العطاء متموّج**
ولهم ككان ومبتدأ في جارهم	**عمل لغيرهم كلم أو في يج**(٥١)

وقد ازدهر في هذا العصر كذلك النثر التعليمي والنثر الديواني. أما النثر الفني فلم يعرفه علماء العصر.(٥٢) ولمّا حل القرن العشرون لم يتطور الأدب كثيراً عمّا كان عليه في القرون الماضية، وذلك لأن الكُتّاب والعلماء والأدباء لم يتأثروا في السنوات الأولى من القرن بالثقافات الغربية التي أدخلها الإنجليز المستعمرون، بل استمروا على طريقتهم التقليدية يكتبون كتباً دينية وعلمية شعراً ونثراً.(٥٣) وقد كان أثر هذا التقليد والمحاكاة واضحاً في الإنتاجات الأدبية في تلك الفترة، حتى قال بعض النقاد: «والشعر النيجيري العربي في معظمه، وخاصة في القرن التاسع عشر، ما هو إلا محاكاة للشعر العربي».(٥٤) وأضاف: «على أن الشعراء النيجيريين كانوا يقصدون إلى المحاكاة قصداً تشبهاً بالشعراء

الإسلاميين، فهم يريدون أن يتقمصوا روح كل ما يمت إلى الإسلام بصلة».[٥٥] وقد ظل الأدب في العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين يتمادى في الاتجاه التقليدي لأسباب حصرها الأستاذ غلادنث في الآتي:

أ- النفوذ الذي كان يتمتع به أصحاب الاتجاه التقليدي من العلماء، ومن والاهم من سواد الشعب.

ب- عدم وصول ريح النهضة الأدبية إلى نيجيريا في وقت مبكر، تلك النهضة التي بدأت تظهر في مصر على يد البارودي، وقد نتج ذلك عن الحواجز التي خلقها الاستعمار بعد دخوله بين نيجيريا والبلاد العربية.

ج- أن اللغة العربية لم يتح لها فرصة الخوض؛ لا في الميادين الثقافية العامة ولا في المعارك السياسية التي قامت على قدم وساق فيما بعد.

د- عدم وجود الدوافع المادية للإنتاج الأدبي العربي من ناحية، ووجود عراقيل كثيرة تقف أمام من يشتغل بالعربية من ناحية أخرى. فهذه الأسباب جعلت الكُتّاب من أصحاب الثقافتين يلجؤون إلى اللغة الإنجليزية أو اللغات المحلية لبث أفكارهم السياسية، أو الاجتماعية، أو الدينية.[٥٦]

على كل حال تغيرت الحال في الثلاثينات، وجدّ جديد الأدب بفضل مدرسة الشريعة الكبرى التي افتتحت بمدينة كنو عام ١٩٣٤م، وتحولت فيما بعد إلى مدرسة العلوم العربية، وخرّجت عدداً كبيراً من شباب المسلمين شعراء وخطباء وكتاباً. ومن أسباب التجديد - إضافة إلى إنشاء المدرسة - ما يلي:

أ- وجود كتب عربية أدبية حديثة في المكتبات العامة والخاصة.

ب- رجوع وفود من البعثات العلمية للدراسات الجامعية في اللغة العربية والدراسات الإسلامية من البلاد العربية أو غيرها، وعاد هؤلاء المبعوثون بأفكار جديدة وثقافة واسعة بعد أن قضوا فترة تقل أو تكثر، حسب تخصصهم ومستواهم، وانضم أكثرهم إلى هيئة التدريس.

ج- إعادة فتح المواصلات بين نيجيريا والبلاد العربية، وخاصة بينها وبين مصر والسودان والحجاز.[٥٧]

واستمرت طلائع النهضة الأدبية الحديثة في الأربعينات على أيدي العلماء الشباب

أمثال الشيخ جنيد الوزير بن محمد البخاري (وزير صكتو)، والشيخ آدم عبدالله الإلوري، والشيخ أبوبكر محمود غومي، والشيخ عمر إبراهيم القاضي الزكزكي، والشيخ صالح إبراهيم البرنوي، وغيرهم من الكُتّاب والشعراء والخطباء. لقد اطلع هؤلاء على الجديد في الأدب العربي، واتصل كثير منهم بالثقافة الغربية، ونظموا أشعاراً تضاهي أشعار العباسيين قوة وروعة في شتى الأغراض، كما وصفوا المخترعات العلمية الحديثة، وأنشأوا نثراً فنياً جيداً. كان لجنيد الوزير ديوان حافل بأعاجيب الشعر، وديوان «حديقة الأزهار» لعمر إبراهيم مفعم بروائع الشعر وبدائعه، وكان آدم الإلوري يرتجل خطبه بالعربية الفصحى بمسجد مركزه بأغيغى.

نماذج من الأدب النيجيري المعاصر:

أ- وصف الطائرة لجنيد الوزير:

خرجنا بعون الله غلس إلى الـ	مطار وكنا كالطيور البواكر
فطارت بنا من يَرُو ولآجة الهوا	وتملأه من صوتها بالزواجر
مجوّفة فيها كراسيّ صُفّفت	مليّنة بالخيش برّاً لزائر
ونفعل فيها كل شيء نريده	كأكل سوى تدخيننا بالسجائر
نزلنا جنينة للغداء وبعد ذا	ك طرنا ولم ننزل سوى عند فاشر
فعدنا إليها ثم طرنا وشرّقت	وقد بعدت عنا أراضي النياجر
إلى أن أنخناها وفازت يد النوى	بخرطوم فانجابت هموم المسافر
وعند غروب الشمس تم نزولنا	فأقبل ليل مسدل بالدياجر
فلاحت لآلي الكهرباء كأنها	نجوم بدت أو كالبدور السوافر[٥٨]

ب -عمر إبراهيم يصف التلسكوب:

عين تقرّب عمق الكون للرائي	من دون دونك فيه عين زرقاء
كشفت عنا غطاء إن أعيننا	حديدة اليوم تتلو طيّ زرقاء
هذى النبولاتُ لولا العلم أتحفنا	جبار ميقك تدني القاصي النائي
لاعتلت أن ترى بالعين مفردة	عن درس ما بان من أجرام جرباء
لولا التلسكوب كُلَّ الناسُ قاطبة	ك طرنا ولم ننزل سوى عند فاشر
أو كيف تعلم وزن الشمس أو زحل	أو كيف نعلم جزماً بُعد زهراء(٥٩)

ج- من خطب الشيخ آدم عبدالله الإلوري:

... وكلما كشف العلم سراً من أسرار الكون؛ وجد المؤمن فيه للإيمان بالله نصيراً وظهيراً، ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً... إن التقاط الإشارات والأصوات بواسطة اللاسلكية قرّب للناس فهم الوحي والنبوة إلى الأنبياء... وإن جهاز التليفون والتلفزيون أوضحا معنى الكشف الغيبي الذي كان يحصل للأولياء الكبار، وإن وصول الإنسان إلى سطح القمر فسّر للناس صعود بعض الأنبياء إلى السموات، وبيّن إمكان عروج النبي إلى ما فوق السماوات، وإن تسجيل الأصوات والحركات في الشريط وإعادتها إلى صاحبها بلا نقص ولا زيادة أوضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾.(٦٠)

من وجوه تأثير الأدب العربي الحديث في «حديقة الأزهار»:

لعل الشاعر عمر إبراهيم (١٩٢٢ - ١٩٩٧م) من أكثر الأدباء المعاصرين تأثراً بالأدب الغربي والأدب العربي الحديث.

أولاً: لقد افتتح الديوان باقتباسات من ديوان العقاد، وشعر حافظ إبراهيم، كقول العقاد:

إني ألـوذ بشـعـري حـين يطـرقـنـي — مـن الطـوارق نـــزّال وضـيفـــان

والشعـر مـن نَفَـسِ الـرحمـن مقتبس — والشـاعر الفـرد بيـن النـاس رحمـن

كـأن مــن صـور إسـرافيـل دعوتـه — لـو يسمح الصور يوم البحث صفـوان

يظـل ينـطف مـن مـاء الحـياة نـدى — على الجمـاد فيـزكـو فيـه ريعـان

فما يــزال لــراويـــه وقـائـلـه — مـن الخـلائق سمّـار وخـلصـان

وثانياً: إن الديوان حافل بكثير من المواضيع الحديثة التي طرقها الشعراء العرب في دواوينهم. فعلى سبيل المثال: رثى الشاعر برنارد شو على غرار رثاء العقاد له، ومدح شكسبير الذي قد مدحه كل من حافظ وشوقي والعقاد، وكذلك مدح الشيخ محمد عبده اقتداء بهؤلاء الشعراء.(٦١) ويضاف إلى السابق أن وصف عمر لمدينة كنو يذكّر بوصف أحمد شوقي للقاهرة وباريس وطوكيو، وأن العقاد قد سبق عمر إلى وصف السينماتوغراف والسيل والديموقراطية.(٦٢) وعلاوة على ذلك يتوفر في الديوان الاستعمال اللغوي، والصورة الخيالية، والأسلوب والأفكار المستوحاة من المخترعات الحديثة، والأدب الأوروبي والكلاسيكي.(٦٣) وعلى أنقاض أعلام النهضة المذكورين ظهر جيل من الشعراء والكُتّاب تناول شعرهم ونثرهم قضايا الساعة الوطنية والعالمية، وطرقوا أبواباً أدبية جديدة مثل: السباعيات، والمسرحية الشعرية، وأدب الرحلة، والسيرة الذاتية، والرواية، والمسرحية. ومن المسرحية الشعرية ما ورد في المنظر الثالث من مسرحية «تحت الظل الممدود» لإبراهيم سعيد الغمبري الإلوري، ونصه:

«الملك في البلاط مع وزيره يتحدثان»

الملك:

وزيـري ابـنـتـي جــاءت إليـــّا — وتـطـلـب – لا مـــرا – حـراً قويـا

وتطـلـب مـن يـكـون لهـا أنيس — يشـاطـرهـا الهـمـوم لهـا حـفـيّا

فــقـم وابحـث مـن الأحيـاء مـوسى — وحــاذر غـافـــلاً أو ســامريـــّا

الوزير:

سآتي بالحكيم بإذن ربّي	**كلقمانَ الحكيم فعش رضيّا**
ويحفظها ويرحمها ويسعى	**ليصلحها يكون أخاً تقيّا**

الملك؛ واقفاً بعد انصراف الوزير:

إلهي لا تخيبني رجائي	**دعوت كما دعاك المتقونا[٦٤]**

القصة والرواية والمسرحية

تأخر ظهور الثلاثة لظروف تماثل ظروف تأخرها عند العرب، وقد حصرها بعضهم في الآتي:

أ- عدم توفر كتب القصة والرواية والمسرحية العربية في أسواق نيجيريا.

ب- القصص القليلة التي وصلت الناس هجرها العلماء الذين هم الأدباء لشدة تأثرها بالحضارة الغربية.[٦٥]

ج -اهتمام المدارس العربية الأهلية بالأدب العربي القديم شعراً ونثراً، وعدم اكتراثها بالأدب الحديث، وقد أثر ذلك في الذوق والتوجيه الأدبيين لدى الطلبة؛ الذين يفضلون الشعر العربي الجاهلي والأموي مثلاً على الشعر الحديث، وكذلك الحال مع النثر العربي بأنواعه.[٦٦] وقد نادى الأستاذ مرتضى بدماصي باستخدام الأنواع الأدبية لأداء الرسالة الدينية والوطنية.[٦٧] أما ظهور القصة فكان على يد الأستاذ زكرياء حسين، الذي نشر عام ١٩٨٤م في مجلة نتائس[٦٨] قصة بعنوان: «في سوق سابُنْ غري»، وقفّاها بكتّيب «قصص خط الاستواء» التي تتضمن إحدى وعشرين قصة شعبية قصيرة. ولم تظهر إلى اليوم – فيما نعلم – قصة فنية أخرى. وللأستاذ زكرياء أوّلية أخرى في ظهور المسرحية المكتوبة بالعربية، حين أصدر «العميد المبجل» عام ١٩٩٤م، ووليه الإمام مسعود عبدالغني بـ«أستاذ رغم أنفه» عام ٢٠٠١م، فالسيد عبدالغني ألبي الذي أصدر «قد غارت النجوم» عام ٢٠٠٥م، وشارك السيد أحمد سعيد الرفاعي بـ«العجيب والنجيب» عام ٢٠٠٥م. وأما الرواية فقد ظهرت على يد السيد ثالث مَي أَنْغُوا دُرُمِنْ إيا

الذي كتب «لماذا يكرهوننا؟» عام ٢٠٠٣م، ولم تصدر بعدها – على مدى علمنا – رواية أخرى. ومن مظاهر النهضة الأدبية تجديد ظهور أدب الرحلة الذي وضع الشيخ جنيد الوزير لبنته بتسجيل أسفاره العديدة إلى بلاد العرب، وتبعه نجله الأستاذ ثمبو والي بـ«نزهة المغترب من قرى المغرب» ٢٠٠٣م، وأصدر السيد مرتضى الحقيقي «السنة» عام ٢٠٠٦م، وعبدالقادر العسلي «الرحلة» عام ٢٠٠٩م، والدكتور مشهود محمود جمبا «من إلورن إلى تمبكتو» في العام نفسه. ومن مظاهرها كذلك ظهور فن السيرة الذاتية بإصدار الأستاذ محمد أول أبوبكر رائعته «مذكرات إمام وخطيب في مناخ جامعي» عام ١٩٩٨م، وأصدر السيد آدم عبدالرحمن الفلاني الجزء الأول من سيرته الذاتية «على الطريق» على غرار أيام طه حسين، وكله أدب رفيع المستوى. وخلاصة القول أن الأدب النيجيري المكتوب باللغة العربية أدب يصور الحياة والبيئة النيجيرية في شتى جوانبها، وقد أسهم فيه الشعر بنصيب أوفر بجميع أغراضه الموروثة والمستحدثة، واشترك فيه النثر بأنواعه القديمة مثل الخطابة والكتابة، والجديدة مثل القصة، والرواية، والمسرحية، والسيرة الذاتية. وهذا النمط أقدم أنماط الأدب النيجيري المكتوب، وهو لا يزال في تطور مستمر، وأثر الإسلام والأدب العربي فيه واضح وضوح الشمس في رابعة النهار.

ب-المكتوب بالحروف العربية:

وهو عبارة عن الأشعار والأغاني الشعبية العديدة المقيدة باللغات المحلية؛ لكن بالحروف العربية. وقد عالجناه تحت «المكتوب باللغات المحلية».

ج-المترجم من اللغات المحلية إلى العربية والعكس

بدأت حركة ترجمة الأعمال العربية إلى اللغات المحلية في أوائل القرن العشرين، حين تُرجمت «ألف ليلة وليلة» إلى الهوسوية بعنوان Dare Dudu da Daya عام ١٩٢٤م، ووُضعت روايتا Magana Jarece و Ruwan Bagwaja اللتان اقتبستا كذلك من ألف ليلة وليلة. ولاشك أن القصة العربية – نظراً إلى هذا الجانب – قد أثْرت الأدب المحلي، على النحو الذي أشرنا إليه سابقاً. وفي اتجاه معاكس بدأ نقل الأعمال المحلية إلى العربية بما قام به الأستاذ عبدالرحيم السيد منسي، الذي نقل بعض القصص الشعبية اليوربوية إلى العربية في كتابه «نيجيريا: ثقافتها وقصصها الشعبية». وفي عام ١٩٧٥م ترجم الأستاذ إسحاق أوغنبي إلى العربية مجموعة من الحكايات على لسان الحيوان،

سماها «القصص الشعبية عن السلحفاة عند اليورباويين (سكان غرب نيجيريا)». لقد ذاع صيت هذا الأخير حتى تقرر استعماله في امتحانات إفريقيا الغربية (الثانوية العامة) WAEC مكان كليلة ودمنة. ويذهب الأستاذ أبوبكر ديريمي إلى أن الأستاذ أوغنبي – وإن كان مسيحياً – قد استوحى بعض الأفكار الإسلامية والعربية في عمله المذكور، مثل استعمال كلمتي «القاضي وبنى آدم»، إذ الخصمان في المجتمع اليوربوي التقليدي لا يحتكمان إلى القاضي، بل إلى الملك أو القيل، وأودُدُوا Oduduwa (وليس آدم) هو أبو البشر في المعتقدات اليوربوية.(٦٩)

ومن تأثير الإسلام في العمل أيضاً استخدام العبارات الإسلامية مثل: «بسم الله الرحمن الرحيم»، و»والله تالله»، و»أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». ولا يخفى أن للعامل البيئي دوراً كبيراً في هذا التأثير، إذ المجتمع المسلم الذي يُقصد به هذا العمل يرى أن العربية حكر على الإسلام والمسلمين، ويجب أن تتطبّع بالطابع الإسلامي، وإلا فإنها لا تلقى رواجاً لديهم. ولكن لا يبدو أن هناك تأثيراً كبيراً للأدب العربي في هذه الترجمات سوى أن لغة النقل هي العربية، بل لعل أكبر تأثير له – حسب رأي الأستاذ ديريمي – أن حكايات كليلة ودمنة نبهت الكتاب النيجيريين إلى أن لهم في أدبهم حكايات مماثلة يمكن نقلها إلى العربية ففعلوا.(٧٠) ولفترة طويلة تجمدت حركة الترجمة حتى عام ١٩٩٢م، حين نشر الأستاذ أحمد عبدالسلام «قصب المخيّم»، وهي ترجمة لثانية روايات دي. أو. فاغُنْوَ «Ireke Onibudo»، وتبعه مشهود محمود جمبا بترجمة أولى روايات فاغنو Ogboju Ode Ninu Igbo Irunmale بعنوان «الصياد الجريء في غابة العفاريت» عام ٢٠٠٢، وكان قد قدمها إلى جامعة إلورن للحصول على الماجستير عام ١٩٩٥م، وقدم السيد عبدالسلام عبدالكريم جمبا ترجمة Iyawo Alarede لصنداي أيْشَو Oluborode بعنوان «زوجتي في السراء والضراء» للحصول على الماجستير في اللغة العربية بجامعة إلورن عام ٢٠٠٨م. وهناك نشاط مماثل في جامعات إبادن، وأحمد بلّو، وولاية ليغوس، وولاية كوغي، لنقل الروايات المحلية إلى العربية.

د -المترجم من الإنجليزية إلى العربية والعكس

هناك محاولات كثيرة لترجمة الأعمال الأدبية من العربية إلى الإنجليزية، كترجمة الأستاذ أوغنبي لكليلة ودمنة إلى الإنجليزية،(٧١) بيد أن معظمها مخطوطة في الجامعات؛

لم تر نور الطباعة بعد. أما حركة نقل الأدب النيجيري المكتوب بالإنجليزية فقد بدأت في بلاد العرب، وفي مصر على وجه التحديد. فقد رأينا ترجمة الدكتورة أنجل بطرق سمعان لرواية أتشيبي Things Fall Apart بعنوان «الأشياء تتداعى»، ثم ترجمة محمد جلال عباس لرواية وولى شوينكا The Interpreters بعنوان «المفسرون»، وترجمة الدكتور علي الحجاج لمسرحية شوينكا «Death and the king's Horseman» تحت عنوان «الموت وفارس الملك»، وغير ذلك من الترجمات التي لم يقف عليها هذا الكاتب. وللدكتور علي شلش اهتمام خاص وسعي مشكور في هذا الصدد. وجدير بالذكر أن هذه الترجمات تُنشر وتُستهلك في العالم العربي لا غير، من دون اعتبار الجم الغفير من المتكلمين بالعربية في نيجيريا، اللهم إلا من ساقه منهم الحظ السعيد إلى بلاد العرب قبل نفاد النسخ في السوق. وعلى الصعيد الوطني؛ فأول محاولة – فيما أعلم – ترجمة الدكتور أولالَيْرَى أدِغُنْ (ت ١٩٩٨م) لرواية سِيْبِرِيانْ أيكوَنْسِي African Night Entertainment تحت عنوان «ليلة سمر إفريقية» عام ١٩٩٤م، ثم الدكتور مسعود راجي بترجمة The Burring Grass لأيكونسي كذلك إلى «أعشاب ملتهبة» ١٩٩٧م، فالدكتور مشهود محمود جمبا بترجمة مسرحيتي The Trials of Brother Jero و Jero's Metamorphosis لوولى شوينكا تحت عنوان «محن الأخ جيرو» و»تطور جيرو» ٢٠٠٧م، وهما تحت الطبع. ليس هناك تأثير مباشر للإسلام أو الأدب العربي في هذه الترجمات، إذ هي نقل لأفكار كُتّاب غير مسلمين، والأمانة العلمية تقتضي أداءها كما وردت في الأصل. لكن الدوافع إلى هذه الأعمال تتضمن إبراز ما للعربية من خصائص بلاغية، ودلالات التراكيب، ومرونة لغوية، وثراء في المفردات، مما يسعفنا على نقل الآداب العالمية، وتوسيع قنوات الاتصال بينها، وتعانق الحضارات، ومواكبة التطورات العصرية.

الخاتمة:

في الختام نقول بأن هذا غيض من فيض فيما يتعلق بتأثير الإسلام والعربية في أدب قوم هم أكثر شعوب إفريقيا عدداً. فقد رأينا نشأة الأدب العربي وتطوره في البلاد، وتأثير الإسلام والعربية فيه، ورأينا الأدب المحلي المدوّن بالحرف العربي، والمدون بالحرف اللاتيني الذي يقل فيه التأثير، وأخيراً رأينا صحوة دينية تلوح في الإنتاجات الإنجليزية

لدى الشباب المسلمين شمالاً وجنوباً. وإضافة إلى هذا؛ هناك إنتاجات ضخمة من الأدب الشفاهي للإسلام والعربية فيها تأثير أي تأثير! لكنه خارج عن نطاق هذا البحث لأنه غير مدوّن. وحين ندعو إلى تكثيف الجهود من قبل النيجيريين في حقل الأدب المكتوب بالعربية، ننبه الأدباء المسلمين في حقل الأدب الإنجليزي إلى أن اللغة ما هي إلا أداة لنقل الفكرة من أي نوع، فإذا استخدم الأديب لغة فلا يدفعه ذلك - بالضرورة - إلى تضييع هويته أو الاستهانة بعقيدته. كما ننادي إخواننا العرب إلى خلق جوّ ملائم لازدهار العربية لغة وأدباً، خاصة في إفريقيا الغربية حيث لا تزال لغةً مقدسة، فعليهم فتح قنوات الاتصالات واسعةً بينهم وبين أدباء المنطقة، عبر الندوات والمؤتمرات، وتبادل الزيارات، كما هو الحال في العالم الغربي. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش والمراجع:

١. كانت نيجيريا عبارة عن ممالك وولايات متفرقة في الشمال والجنوب حتى عام١٩٠٠م، حين أنشأ الاستعمار الإنجليزي المحمية الشمالية والمحمية الجنوبية، وظلت كذلك حتى عام ١٩١٤م حين وحّدهما كدولة واحدة تحت اسم «نيجيريا».

٢. ما بين القوسين إضافة من عندي.

3. H. I. AbdulRaheem: “Nigerian Literature in Arabic: Concept and Preliminary
Account of the content in Anyigba Journal of Arts & Humanities، Vol.4، 2005
– 2007، of Arts، Kogi State University، Anyigba، Nigeria، p.10.

٤. الدكتور مسعود راجي: «تجدد الأدب العربي في نيجيريا: الأدب النيجيري في اللغة العربية»، مجلة دراسات عربية وإسلامية، إصدار قسم الدراسات الدينية، جامعة جوس - نيجيريا، المجلد ٢: العدد ٢ و٣، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص:٥٣.

٥. جمال التلاوي: «الأدب العربي النيجيري ١٨٠٥ - ١٩٨٠»، مجلة القاهرة، العدد ٧١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٧٥.

٦. من أشهر الكتب التي تناولت تاريخ الأدب العربي في نيجيريا، كتبه الدكتور شيخو أحمد سعيد غلادنث، وطبع في القاهرة عام ١٩٨٢م، وقد استخدم الكاتب

المصطلح في أماكن عدة فيه.

٧. قدمه للحصول على الماجستير في جامعة بايرو بكنو عام ١٩٨٢م.

٨. رسالة الدكتوراه التي قدمها إلى جامعة إلورن عام ١٩٩٢.

٩. رسالة الدكتوراه التي قدمها إلى جامعة إلورن عام ١٩٩٨.

١٠. رسالة الدكتوراه التي قدمها إلى جامعة إلورن عام٢٠٠٦.

١١. الدكتور مسعود راجي «تجدد الأدب العربي...»، المقالة المشار إليها سابقاً، ص ٥٠.

١٢. المرجع نفسه، ص ٥٢.

١٣. المرجع نفسه، ص ٥٩.

14. H. I. AbdulRaheem: "Nigerian Literature in Arabic..." op. cit. p.10

15. Ibid p.11

١٦. للشيخ سلمان أَكَي الإلوري، الملقب «مفتي الدين» من تلاميذ الشيخ تاج الأدب الإلوري، تُوفي عام ١٩٧٥.

17. Harun Al-Rashid Yusuf: Hamza Caji Da Wakokinsa، Kano، Nigeria، Hudhudu publishers، 1979، p.18

١٨. ناصر أحمد صكتو وثالث عبدالكريم: «أثر اللغة العربية في شعر قبيلتي الهوسا والفلان» في: الأدب الإسلامي في نيجيريا: ماضيه وحاضره، إصدار كلية الدراسات العربية والشريعة الإسلامية، إلورن – نيجيريا، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص ٢٠٧. والقصيدة باللغة الهوسوية من مجزوء الخفيف عربها الباحثان.

19. Jean Boyd، & Beverly B. Mack: The Collected works of Nana Asmau Daughter of Dan Fodiyo (1793 – 1864) Ibadan، Nigeria، Sam Bookman publishers، 1999، P.324.

٢٠. ناصر أحمد صكتو وثالث عبدالكريم: المرجع السابق، ص ٢٠٦.

٢١. من علماء إلورن في أوائل القرن العشرين، والقصيدة مخطوطة.

٢٢. الدكتور مشهود جمبا: أثر الشعر العربي الإسلامي في القصائد اليوربوية المكتوبة بالرموز العربية، مخطوطة.

٢٣. الدكتور السعيد السيد عبادة: نصوص من نقد أبي العلاء، القاهرة، مطبعة الحسين الإسلامية، ١٩٧٧، ص ١٦٦.
٢٤. المرجع نفسه، ص ١٦٧.
٢٥. الدكتور مشهود محمود جمبا: أثر الشعر العربي الإسلامي ...، ص ٩.
٢٦. ناصر أحمد صكتو وثالث عبدالكريم: المرجع السابق، ص ٢١٠.
27. Hajiya Ramatu Ahmad: "The Impact of Arabic poetry on Hausa Literature verse" في مجلة اللسان، إصدار جمعية مدرسي اللغة العربية في كليات التربية والمعاهد المماثلة بنيجيريا (NATACEDAI) العدد الخامس، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص ٣٠.
٢٨. المرجع نفسه، ص ٣١.
٢٩. الدكتور مشهود محمود جمبا: «نظرية التطور وثنائية أصول ألفاظ اللغة: دراسة مقارنة بين العربية واليوربوية»، في: مجلة أينغبا للدراسات العربية والإسلامية، جامعة ولاية كوغي – نيجيريا، العدد الثاني، ٢٠٠٥م/ ١٤٢٦هـ، ص ٨٢.
٣٠. الدكتور مشهود محمود جمبا: أثر الشعر العربي ... السابق، ص ١٩.
٣١. الشيخ أبوبكر بن سراج الشنتريني: كتاب الكافي في علم القوافي، (تحقيق د. علاء محمد رأفت)، القاهرة، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، ٢٠٠٣م، ص ٣٢.
٣٢. د. مشهود محمود جمبا: أثر الشعر العربي الإسلامي...، ص ١٠.
٣٣. من علماء مدينة إلورن، قصائده أقدم مخطوطة عثر عليها في اللغة اليوربوية (في مكتبتي نسخ منها) توفي الشيخ عام ١٨٩٥م.
٣٤. مشهود محمود جمبا: واكا إلورن: فن أدبي إسلامي شعبي، إلورن، دار توفيق الله للنشر، ١٩٩٧م، ص ٢٠.
٣٥. ناصر أحمد صكتو وثالث عبدالكريم: «أثر اللغة العربية ...»، ص ٢٠٨.
٣٦. المرجع نفسه، ص ٢٠٤.
٣٧. المرجع نفسه، ص ٢٠٩.
٣٨. الدكتور مشهود جمبا: أثر الشعر العربي الإسلامي ...، ص ١٧.
٣٩. عبدالغني أديبايو ألبي: القصة والمسرحية: تاريخ وأصول، جوس – نيجيريا، مطبعة وَعِسْ، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م/ ١٤٢٤هـ، ص ١٠٧.

٤٠. الدكتور شيخو أحمد سعيد غلادنث: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، القاهرة، المكتبة الإفريقية، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ١٤٥ بتصرف.
٤١. الدكتور مشهود محمود جمبا: الصياد الجريء في غابة العفاريت (ترجمة)، إلورن، مطبعة ألبي، ٢٠٠٢م.
٤٢. المرجع نفسه، ص ٣٧.
٤٣. المرجع نفسه، ص ٩.
44. Mahfouz A. Adedimeji: The Word or the Sward? Ilorin، Muslim Students Society of Nigeria (Kwara State Area Unit) 1998، p.2.
45. Ibid. p. 8
46. Ibid. p. 11
47. Abdul Mumin A. Alawiye: Food for Thought، Ibadan، Real Success Consult،2008، p.1.
48. Ibid. p.8
٤٩. الدكتور شيخو أحمد سعيد غلادنث: حركة اللغة العربية ...، ص ١٠١، بتصرف يسير.
٥٠. المرجع نفسه، ص ١٠٣.
51. M. Hisket: Tazyin Al-Waraqat by Abdullahi Ibn Muhammad، Ibadan، University press، 1963، p.32
٥٢. الدكتور شيخو أحمد سعيد غلادنث: حركة اللغة العربية ...، ص ١٣٠.
٥٣. نفسه، ص ١٤٣، بتصرف.
٥٤. الدكتور كمال بدري: «الشعر العربي في نيجيريا في القرن التاسع عشروالعشرين» في: دراسات عربية، قسم اللغة العربية ، جامعة بايرو بكنو، العدد الرابع، ١٩٧٨م/ ١٩٧٩م، ص ٤.
٥٥. المرجع نفسه، ص ٨.
٥٦. الدكتور غلادنث، المرجع السابق، ص ١٤٤.
٥٧. المرجع نفسه، ص ١٤٧.

٥٨. الشيخ جنيد الوزير بن محمد البخاري: إتحاف الحاضر بمرائي المسافر، مخطوطة، وفي مكتبتي نسخة منها، ص٢٣.

٥٩. عمر إبراهيم: حديقة الأزهار، الرباط- المغرب، مطابع المعارف الجديدة،١٩٩٧م، ص٣٧.

٦٠. صديق فاروق أبو الرضا: مختارات من توجيهات المنبر،القاهرة، مطبعة المعرفة،١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص١٣.

61. M. G. A. Raji: " cUmar Ibrahim's Hadiqatu l_Azhar، Precursor of Modern Arabic Poetry in Nigeria" in Research Bulletin، Vol.20، Zaria، Ahmadu Bello University،1992-94، p.94.

62. Ibid، p. 94.

63. Ibid، p.94.

64. إبراهيم سعيد أحمد الغمبري: تحت الظل الممدود (مسرحية شعرية)، إلورن، kewudamilola press، 2008م ص٢٣-٢٤.

٦٥. آدم أ. عثمان كوبي بوتشي: مستقبل الأدب العربي في نيجيريا، مجلة نتائس، تنشرها منظمة معلمي الدراسات العربية والإسلامية بنيجيريا، المجلد ٦، العدد١، ٢٠٠١م،ص١٣٠.

٦٦. مشهود محمود جمبا: مدخل إلى فن الرواية (مذكرة)، إلورن، كلية الدراسات العربية والشريعة الإسلامية، ١٩٩٧م، ص٥.

67. الدكتور بدماصي مرتضى: مستقبل اللغة العربية في نيجيريا، Lagos، Nigeria، Islamic Publications Bureau، 1417هـ/ ١٩٩٦م، ص ٥٦.

٦٨. نشرت القصة في مجلة نتائس عامي ١٩٨٤م و١٩٨٧م.

69. R.D. Abubakre: " The Impact of Kalilah Wa Dimnah on a Translation of Yoruba Folklores into Arabic" in Al-Fikr، Ibadan، Vol.1، No 1، 1980، p.24.

٧٠. المرجع نفسه، ص٢٦.

71. Razaq D. Abubakre; The Interplay of Arabic and Yoruba Cultures in South -Western Nigeria، Iwo، Darul-Ilm Publications، p.255

جهود العلماء في ترسيخ اللغة العربية في نيجيريا: الشيخ آدم عبدالله الإلوري نموذجاً

البروفيسور بدماصي لنرى يوسف

أستاذ الدراسات الإسلامية بقسم الأديان، كلية الآداب جامعة إلورن - نيجيريا

مقدمة:

اكتسبت اللغة العربية البقاء والحيوية بالقرآن الكريم؛ الذي يعتبر كتاب العربية الأكبر.[١] قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٢] (سورة الزخرف: الآية: ٣)، لذلك نرى الإسلام ولغة القرآن يسيران جنباً إلى جنب في البلاد المفتوحة، لاسيما في قارة إفريقيا[٣]. فكلما اعتنق الرجل أو المرأة الإسلام كان أول ما يفكر فيه معرفة اللغة العربية؛ وذلك لحفظ القرآن أو شيء منه للقراءة في الصلوات المفروضة، وللتلاوة لنيل الأجر، ولأداء مناسك الحج،[٤] على حد قول الإلوري: «وهي لغة القرآن الذي يقدّسه أهل هذا الدين ويتعبدون به بتلاوته، فالقرآن عماد هذا الدين ومنبعه الغزير ومعينه الفياض، ومعرفة العربية وسيلة إلى القرآن».[٥] حيث تنتشر فيها اللغة العربية سرعة انتشار الإسلام فيها.

جهود العلماء في نشر اللغة العربية

لقد سجل لنا التاريخ الجهود المشكورة التي بذلها العلماء منذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا لنشر اللغة العربية في أوساط المسلمين. يلاحظ ذلك من يتابع تاريخهم في كتبهم وأقوالهم الخالدة. فمثلاً، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «فإن نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب؛ فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم

إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».(٦) وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «فعلى كل مسلم أن يتعلّم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح، وغير ذلك».(٧) ويقول الشيخ آدم عبدالله الإلوري رحمه الله تعالى: «وكان غايتنا في التعليم العربي الحفاظ على اللغة العربية من الموت؛ لاعتقادنا أنها جزء لا يتجزأ من الإسلام، كما هو واضح في الصلوات اليومية المفروضة وفي مناسك الحج السنوية، وأنها لغة القرآن الذي نتعبد بتلاوته؛ ثم لاعتقادنا أن الفهم الصحيح للإسلام لا يتم عن طريق الكتب المترجمة، بل يتم بالأخذ المباشر من أصول الإسلام المكتوبة باللغة العربية».(٨) أنشأ الشيخ آدم عبدالله الإلوري مركزه لتنفيذ أفكاره النيرة عن اللغة العربية ونشرها والعمل على بقائها وحيويتها، وتفرّع من المركز فروع في أماكن مختلفة في نيجيريا وخارجها في بنين وتوغو وغانا وأبيدجان، ولعل أقواها دار العلوم.(٩) وتخرّج في المركز الأم وفروعه رجال يعملون لدفع عجلة هذه اللغة إلى الأمام بكل ما لديهم من الطاقة، منهم بروفيسورات ودكاترة وأئمة ودعاة ومديرون، كالبروفيسور عبدالرزاق أديريمي، والبروفيسور عبدالباقي شعيب أغاكا، والبروفيسور شيخو أحمد عبدالسلام، والدكتور عيسى ألبي أبو بكر، والدكتور المرحوم عبدالسلام عبدالرحمن ألابدن، والدكتور عبدالرحمن أحمد كاكوري، والدكتور شعيب السيوطي أولوغيلي، والدكتور كمال الدين علي مبارك، والدكتور عبدالمؤمن أوتويو، والدكتور الإمام عبدالحميد شعيب أغاكا، والإمام المرحوم يحيى مرتضى، والإمام المدير مشهود جبريل رمضان، والإمام المدير عبدالوهاب زبير الغماوي، والإمام محمد نوح أبو بكر، وأمثالهم كثيرون. فوفقهم الله لتحقيق الهدف المنشود إلى حد كبير، بحيث تتقوى هذه اللغة كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار. والحمد لله رب العالمين.

جهود الإلوري:

اضطلع الشيخ الإلوري بمسؤولية نشر التعليم العربي الإسلامي منذ أن منّ الله عليه بالعلم الرباني والوعي الإسلامي. وكان يعمل لإزالة كل ما من شأنه إحباط أمله في توطيد التعليم العربي الإسلامي وترسيخ أقدامه بين المسلمين؛ وذلك لعلمه

بأن المسلمين في كل مكان وزمان في أمسّ الحاجة إلى تحصيل العلم في المجالين: العربي والإسلامي، لتحسين الأداء الروحي والدنيوي(١٠) - كما هو شأن الإسلام- خير أداء. فعن ضرورية التضلّع باللغة العربية والتعمّق فيها يقول: فاللغة العربية جزء من الإسلام لا يتجزأ، ولا يمكن فهم الإسلام إلا بتذوق اللغة العربية، ولا يتم تذوقها بدون الوقوف تماماً على أسرارها وآدابها، ولا تؤدى الصلوات والنسك الإسلامية على وجهها الصحيح إلا باللغة العربية.(١١) وعن أهمية فهم اللغة العربية للدعاة يقول الإلوري: «أما الذين يحملون لواء الإسلام فيجب عليهم أن يتعمقوا في العربية».(١٢) وقال عن ضرورية فهمها لعامة المسلمين: «يجب على المسلمين بوجه عام أن يتزودوا من العربية بالقدر الضروري للتعبد بها في صلواتهم ومناسكهم».(١٣) فعلى هذا الأساس لم يدخر الشيخ جهداً في العمل الدؤوب لنشر اللغة العربية والإسلام والدفاع عنهما في إمارة إلورن الإسلامية، التي تعتبر مركزاً إسلامياً وبوابة وهمزة الوصل بين شمال نيجيريا وجنوبها، والتي قامت بدور ملموس تُشكر عليه في الدعوة الإسلامية ونشرها في مختلف بقاع بلاد يوربا.(١٤) أدرك الشيخ جهود العلماء القدامى في إمارة إلورن في تعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وتتبع آثارهم وقدّر ما رأى من جهودهم في التأليف والتعليم، إلا أنه خاف فوات العلم من بيوتهم وعدم وجود الخلف الكفء لأولئكم السلف الصالح من العلماء، فقام لإحياء بيوتهم وتصحيح الوضع السيئ السائد بينهم، واختار عدداً من أولادهم لتربيتهم تربية إسلامية صالحة يستطيعون بها مواصلة رسالة هؤلاء الآباء الإسلامية. وهكذا درس وتدرب أبناء هؤلاء العلماء على يدي هذا الشيخ الإلوري حتى تعمقوا في العلم وكانوا أقطاباً وأشبالاً؛ رجعوا إلى بيوتهم وأرجعوا مجدهم الموروث التليد إليها، بفضل جهود هذا العالم العبقري النحرير الجادة. ومما يذكر من جهود الشيخ آدم الإلوري تشجيع العلماء والأئمة في إمارة إلورن الإسلامية أن يتأكدوا من غرس حب تحصيل العلوم الإسلامية واللغة العربية في قلوب أبنائهم، لضمان المستقبل الباهر لهذا الدين واللغة العربية.(١٥) وعلى إثر هذا، تعاون الشيخ في الستينات مع جبهة من العلماء والأئمة في إنشاء دار العلوم؛ بإشارة سمو الأمير لإمارة إلورن الإسلامية المرحوم ذي القرنين الغمبري،(١٦) ومدرسة الشبان المسلمين، والإشراف عليهما. ومن باب التعاون على البر والتقوى؛ تعاون الشيخ الإلوري مع مؤسس كلية شمس الدين الإسلامية بإلورن، ومدرسة مصباح الدين بغنما، في تدعيم

قواعدهما وتيسير سبيل التعلم فيهما، وذلك بتقييم منهج الدرس، وإرسال المعلمين إليهما، وتوفير الكتب المناسبة.

ولما صدر البرنامج التربوي الابتدائي العام الجديد (U.P.E)

(Universal Primary Education) من الحكومة الفيدرالية في السبعينات، وكانت الحكومة تنفق الغالي والرخيص لترويجه، وكان البرنامج يهدف إلى دمج المدارس العربية الحكومية الابتدائية، تنبّه الشيخ الإلوري إلى خطورة ذلك، فجاء إلى إلورن لينذر أهلها ليكونوا على حذر من هذا النظام الاندماجي الشنيع، وقد صرّح بموقفه ضدّ هذا النظام في إحدى كتاباته قائلاً: «ونراهم في بعض البلاد يدعون إلى تعلّم الإسلام بأية لغة من دون التزام العربية، جعلوا الإسلام كالمسيحية التي يباشرون طقوسها بمختلف اللغات، لذلك يجب على المسلمين أن ينتبهوا لهذه المؤامرة المدبرة للقضاء على الإسلام، أو لتشتيت شمل المسلمين».(١٧) وأبدى خوفه في هذه العبارة: «ولقد علمتنا التجارب أن من الصعب علينا أن نجمع بين التعليم العربي والإنكليزي في مكان واحد دون أن يطغى أحدهما على الآخر». (١٨)

وكان موقف بعض أصحاب المدارس العربية المحلية وقتئذ موقف «سمعنا وأطعنا»، بينما كان موقف الآخرين هو: «دعونا نجرّب هذا البرنامج الحكومي الجديد»، فاندثرت أخيراً آثار مدارس الذين اتبعوا الحكومة في نظامها، وأصبحت مدارسهم لا يُرى لها أثر، إلا الأسماء فقط. ومن ضمن هذه المدارس مدرسة شبان المسلمين التي منها بدأ كل من الدكتور حمزة عبدالرحيم والبروفيسور أحمد شيخو عبدالسلام تعلم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وكذلك مدرسة برهان الدين التي منها بدأ الشيخ عبدالقادر جمعة ميماسا والدكتور بدماصي لنرى يوسف والإمام إبراهيم سليمان رحلتهم العلمية. وكان الشيخ الإلوري في جلساته الدعوية ودروسه العامة يذكّر الحضور بأهمية تشجيع الشباب على فهم اللغة العربية والعلوم الإسلامية، حتى ولو كانوا سيتخصصون في الميادين العلمية الأخرى. ولم يرَ الإلوري مانعاً في أن يكون للطبيب المسلم والمهندس المسلم والمحامي المسلم إلمام يسير باللغة العربية؛ لأن ذلك يسهّل لهم فهم الإسلام ويرفع موقفهم الاجتماعي والثقافي. ولاشك أن من واجب رجل الدعوة الإسلامية في هذا العصر أن يتسلح بإحدى اللغات الراقية كالإنجليزية؛ التي يستطيع أن يجابه بها

تحديات الحياة ومعيشتها الحاضرة، ويستطيع بها أن يبلّغ رسالة الإسلام في الأوساط الراقية، بل يستطيع بها التعبير عن نفسه وعن دينه في سائر المجتمعات والمجالات.[١٩] إن من خطوات الإلوري في الدفاع عن اللغة العربية منع تعليم المادة الإنجليزية بالمركز الأم وبعض فروعه، والسبب في ذلك يرجع إلى خوفه – رحمه الله رحمة واسعة – من طغيان اللغة الإنجليزية وثقافتها على التعليم العربي الإسلامي بالمركز. وكم حاول بعض أناس من وقت إلى آخر إقناع الإلوري بأن يجعل اللغة الإنجليزية سبيلاً إلى مقررات المركز، فتلقى المحاولات الفشل حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى.

جهود الإلوري ضدّ محاولة أعداء لغة القرآن:

منذ فجر الإسلام ونزول القرآن بلغته العربية؛ مازال أعداؤهما يحاولون القضاء عليهما، ويضعون أشواكاً في سبيل انتشارهما إلى حد كبير، وذلك يتمثل في العقبات التي تضعها الأعداء أمام اللغة العربية ودينها: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾، (الصف: ٨). لكنّ لطف الله تعالى وعنايته هي التي كانت تحفظهما وتهيمن على سلامتهما، لذلك تصبح مؤامرات الأعداء فاشلة في كلّ مكان وزمان، فمثلاً أعلنت الحكومة الفدرالية النيجيرية محاولة تغيير حروف اللغة العربية إلى الإفرنجية، كما فعلت تركيا في عهد كمال أتاتورك، فباءت بالفشل لأن الله سبحانه وتعالى قدّر للغة العربية البقاء، كما يتضح ذلك جلياً في إقبال المسلمين على تعلمها الآن في تركيا. ورغم محاولة شارلز سولدو تغيير الحروف العربية في العملات النيجيرية إلى الإفرنجية؛ دعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المعروفة بـ«إيسيسكو» والمؤسسات والهيئات المعنية في الدول العربية إلى بذل المزيد من الجهد من أجل الارتقاء بمنزلة اللغة العربية. وبالإضافة إلى هذا النداء الموجّه إلى كلّ من يرى على نفسه حق حفظ اللغة العربية كلغة كتاب الله الكريم، تم اختيار كل (٢٢) فبراير للاحتفال باللغة العربية كلغة أم، وكذلك أعلنت الأمم المتحدة أنّ يوم ١٨ ديسمبر من كلّ عام سيصبح اليوم العالمي للاحتفال باللغة العربية، وما علينا نحن أصحاب هذه اللغة سوى العمل الدوؤب لإيقاظ الوعي لاحترام هذه اللغة في نفوس المسلمين الذين لا يلقون لها بالاً. ولاشك أنّ اللغة العربية تنتظر من الجميع بذل أكبر جهود من أجل تحسين مستوى تدريسها في جميع المراحل، والعمل على استخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة – كالشبكة العنكبوتية – لنشر هذه

اللغة بين المسلمين كافة. ولا يخفى علينا أن الدّول الأوروبية تبذل الجهود الجبّارة في سبيل نشر لغاتها والمحافظة على تقدّمها، كبناء المراكز الثقافية في أماكن مختلفة في العالم، من خلال نشاطات مثل British Council الذي يوجد في بعض المدن الرئيسة في نيجيريا. إن المطلوب من الدول العربية بناء المراكز الثقافية في مختلف البلدان النيجيرية، على طراز ما فعلته الجمهورية العربية المصرية في مدينة كنو الشمالية؛ لأن حركة المراكز الثقافية تفيد في خلق الجو العربي للدارسين لهذه اللغة من أهل نيجيريا، حيث يستفيدون كثيراً باستعمال المكتبة والاحتكاك بالمشرفين العرب الذين يديرون شئون هذه المراكز، وبالتالي، يشجّع استعمال اللغة العربية والاعتزاز بها أكثر من ذي قبل، أما من ناحيتنا نحن الذين سنستفيد من جهود البلاد العربية في بناء المركز العربي الثقافي، فإننا نقبل على تعلّم هذه اللغة بكلّ جد.

ويدخل في حقوق اللغة العربية علينا العمل على توسيع مجالات استعمالها، يقول العلامة الألوري: «والعربية ليس لها مجال إلا في المدرسة والمسجد». إن دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ على ضرورة بذل المزيد من الجهد في توسيع مجالات استعمال اللغة العربية، وذلك بإنشاء الجرائد باللغة العربية وإقامة برامج اللغة العربية عبر الإذاعة، وكذلك يستحسن بنا أن نصمم برنامج «العربية بالتلفزيون» يُبث مرتين في كلّ أسبوع. يمكن تنفيذ هذه الاقتراحات بالتعاون مع الجمعيات الإسلامية وعلى رأسها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وبعض الأغنياء من المسلمين. وإضافة إلى ما سبق، يلاحظ أنّ بعض رجال هذه اللغة في أوائل السبعينات قاموا بتجربة ناجحة في توسيع مجال استعمال اللغة العربية، وذلك بتشجيع الجميع ليتكلموا بها في المناسبات الاجتماعية والإسلامية، حيث تُلقى مقالات بهذه اللغة العربية العزيزة حول موضوع معين بحضور عدد غفير من طلبة العلم وغيرهم من العوام. ومن رجال هذه التجربة المباركة من تلاميذ الشيخ آدم عبدالله الإلوري وتلاميذ غيره المرحوم الدكتور حامد إبراهيم أولاغنجو، والمرحوم الأستاذ عبدالرحمن توين مقدم، والأستاذ عبداللطيف أديكيلكن، والدكتور عيسى ألبي أبوبكر، والدكتور حمزة عبدالرحيم، والدكتور عبدالحميد أولوهن أوين، والأستاذ عبداليقين عبدالحميد إسيين، والأستاذ شعيب بخاري، والمرحوم عثمان يوسف أيلينلا، وعبدالقادر جمعة ميماسا، وكاتب هذه المقالة. ومن ثمار هذه التجربة إقبال المشاركين فيها على قرض الشعر العربي؛ حتى أبى الإتقان إلا أن يكون حليفهم. يجب أن يكون

لنا إلمام كامل بما يجري في قرية اللغة العربية بإنغالا ولاية برنو، ووزارة التربية والتعليم، وأكاديمية الشؤون الخارجية التابعة لوزارة الخارجية النيجيرية، لكي نقف على برامجها وأهدافها وتطلعاتها، والمشكلات التي تعانيها لإيجاد التعاون بينها وبين حماة اللغة العربية في هذه البلاد.

الخاتمة:

هدفت هذه الورقة إلى بيان أهمية اللغة العربية وفهمها للمسلمين، وذكرت كذلك مجهودات الشيخ آدم عبدالله الإلوري الكبيرة في سبيل نشرها وبقائها والمحافظة عليها، وكذلك تنبّه كل مسلم غيور لدينه إلى أدوار يجب أن يقوم بها تجاه نشر هذه اللغة وتطويرها على المستوى العالمي في هذه الديار. وبقي أن نضيف أن علينا أن نطلب حقّنا من الحكومة الفيدرالية النيجيرية، التي اعترفت باللغة الفرنسية كاللغة الرسمية الثانية بعد اللغة الإنجليزية، وذلك على حساب اللغة العربية التي هي اللغة الأم لبعض شعب نيجيريا في منطقة شمال نيجيريا. يجب على السلطة النيجيرية تعيين المتخصصين في اللغة العربية في سفارات نيجيريا في البلاد العربية، وفي هيئة الجوازات والمخابرات الخارجية والشرطة العالمية، لتعامل نيجيريا مع الدّول الناطقة بها. وبهذا كلّه تترقى اللغة العربية من لغة المسجد والمدرسة إلى لغة التخاطب ولغة الصحافة من التلفاز والإذاعات، ولغة المناسبات الاجتماعية والدبلوماسية، كما لفت أنظارنا إلى هذا الشيخ آدم عبدالله الإلوري عندما كان على قيد الحياة. فسبحان الذي تكفّل بحراسة اللغة العربية وحفظها من كيد الذين يتربصون بها، ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩). وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش والمراجع:

١- يوسف حسن نوفل، القرآن واللغة العربية، مقالة نشرت في مجلة الوعي الإسلامي، ١٦٧٤م، ذو القعدة ١٣٩٨هـ، ص ٦.

٢- سورة الزخرف: الآية: ٣.

٣- الإلوري آدم عبدالله ، الإسلام في نيجيريا، وغلادنث شيخو أحمد سعيد، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ١٧ و٢٠ و ٧٢.

٤- غلادنث، حركة اللغة العربية، المرجع نفسه، ص ٧٤و٧٥.

٥- الإلوري آدم عبدالله، الدين النصيحة، مطبعة الثقافة الإسلامية، أجيجي، نيجيريا، ١٩٧٨م، ص ١٠.

٦- ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق: ناصر عبدالكريم العقل، دار الكتب، بيروت، لبنان، ١٤١٩ه/ ١٩٩٩م، ص ٥٢٧.

٧- الشافعي، محمد بن إدريس، الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبى، مصر، ط ١، ١٣٥٨ه/ ١٩٤٠م، ص ٤٨.

٨- الإلوري، آدم عبدالله: الدين النصيحة، ص١١.

٩- أغاكا، عبدالباقي شعيب: دور طلبة المدارس العربية في نشر الدعوة الإسلامية، من منشورات مكتب الندوة العالمية للشباب الإسلامي في نيجيريا، (بدون التاريخ)، ص٢٦.

١٠- يوسف، حسن نوفل، «القرآن واللغة»، المرجع السابق، ص ٦١- ٦٦.

١١- الإلوري، آدم عبدالله، الدين النصيحة، المرجع السابق، ص١١.

١٢- المصدر نفسه، ص ١٢.

١٣- المصدر نفسه والصفحة نفسها.

١٤- الإلوري، آدم عبدالله، الإسلام في نيجيريا، ص٦٧.

١٥- الإلوري، آدم عبدالله، الدين النصيحة، المرجع السابق، ص، ١٢.

١٦- الغمبري، أمين الله آدم: في ذكرى الشيخ آدم الغمبري، (Razaco Press) كانو، ديسمبر ١٩٩٧م/ ١٤١٨ه، ص١٧.

١٧- الإلوري، آدم عبدالله، الدين النصيحة، المرجع السابق، ص ١١.

١٨- الإلوري، آدم عبدالله، حصاد المناسبات الإسلامية، ط ١، دار الفجر الإسلامي، لاجوس، نيجيريا، ٢٠٠٩م/ ١٤٣٠هـ، ص ٣١.

١٩- المصدر نفسه، ص ٣٠.

ooo

نماذج تطبيقية لجهود الشيخ آدم عبدالله الإلوري في نشر اللغة العربية والنضال ضدّ التغريب

د. الخضر عبدالباقي محمد

أستاذ الإعلام المشارك ومدير المركز النيجيري للبحوث العربية

تمهيد:

يعدّ العلامة الشيخ آدم عبدالله الإلوري من أبرز عباقرة الفكر وجهابذة العلماء والدعاة المؤثرين في التاريخ الحديث والمعاصر لنيجيريا، ويأتي اسمه في مقدمة هؤلاء الذين لمعت شخصيتهم في الفضاء الأفريقي والعربي معاً، لأنّ له شخصية نقشت بكتاباته وجولاته وحركاته على جدران تاريخ الدعوة الإسلامية، ونشر الثقافة العربية والعمل الإسلامي، وفي مجال التصدي للأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية الفاسدة. وفي هذا المقال سيتم التركيز على جهوده في مجال خدمة اللغة العربية والنضال لنشرها والتمكين لها في نيجيريا.

صور النضال من أجل العربية:

تجسّد شخصية الإلوري حياة أبرز نموذج لأحد أعمدة النضال الأفريقي بلغة الضادّ؛ فهو فارس المبارزة في التصدي للحملات المناهضة للثقافة العربية في غرب أفريقيا بوجه عام، وفي نيجيريا على وجه الخصوص، ولو لم يكن له سوى مشروعه الطموح «تعريب لسان الدعاة الجدد وإعادة الاعتبار إلى العربية» لكفاه؛ إذ نجح في أن يخرج به عن إطار

التجربة الشخصية أو حتى النطاق المحلي النيجيري إلى آفاق أفريقية رحبة؛ حتى أصبح نموذجاً رائداً يقتدي به آلاف النيجيريين والأفارقة من الدول المجاورة؛ إذ نجح الرجل في تحويل حي «أغيغي» (Agege) بمدينة لاغوس النيجيرية، الذي أسّس فيه قاعدته ومركزه التعليمي طوال فترة الخمسين عاماً، إلى جامعة روحية وقلعة إشعاع علمي؛ لتدريب وتخريج كوادر نيجيرية وأفريقية من علماء ومعلّمين ودعاة وخطباء ومثقفين، حتى أصبح الحي حالياً مزاراً دينياً وحضارياً يقصده الناس بالألوف، كرمز أسطوري لنضال فردي تُوّج بالعديد من الإنجازات العظيمة.

كانت بداية مشوار الإلوري في ميدان تدريس اللغة العربية والتوعية والدعوة منذ الأربعينات من القرن العشرين، ووفّقه الله بأن تخرّج على يديه ما يربو على نصف المليون من طلاب العلم في نيجيريا، ومن بلاد غرب أفريقيا مثل بنين وساحل العاج والنيجر وتوغو وغيرها، عمل على إحياء كثير مما اندثر أو أوشك على الاندثار من التراث العربي الإسلامي في نيجيريا، وجمع عدداً من قصائد العلماء الأقدمين وقام بطبعها، كما ترجم للفيف من العلماء النيجيريين المجهولين، وحرص على شرح بعض كتب المتون وعلّق عليها، إضافة إلى حرصه الشديد على تسجيل ما وقع لهم من المواقف العجيبة، وما ظهر على أيديهم من الكرامات.

فهو أول كاتب من قبيلة اليوربا يفرد البحث عن علماء بلاد يوربا بجنوب نيجيريا، وأول عالم ينجح في جمع علماء المنطقة تحت راية واحدة هي «رابطة الأئمة والعلماء»، وأول عالم يورباوي معاصر ينافس العلماء العرب بمؤلفاته الغزيرة ومصنفاته المطبوعة في عدة مجالات، وهو أول عالم نيجيري يحصل على شهادة إجازة التعليم من الأزهر الشريف بمصر العربية.

اتصالاته بالعالم العربي والنضال ضد التغريب:

في فترة مبكرة من حياته ترسّخت قناعة لدى الإلوري بأنّه لابدّ له من السفر والاتصال بأعلام الفكر الإسلامي والثقافة العربية؛ للاجتماع بهم والمناقشة العلمية المباشرة والاقتباس منهم، فخرج عام ١٩٤٦م عازماً على زيارة السعودية وجمهورية مصر العربية والسودان العربي، فالتقى في مكة المكرمة بالشيخ السيد علوي مالكي

والشيخ محمد الأمين الشنقيطي والشيخ حسن المشط والشيخ موسى الكشناوي والشيخ عثمان عمر الفلاني والأمير بنو حفيد عثمان بن فودي، وفي المدينة المنورة اجتمع بالشيخ الكتاغنمي والشيخ محمد طاهر العقلي من المدرسة الشرعية، وفي السودان قابل السيد علي الميرغني والسيد عبدالرحمن المهدي والشيخ محمد المبارك والشيخ أحمد الفاتح قريب الله، وفي مصر قابل شيخ الجامع الأزهر مصطفى عبدالرازق والشيخ محمود أبو العيون والشيخ محمد شلتوت والشيخ حسن البنا مرشد جماعة الإخوان المسلمين، فتركت تلك اللقاءات تأثيراً واضحاً في مسار تفكير الإلوري واتجاهاته. وبعد عودته خاض الإلوري عدة معارك فكرية ضارية في سبيل الدفاع عن لغة كتاب الله العظيم، واشتبك مع أعداء العربية والمعارضين ليكون لها وجود أو كيان داخل الأراضي النيجيرية؛ حتى صار قائداً لجبهة الدفاع عن العربية في هذه المنطقة الأفريقية، وقد حارب في ثلاث جبهات قتال في وقت واحد: الأولى جبهة الصراع التنصيري المعادي للإسلام وثقافته العربية. والثانية جبهة القوى الاستعمارية التي سعت إلى سيادة الإنجليزية لغة وحيدة للمنطقة. والثالثة جبهة صراع داخلية مع بعض أهل اللغة العربية الذين انضموا إلى موكب الإنجليزية، وبدؤوا يُسبّحون بحمدها، ويقدّسون لمجدها، وينظرون بعين الاحتقار إلى من لا يعرفها، ويحسبونه نصف إنسان ونصف حيوان!

بواعث وأسباب الانتصار للعربية:

يفسّر الإلوري دوافع انتصاره للعربية رغم كونه أفريقياً من قبيلة اليوربا فيجملها في ثلاثة دوافع هي:

«أولا: اعتقادنا بأن العربية جزء من الإسلام لا يتجزأ؛ لأنها لغة القرآن ولغة العبادات في الصلوات اليومية ونسك الحج السنوية.

ثانياً: اعتقادنا بأن تجريد العربية عن الإسلام واعتبارها لغة حية من لغات العالم مؤامرة يدبرها العدو للقضاء على الإسلام وعلى العربية معاً.

ثالثاً: أن العربية، إضافة لكونها لغة حضارة روحية، بإمكانها مسايرة التطورات العلمية، كما كانت في الماضي لغة العلم والأدب والتاريخ والفلسفة في القرون الوسطى».

آليات تنفيذ مشروع التعريب

كان تركيز الإلوري في آليات تنفيذ مشروعه التعريبي على ثلاثة مداخل أساسية هي:

أولاً: آلية التعليم والتربية من خلال إنشائه لمركز التعليم العربي الإسلامي.

ثانياً: آلية الإنتاج العلمي والفكري لبث الأفكار والآراء ونشر التوجيهات المرتبطة بالمشروع؛ حيث عمل على إخراج مؤلف جديد في كل مناسبة دينية، وجعله جزءاً من الثقافة العامة لجمهوره.

ثالثاً: آلية عقد اللقاءات وسلسلة من الدروس الدينية والعلمية للتواصل المباشر مع تلامذته وأنصاره ومؤيديه.

وقد حرص على استخدام أسلوب استقطاب أبناء الشخصيات المهمة والزعامات الدينية والاجتماعية؛ بالتركيز على أبناء كبار العلماء والأئمة المشهورين بتعليمهم العربية، كخطوة تكتيكية لتوسيع دائرة التأييد الشعبي للمشروع وتكثير سواد أنصار حركة التعريب.

من آرائه وأفكاره ومواقفه:

ومن الطريف أنّ الإلوري كان يرى أنّ الانبهار بالثقافة الغربية واللهث وراء الإنجليزية وظاهرة شحن تعبيرات بعض من العلماء بكلمات إنجليزية وفرنسية يمثّل شيئاً من الميوعة والرعونة والمجون، فكان يقول: «وأنا لا أعرف الميوعة والمجون والخلاعة والرعونة التي أصابت طائفة من حماة الدعوة أو بعض العرب؛ في التفاخر بغير لغة القرآن ولغة الإسلام». كما كان يرى أنّ نزول مكانة العربية من الصدارة والقيادة العلمية لا يسوّغ الخضوع والاستسلام للاستلاب الثقافي، وكان يردد: «فما بال العرب حتى لو زالت مكانتهم في الصدارة والقيادة اليوم؟ ألم يكونوا أساتذة الدنيا قبل اليوم؟ فكيف لا يفتخرون بلغتهم؟». وقد كان شديد التفاخر بثقافته العربية، ويثني على تصرّف الآباء المسلمين الذين منعوا أولادهم من دخول المدارس الإنجليزية، وكثيراً ما ردد قوله: «أشكر آباءنا الذين منعونا من دخول المدارس الإنجليزية، بل أجبرونا على تعلّم العربية مع كثرة مشاكلها وعقباتها وعراقيلها، ولولا عملهم هذا لشغر اليوم المكان

الذي شغلناه في المجتمع الإسلامي، وسنظل على العهد والميثاق الذي تعهدنا به، وهو التزود بالإنجليزية لاستعمالها عند الضرورة غير التفاخر بها لمباهاة الناس، إننا راقون مثقفون متحضرون». وقد كان من أوائل المنادين بجعل العربية لغة نقاش ومداولة في مجلس العلماء النيجيري، وكان يصرّ على الحديث بها ويرفض بشدة القبول بالإنجليزية فيها.

انتقادات وُجّهت للإلوري بسبب نضاله ضد التغريب:

وقد أثارت آراء الإلوري كثيراً من المثقفين المستغربين؛ فكانوا يصفون منهجه وأنصاره بالرجعية والجهل والأمية، وبأنهم «نصف إنسان ونصف حيوان»؛ لأنهم يتعلمون العربية وحدها دون غيرها ولا يبالون بالإنجليزية»! وكان رد الإلوري ساخراً؛ حيث رفض فكرة أن العلم والثقافة رهن على من يعرف الإنجليزية فقط، وكان يردد ساخراً: «إن كل من يعرف الإنجليزية ولكنه إذا دخل بلاد فرنسا وبلاد الألمان أو الطليان أو بلاد العرب يحتاج إلى ترجمان فهو جاهل؛ فإن كان عالماً يجب عليه أن يحيط بجميع اللغات». وقد كان موقف الإلوري المعادي للإنجليزية ينطلق من النظرة الدونية التي ينظر بها أصحابها إلى العربية وأهلها، ورغم أنه يجيدها ويتقن الحديث بها؛ فإنه كان يمتنع عن الحديث بها في غير الحاجة، وقال عن ذلك: «الحمد لله أعرف من الإنجليزية ما أقرأ به الصحف والجرائد اليومية والمجلات، وأستطيع أن آخذ وأرد بها عند الضرورة، ولكن كثيراً ما أمتنع أن أتحدث بها للتفاخر، وأكثر تلاميذي دخلوا الجامعات، وحصلوا على الدرجات العلمية في الإنجليزية بإذني وتوجيهاتي، ولكنهم قد تبحّروا في العربية حسب طاقتهم وعلى ضوء إرشادي». وقد أنكر الإلوري أن تكون دعوته ومشروعه للتعريب يهدف لسلخ الشعوب الإفريقية من لغاتها الوطنية، كما اتهمه بعض خصومه، وقال: «لسنا ندعو كل مسلم إلى التعريب وترك لسان أمته وقومه أو حكومته إلى العربية، ولكننا ندعوه أن يتعلّم ما يناسب وضعه؛ فالمسلم العادي يتعلّم ما يؤدي به عباداته وصلواته اليومية، وغيره ممن يحمل مسؤولية محددة يتعلّم ما يكفيه لأداء تلك المسؤولية، أما من يتحمل مسؤولية دينية كالإمامة والقضاء والتعليم العالي فيجب أن يجيد العربية إجادة تخصص».

وبعد أن انطلق مشروع الإلوري بإنشائه لمركز التعليم العربي الإسلامي عام ١٩٥٢م، وتوسعت نشاطات المركز الاجتماعية والدينية والثقافية والسياسية، مما جلب له جماهير عريضة من مختلف شرائح المجتمع ذكوراً وإناثاً، ثارت ضده العديد من التساؤلات والانتقادات، من بينها: لماذا قام هذا العمل على عاتق رجل واحد ولم يسلم إلى الحكومة؟ ولماذا اقتصر العمل على اللغة العربية ولم يأخذ معها الإنجليزية؟ ولماذا لم يجعل العمل تحت إدارة دولة من الدول العربية؟

ورد الإلوري على كل هذه الانتقادات بقوة، فكان يقول: «إسناد العمل إلى إحدى الجمعيات ليس مجدياً وطالما جرّبنا ذلك، وهم يريدون الجمع بين العربية والإنجليزية وقد فشلت المحاولات من هذا النوع، ولماذا لم يطالبوا المدارس الإنجليزية بفرض العربية فيها كما يطالبوننا بالإنجليزية؟! وأما إسناد أمر المركز إلى الحكومة الوطنية فهي غير مسلمة، وكثيراً ما تحاصر وتضايق العربية، إضافة إلى أنها تدعي العلمانية. وأما إسناده إلى إحدى الحكومات العربية فالعمل الإسلامي ليس بضاعة تعرض على الحكومات العربية لنيل حظوظ فانية؛ فالدفاع عن العربية مسؤولية كل مسلم وعالم على الأخص؛ فكلنا مسؤولون على السواء».

مؤلفاته وتراثه:

حفلت حياة الإلوري بالعديد من الإنجازات العلمية والفكرية، وقد كتب ما يربو على الخمسين كتاباً باللغة العربية في مجالات شتى، ما بين التاريخ والدعوة والأدب والتربية والسيرة والترجمة للأعلام والفلسفة والسياسة الشرعية والتصوف، ومنها: «الدين النصيحة» ١٩٥٠م، و»الإسلام في نيجيريا وعثمان بن فودي» ١٩٥٠م، و»موجز تاريخ نيجيريا» ١٩٦٤م، و»تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم» ١٩٦٧م، و»مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية» ١٩٦٧م، و»نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي» ١٩٧١م، و»الإسلام وتقاليد الجاهلية» ١٩٧٧م، و»آثار العلم والفلسفة والتصوف في مسيرة الدعوة الإسلامية» ١٩٨٣م، و»فلسفة التوحيد والأديان». غير أن كتابه «الإسلام اليوم وغداً في نيجيريا»، وكتابه «فلسفة النبوة والأنبياء في ضوء الكتاب والسنة»، من أكثر مؤلفاته التي أثارت ضجة وجدلاً كبيرين في الأوساط المحلية

والإقليمية والعالمية. وقد تناول في الكتاب الأول قضايا ومشكلات التميز والخلافات القبائلية بين مسلمي الهوسا واليوربا، وظاهرة احتكار المناصب الدينية في أسر وبيوت معينة، كما انتقد بعض الرموز والزعامات في شمال البلاد، كما حمل بشدة على بعض الدعاة السلفيين المغالين ومنهجهم في الدعوة .وفي الكتاب الثاني أثار قضايا في غاية من الأهمية، مثل: لماذا ينكر البعض نبوة النساء؟ وأسباب عدم ظهور الأنبياء في اليونان والرومان؟ الأمر الذي حرّك مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر وبعض الجامعات الإسلامية في ليبيا وغيرها للاشتباك مع بعض أطروحاته.

وفاة الشيخ الإلوري

وفي فجر يوم الأحد الخامس من إبريل من عام ١٩٩٢م لحق الشيخ الإلوري بالرفيق الأعلى أثناء علاجه بأحد مستشفيات العاصمة البريطانية لندن؛ لينهي بذلك رحلة نضال استمرت قرابة الخمسين عاماً، بعد حياة حافلة بالعطاء والكفاح والإنجازات، تغمده الله بواسع رحمته.

الهوامش والمراجع:

١ .آدم عبدالله الإلوري (١٩٩٠)، من هنا نشأت وهكذا تعلمت حتى تخرجت، ط أولى.

٢ .آدم عبدالله الإلوري (١٩٩٠)، الصراع بين العربية والإنجليزية في نيجيريا.

٣.آدم عبدالله الإلوري (______)، فلسفة النبوة والأنبياء.

٤ .آدم عبدالله الإلوري (١٩٨٥)، الإسلام اليوم وغدًا في نيجيريا»، ط١، القاهرة: مطبعة وهبة.

٥ .آدم عبدالله الإلوري (١٩٩٠)، الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا.

٦ .آدم عبدالله الإلوري (١٩٥٠)، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي.

٧.آدم عبدالله الإلوري (١٩٨٥)، أصل قبائل يوربا والقبائل المجاورة في نيجيريا.

فهرس الموضوعات

رقم	الموضوع	الصفحة
١	كلمة مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية	٥
٢	كلمة المحرّر	٧
٣	الفصل الأول: اللغة العربية في نيجيريا خلفية تاريخية ومراحل التطور	١٠
٤	اللغة العربية في نيجيريا: النشأة وعوامل الانتشار والمدارس *البروفيسور تيجاني المسكين	١١
٥	الإسلام والتعليم العربي في نيجيريا	١١
٦	عوامل انتشار الإسلام والتعليم العربي في نيجيريا	١٣
٧	المدارس والمناهج التقليدية للتعليم العربي في نيجيريا	١٥
٨	الوسائل الحديثة المؤثرة في التعليم العربي في نيجيريا	٢٧
٩	اللغة العربية وثقافتها في نيجيريا: إكراهات الواقع ومحاولات النهوض *د. الخضر عبدالباقي محمد	٣٣

رقم	الموضوع	الصفحة
١٠	محاولات إكراهات الواقع النيجيري على اللغة العربية	٣٤
١١	ملامح محاولات النهوض باللغة العربية	٣٦
١٢	اللغة العربية وآدابها في نيجيريا آفاق التطوّر والازدهار *د عيسى ألبي أبوبكر	٤١
١٣	النثر الفني	٤٣
١٤	الدراسات الأدبية	٤٦
١٥	الفصل الثاني: اللغة العربية في مؤسسات التعليم العام في نيجيريا	٥٦
١٦	اللغة العربية في المدارس الثانوية بالشمال المركزي لنيجيريا: تحديات وحلول *د. محمد عمر انْداغي	٥٧
١٧	النظام التعليمي في المدارس الثانوية	٥٨
١٨	المجلس الوطني للدراسات العربية والإسلامية	٥٩
١٩	منهج تعليم اللغة العربية	٦٠
٢٠	مصادر التدريس	٦١
٢١	مدرس اللغة العربية	٦٣
٢٢	سياسة التعليم النيجيرية تجاه تعليم العربية بالمراحل المتدنية (جنوب نيجيريا نموذجاً) *د. قاسم بدماصي	٦٧
٢٣	اللغة العربية وتأثيرها في المجتمع	٦٨
٢٤	أهمية تعليم اللغة العربية في نيجيريا	٦٩
٢٥	مفهوم السياسة التعليمية	٧١
٢٦	السياسة التعليمية النيجيرية تجاه اللغة العربية	٧٢

رقم	الموضوع	الصفحة
٢٧	نموذج سياسة تعليم العربية في المرحلة الابتدائية	٧٨
٢٨	نموذج سياسة تعليم العربية في المرحلة الإعدادية	٨٠
٢٩	نموذج سياسة تعليم العربية في المرحلة الثانوية	٨١
٣٠	إيجابيات السياسة التعليمية النيجيرية لتعليم العربية بهذه المراحل	٨٢
٣١	سلبيات السياسة التعليمية النيجيرية لتعليم العربية بهذه المراحل	٨٢
٣٢	التوصيات والمقترحات	٨٥
٣٣	الفصل الثالث: اللغة العربية في التعليم الجامعي في نيجيريا	٩٢
٣٤	تدريس اللغة العربية في الجامعات العربية شمال البلاد *البروفيسور محمد معاذ انغرو	٩٣
٣٥	نبذة وجيزة عن العربية في إفريقيا	٩٤
٣٦	مشكلات تدريس اللغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعاتنا النيجيرية	٩٨
٣٧	التعليم العربي في الجامعات النيجيرية جنوب البلاد *البروفيسورعبدالرزاق ديرمي أبوبكر	١٠٣
٣٨	مدخل تاريخي: أفريقيا وعلاقاتها بالتعليم العربي	١٠٣
٣٩	اللغة العربية في بلاد اليوربا	١٠٥
٤٠	أهمية اللغة العربية لقارة أفريقيا	١٠٧
٤١	اللغة العربية والاحتكاك الغربي	١٠٩
٤٢	مقاومة المسلمين للتعليم المدني	١١١
٤٣	أسباب إبعاد المواد المدنية عن مناهج المدارس العربية وآثارها في التعليم العربي في الجامعات النيجيرية	١١٢

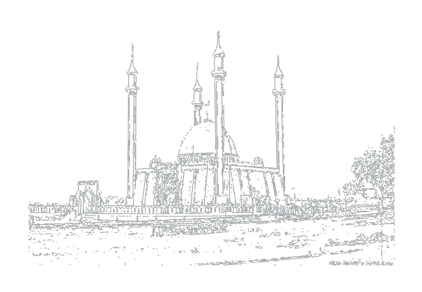
رقم	الموضوع	الصفحة
٤٤	دور خريجي الجامعات العربية من أبناء اليوربا في تعزيز وضعية اللغة العربية في الجامعات	١١٦
٤٥	الفصل الرابع: اللغة العربية في العمق الثقافي النيجيري (الأدب، الإعلام، الثقافة)	١٢٨
٤٦	تأثير اللغة العربية وثقافتها العربية في الأدب النيجيري *البروفيسور مشهود محمود جمبا	١٢٩
٤٧	التعريف بالأدب النيجيري	١٣٠
٤٨	روافد الأدب النيجيري	١٣٣
٤٩	مظاهر تأثير الإسلام في الأدب النيجيري المكتوب	١٣٣
٥٠	الأدب النيجيري المكتوب بالعربية	١٥٠
٥١	نماذج من الأدب النيجيري المعاصر	١٥٣
٥٢	من وجوه تأثير الأدب العربي الحديث في حديقة الأزهار	١٥٤
٥٣	القصة والرواية والمسرحية	١٥٦
٥٤	جهود العلماء في ترسيخ اللغة العربية في نيجيريا "الشيخ آدم عبدالله الإلوري نموذجاً" *البروفيسور بدماصي لنري يوسف	١٦٥
٥٥	جهود العلماء في نشر اللغة العربية	١٦٥
٥٦	جهود الإلوري	١٦٦
٥٧	جهود الإلوري ضد محاولة أعداء لغة القرآن	١٦٩
٥٨	نماذج تطبيقية لجهود الشيخ آدم عبدالله الإلوري في نشر اللغة العربية والنضال ضدّ التغريب *د.الخضر عبدالباقي محمد	١٧٣



يعمل مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية على تعزيز خدماته في المجالات المتنوعة لخدمة اللغة العربية وعلومها، إذ ينطلق من رؤية موحّدة في أعماله عامة – ومنها برنامج النشر – وذلك بأن يطلق برامجه ودراساته في المجالات التي تفتقر إلى جهود نوعية، أو التي تحتاج إلى تكثيف العمل فيها.

ومما يجتهد فيه المركز كشف حال اللغة العربية في دول العالم الناطقة بغيرها، وتكوين قواعد معلومات مختلفة عن مؤسسات العربية في تلك الدول، وأبرز علمائها، وجهود المختصين فيها ، ومدى حضورها، وذلك بمجموعة إصدارات متنوعة، في سلسلتي (الأدلة والمعلومات) و(العربية في العالم)؛ هادفين من وراء ذلك إلى تجسير التواصل بين المؤسسات والأفراد المعنيين باللغة العربية في الدول العربية وبين أشقائهم في الدول غير العربية، وممهدين لمشروعات علميّة وعملية يقوم بها المركز، أو تقوم بها الجهات ذات الهدف المشترك.

وتدعو الأمانة العامة الباحثين من أنحاء العالم كافة إلى المساهمة في هاتين السلسلتين، أو في سلاسل المركز الأخرى، وذلك طمعاً في تراكم المعرفة، وثرائها، ولتكوين مرجعيّة موثوقة ترصد حال اللغة العربية في كل أنحاء العالم، وتوفّر المعلومة للمستفيدين، وتكون إرثاً باقياً، وتقديراً للجهود التي بذلها المخلصون في خدمة هذه اللغة الشريفة.









ص.ب 12500 الرياض 11473
هاتف:00966112587268 – 00966112581082
البريد الإليكتروني: nashr@kaica.org.sa